عبير ضاهر

مذكرات زوجة أبي

مذكرات زوجة أبي

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

❖ **الكتاب: مذكرات زوجة أبي**
❖ **المؤلف: عبير ضاهر**
❖ **نوع العمل: رواية**
❖ **الطبعة الأولى** 1441 هـ - 2020 م - **القاهرة**
❖ **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**
بوك بوتيك للنشر والتوزيع - مصر

❖ **رقم الإيداع : 2020 / 9654**
❖ **الترقيم الدولي ISBN 9779786808149**
❖ الغلاف: فريق تصميم بوك بوتيك
❖ تنسيق وإخراج: فريق إعداد بوك بوتيك
❖ المدير العام: جمال سليمان - ديانا حمزة
❖ العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
❖ تليفاكس: 0020226061014
❖ محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201001201153
❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: fb.com/bookboutique.eg/ & fb.com/bibliomania.eg/
❖ الموقع الإلكتروني: www.bookboutique.net & www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

+201065534541 +201208868826 ببلومانيا للنشر والتوزيع Books ـ ببلومانيا @BibliomaniaEg

مذكرات زوجة أبي

رواية

عبير ضاهر

www.bbibliomania.com

www.bookboutique.net

2020

الجزء الأول

بعد قليل سيعود أبي ونحن بإنتظاره الآن أنا وإخوتي، وهو لن يحضر معه في هذه المرة عشاءً ساخنًا أو حَلْوَى لذيذة، ولا ملابس جديدة يجلبها لنا لاي مناسبة، ولا بتورتة احتفالاً بعيد ميلاد "ريم" أو "كريم" أو من أجلي أنا، فاليوم الأمر مختلف.

أبي قادم ومعه زوجته، فاليوم هو! ماذا يسمونه هذا اليوم؟! عهدنا في أفلام السينما وما قد مَرَّ من حكاوي لآخرين أمَامنا ولو مرات قليلة على أقرب تقدير.

في تلك المواقف غالبًا ما يعلم الأبناء بزواج أبيهم من شجار نشب بين الأم والأب على خلفية اكتشافها زواجه بأخرى مثلاً أو أن تتكتم اليوم وتنفجر باكيةً لتخبرنا بما أجرمه الأب في حقها، وأن السماء سقطت على الأرض والقيامة أوشكت على القيام، وفي الأفلام نرى البطلة تنهار وتدخل مصحة نفسية وتقوم صديقتها! لا لا، فصديقتها قد تزوجها الزوج واختطفت زوج صديقتها، وهذا ما نراه وشاهدناه في الأفلام، أو أن سكرتيرته الحسناء قد خطفته طمعًا في أمواله بَعدَ أن أغرته تمايلا وتغنجا، وتدللت ورقصت على مشاعره وإحتياجاته، أنا صغيرة في السن، ولكني أحب مشاهدة المسلسلات والأفلام، وقراءة بعض الروايات، وأعلم أنه ليس هذا ما جرى، فأمي تركت أبي وذهبت، أحيانًا أراها مخطئة، كيف تتركنا وتذهب، وأحيانًا أرَى أنها

أخطأت بالبقاء معه طيلة كل هذه السنوات، أنا أحب أبي، ولكن أسلوب معاملته لها لا يُعجِبُنِي، أنا لا أتصور أن ألقي مثل هذه المعاملة وبَعدَ أن تركتنا، لمحتُ معنى الحزن في عين رجل كنت أراه في الأفلام فقط، أن يحزن الرجل بشدة لفراق وترك حبيبته له، ولكن هل كان أبي يحب أمي لأرى من حين لآخر الدموع تترقرق في عينيه؟ ولكن لو كان يحبها لما قسى عليها بالصورة التي اعتدنا على رؤيتها منه لها، ولكن أخذ قرار الزواج بَعدَ الطلاق، ولِمَ تطلقت منه؟ لا أدري؛ فأنا أيْضًا أرَى رجال كثر يعاملون زوجاتهم معاملة سيئة، ولكن للأمانة لمْ أرَ واحدةً منهن مثل أمي، لا امتدحها، فأنا أحيانًا كثيرة ألومها ولا يُعجِبُنِي طريقة تفكيرها، ولا أُريدُ أن أكون مثلها مع زَوْجِي فيما بعد، لاأحب هذا لن أكون مثلها كائنً تفيض مشاعره ويعطي بسبب وأحيانا بلاداعي ومتكلفة في كل شيىء رقتها وتسامحها وإهتمامها وفوق كل هؤلاء الإحتمال الغير محدود لمعاملة أبي، ولا أصدقها في أن إحتمالها الزائد عن الحد كان من أجلنا، فهي كانت تحبه وهو أيضا إذن لماذا افترقا؟! لا أُريدُ أن أدينها، ليس وقته.

تتلفت "مريم" على صوت طرقات على الباب، وتظهر "ريم" وهي تضحك، وهي تتأملها ساخرة. "ريم":

ما بك يافتاة؟ – كما كانت تقول أمك– مرَّ أكثَر من ساعة وأنت تجلسين هكذا غارقة في أفكارك شاردة، نظرك ثقبَ الجدَّار؟

وتضحك بشدة، ويهتز كتفيها، بينما "مريم" تتأملها بلوم، فتتراجع "ريم" وتُلقي بجسدها بجوار أختها وتحتضنها وتربت على كتفها، وباليد الأخرى تمسك يدها كأنها ستحكي لها ما يروق لها، ولعلم "مريم" بما تقصد تلتفت للجهة الأخرى ولا تَرُد عليها، هنا تستشعر "ريم" أن "مريم" ثائرة المشاعر، مضطربة العواطف، فتتحلى بشيءٍ من الرزانة وتقوُلُ بِنَبْرةٍ جادّة ممزوجة بالود والشفقة على النفس:

أعلم ما تفكرين فيه، ما تراجعينه بينك وبين نفسك

وهي تشير إلى الغرفة المقابلة للريسبشن، لقد سبقت هنا وأنا ممددة على سريري، امتلأ هواء الغرفة برائحة غيظي وسخطي وحيرتي، فخرجت لأجِدك أنت الأخرى غارقة في وحلٍ من الضيق! أعرف أن الموقف سخيفًا، فاليوم فرح بابا، ولكن ماذا سنفعل؟ هذا قدرنا مع أُمٍّ أنَانية وأبٍ مكسور!

"مريم" تنصت لما تقول "ريم" بدون أن تلتفت ناحيتها وتلعق بطرف لسانها شِفَّتها العُليا بترقب وهي تهُزّ رأسها وترخي ذراعيها وتفردهما على ظهر الكرسي في مقابل الكنبة التي تجلس "ريم" على طرفٍ منها.

كلٌ منهما –الفتاتين– تنظر لجهة غير التي تتنظر إليها الثانية، وتمرُّ لحظة صمت فيتجدد حنق "ريم" وتقوُلُ بِنَبْرةٍ حادةٍ متهكمة، وهي ترفع حاجبيها بغضب:

أمك المبجلة السيدة الراقية المضحية تركتْ أولادها الثلاثة واختارت أن تعود لبيت أهلها، تركتنا هنا نعيش مواقف أسخف من الأخرى إلى أن وصلنا لما نحن فيه الآن، كل هذا بسببها هي.وتلتفت ناحية "ريم" وتقوُلُ في محاولةٍ لمُصادرةِ أيّ دفاع أو رفض من "مريم" لرأيها، وبالفعل لم تَرُد "مريم" ونظرتْ لوجه "ريم" بعينٍ لائمة ووجهٍ محتقنٍ بالغضب، لمحتْ "ريم" كل هذا فاقتربت منها لتكون على طرف الكنبة من ناحية الكرسي الذي تجلس عليه "مريم" وقالت وهي تمد رأسها باتجاه "مريم":

لن أسمح لكِ أن تدافعي عنها، ويتحشرج صوتها بداخل بلعومها، وتطلق زفرةً غاضبة صارخة: كل صديقاتي يحكين لي عن مواقف وشجارات تقع بين أمهاتهن وآبائهن، ولا واحدةً منهن تترك أولادها وتذهب، إلا أمك، فشعورها مرهف لاتحتمل أكثَر مما حدث لتهرب وتلقي بنا، إنسانة أنَانية وكاذبة، هي كما قالت جدتي، قلبها من حديد، بل من حجر، وكل ما قالته جدتي صحيح، أن أمنا تريد أن تستعبده وترضخه وتتلاعب به لأنه يحبها، لا أُريدُ أن أراها ثانية، لا أحبها، ليست أمي، لا أحبها، ولن أذهب ثانية لأزروها، أنها خبيثة تتهرب من مسؤليتنا، تريد أن تبقى مع أمها، ألم تفكر فينا؟ ولد وبنتين، وكم حاجتنا إليها؟ هي أنَانية، اختارت راحتها على حساب راحتنا واحتياجنا لها.

تهُزّ "مريم" رأسها ولا تَرُد وتهِبُّ واقفةً متجهةً إلى غرفتهم المقابلة للريسبشن، وما أن تَهِبُّ من مكانها تجد "كريم" أخاها الأوسط واقِفًا في مكانه وعينيه ملئيةً بالدموعِ فتتسمرَ مكانها وقد هالها منظر أخيها بهذا الشكل، فتنتبه "ريم" لهيئة "مريم" وهي مشدوهة مرتبكة، فلتلتفت بهدوء فتجد "كريم" فترتبك قليلا وتنظر أمَامها ثانيةً متجاهلةً هيئتها في إشارةٍ إلى ثباتها على ما قالت، تقترب "مريم" من "كريم" وهي تحاول أن تتحدث، فيشير "كريم" على "ريم" شاكيًا لـ"مريم" على ما يَبْدو على ما قد سمعه ويقول لـ"مريم" وهو يشير إلى "ريم" ومن بين دموعه:سمعتِ ما تقول عن ماما؟ لن أردّ عليها.

فتُستفز "ريم" في مكانها وتحاول أن تتجاهل ما قال وهي تشير بذراعها غير مبالية بتأثّره ودموعه. "مريم" تربتُ على كتفه:

"ريم" متأثّرة ولاتقصد ما قالت. فتهُزّ "ريم" رأسها وتضع قدمًا على الآخَر وهي تعني "كريم" بردها ولا تَتَعمَّد الإصرار على ما قَالت وهي ترمقه بجانب عينها قائلة: بل أقصد ما قلت، فيقترب منها "كريم" صارخًا في وجهها: أنت الأنَانية وأنت الكاذبة، ولن أسمح لكِ.

وقبل أن يكمل "كريم" كلامه تَهِبُّ "ريم" بسرعة وتصفعه على وجهه بغضب، فتصرخ "مريم" وتدفع "ريم" في كتفها وتحتضن "كريم". "ريم": أنت يا ولد لن تسمح لي؟! لن تسمح بماذا؟!

أعلمني. أو أقوُل لك اصنع لي قائمة ممنوعات وعلِّقها لأطَّلِع عليها.

وتضحك ساخرةً منه، بينما "مريم" تحتضنُ "كريم" الذي يرمق "ريم" بنظرة غضب وتوعد فتقترب على إثرها "ريم" وتود أن تصفعه من جديد، فيدفع "كريم" "مريم" ويحاول التهجُّم على "ريم" التي تنكمش في مكانها وهي تتظاهر بأنّها لم تخف، وتظلُ ثابتةً في مكانها، "كريم": سأوقفك عند حدِّك أن تجاوزتِ حدودَكِ يا "ريم"

فتعمد إلى استفزازه بالقول وهي تضع يديها في جيبي بنطالها وهي تهُزّ رأسها وتتأمله بسخرية. "ريم": مضطرة أعذرك لأن أُمَّك لم تلحق أن تربيك، تركتك. سأوصي زوجة أبيك بإحسان تربيتك.

هنا يصفعها "كريم" على وجهها بشدة ويدفعها فتسقط أرضًا فتصرخ بشدة وتسُبَّه بانفعال، بينما "مريم" تبكي بنجيب وهي تنظر إلى أختها وأخيها وتضع كفها على فمها، بينما جسدها يهتز وهي تبكي. "كريم":

من الجيد أنها الآن غير موجودة وإلا كانت ستربيني على أنّي ضربت أختي الكبرى. ياحقيرة! إياكِ أن تُخطئي في حقها، وستأتي لك زوجته بَعدَ قليل، سأربيها أن أخطأتْ في حَقّ أمي، ويندفع إلى الداخل وهو يتمتم بكلماتٍ غاضبة ويزفر بانفعال وحنق.

ظلت "ريم" في الأرض مكانها، بينما "مريم" مستندة للحائط غير مصدقة لما حدث وهي تحاول فتح عينيها وتهُزّ رأسها كأنها ترجع أفكارها ثم عادت إلى موضعها، وينتقل بصرها إلى "ريم" وما حولها ومنظرها وهي ملقاة على الأرض، فتنظر لها وكأنها تراجع كل ما صدر منها، كأنها تسمعه لأول مرة وهي تراجع ما قالته وسمعته من "ريم" فتتأمل هيئتها وهي على الأرض بلوم، ثم تلتفت بهدوء متجهة إلى الداخل تاركة "ريم" على وضعيتها تلك، و"ريم" تتلفت حولها غير مصدقة لما جرى وهي تشتعل غضَبًا وحيرةً وتخبط، تغمض عينيها وتفتحهما غير مصدقة لما جرى.

"مريم" تدخل الغرفة ومباشرة تتجه إلى المرآة، تتأمل وجهها فيها، وتنظر مباشرة إلى عينيها تراجع كل ما جرى، تتحرك شفتيها وهي تبتلع ريقها محاولةً استيعاب كل ما وقع، وتلتفت فَجْأةً جانِبًا إلى خلفها تستدرك ما فيه "ريم" الآن، ثم تلتفتُ بإصْرَارٍ وتبتلع ريقها مُجَدَّدًا وتنظر في عينيها وهي تسترجع كل ما جرى وتميلُ إلى الأمام وذراعاها ممدودان على طرفي التسريحة، ورأسها مُدلى مابين ذراعيها للأمام وهي تتنهد.

في تلك اللحظة تدخل "ريم" محدثةً صوتًا وحركةً عنيفة في الباب وهي تغلقه خلفها وتتحاشى النظر لـ"مريم" وتلقي بجسدها على سريرها المقابل لسرير "مريم" وهي تزفر بضديق وصوت

نفسها عالِيًا متلاحقًا، فترفع "مريم" رأسها بدون أن تنظر لـ"ريم" من خلال المرآة، بل تتجأهلها تمامًا، ويبدو أن "ريم" تتنظر أن تهدئها "مريم"، أن تقول شيئًا لتهدئها، ولما خابَ ظنها انفجرتْ باكية وهي تنتحب ومن بين دموعها تقول:

سأخبر أبي عليه، سيبيّته مضروبا وأجعله يعاقبه، سأخبره على أنه تجرأ وضربني، أن هذا الكُلّب ضربني، ضرب أخته الكبرى، أنه غير مؤدب، سأجعل أبي يؤدبه.

فتلتفت "مريم" وتنظر لـ"ريم"، تنصت لما تقول دون أن تؤيد "ريم"، ودون أن يظهر منها أيّ تعاطف معها، وبهدوء تسير إلى سريرها وتجلس على طرفه قُبَالَةَ "ريم" وهي تنظر في الساعة في يدها، فترتبك "ريم" وتدرك أن "مريم" لا يهُمُها كل ما قالت ولم تتأثّر بما جرى لها أو تلقي باللائمة على "كريم" وتتأمل "مريم" في صمتها بضيق محاولة أن تستنطقها، ولكن "مريم" تظل صامتة تشبك أصابعها في بعضهم وهي تهُزّ رأسها وتعاود النظر في ساعة يدها الفضية ولاتتنظر لـ"ريم" والتي لا تجد بدًا من أن تستنطقها، فت قُلْ لَها ساخرة وقد ابتلعت دموعها على ما يبدو، وتجاوزت من تلقاء نفسها كل ما جرى لها وصفعها من "كريم":

كم الساعة إذن؟

فلا تَرُد "مريم" لعلمها ما تقصد "ريم" وتدندن في سرِّها مما يزيد من ضيق "ريم" وثورتها المكتومة.

"مريم" وهي تنظر لـ"ريم" للمرة الأولى تقول بهدوء: قومى اغسلي وجهك واستعدي للسهرة.

ترتبك "ريم" وتقوُلُ بصوت متهدج وهي مرتبكة:

سهرة؟! "مريم": أليس هذا وصفك؟ "ريم": يكفيني ما بي، لا أحتمل منك أيّ استظراف. "مريم": وهل قلت شيئًا خطأ؟ فأنتِ من كنت في إنتظار مجيء أبيك و... وعلى حد وصفك أيْضًا والعروس! "ريم": أرجوكِ يا "مريم".

وتبكي، فتقوم مريم من مكانها وتجلس بجوارها على سريرها وتُشبك ذراعيها مع بعضهما وتقولُ بِنبرةٍ ودودةٍ وعاتبةٍ:لم يعجبني ما قُلتِه عن ماما. فتبكي وهى تقول: بسببها نحن في هذا الوضع

مريم: كانت تبكي مثلك كثيرًا بسببه.

فتتذكر ريم ما جرى لها فتبكي بحرقة وهي تقول: ضربني كريم، ضربني على وجهي وهددني، – وتبكي منتحبة– أول مرة أخي الأصغر يتجرأ عليّ، لقد تطاول عليّ، نسي أنّي أُخته الكبرى.

مريم: لقد كان حديثك عن ماما مستفزًا وفؤجئت به واقِفًا، ويبدو أنه قد سمع كل ما قُلتيه.وأنت سمعتني، لِمَ لمْ تغضبي مثله؟ لا أدري، ربما ما قُلتيه أسكت الثورة الداثرة بداخلي، الموقف أثار فيّ خواطر متضاربة. ريم: ما قولته هو الحقيقة.

مريم: أنتِ أكبرنا، وتعلمين عنا بعض الأمور.

تبكي ريم وهي تُكابر وتقوُلُ وهي تغالب دموعها: أعلم أنها كانت تعيسةً معه، وأنّه كان يُهينها متعمدًا، وكان يقسو عليها على نحوٍ مفرطٍ، كان قاسيًا فظًا، كان حقيرًا.

مريم: حقيرًا!!

ريم: بلى، كان حقيرًا، كل من يضرب امرأة أو بنتًا فهو حقير.

مريم تنفجر ضاحكة: صار كل الرجال حقراء بنظرك لأن أخوك ضربك؟

ريم : بل لأنهم حقيرون بالفعل، لقد كُنتُ أرَى نشوةَ انتصارٍ وفرحة لزجة في عين أبيك في كل مرة يضرب أمي.

"مريم" تضحك وهي تنصت لأختها في جديةٍ مبالغٍ فيها، تتعمدها فتنظر لها ريم زاجرة معاتبة قائلة: ما بك؟!

مريم: لا شيء. إنك غريبة اليوم يا "ريم"! كأني أكتشفُ أختي بَعدَ كل هذه السنوات.

ساخرة وعاتبة وهي تتوقع ما ستقول، فتلتت الجهة الأخرى لا تَوَدُّ أن تسمع.

"مريم": أراؤكِ متعلقةٌ بمواقفٍ شخصيةٍ لكِ، حُكمكِ على الأمور لا يخص الأمور وما تكشفه، بل هو متعلقٌ بتجربتكِ أنتِ.

"ريم" تهُزّ رأسها بنفاد صبر قائلةً في ترجي: يكفيني ما بي، لقد أنكَدَ عليّ هذا الجرذ فرحة معايشة يومٍ هزلي كهذا. فتبتسم

"مريم" محاولة التخفيف عنها: لاتغضبي منه، اعتبريه فتى في بدايات الشباب وسمع بأذنيه من يسب أمه فثار.

فطأطأ "ريم" رأسها أمَامها وتخفض بصرها وهي محرجةٌ من نفسها، فترفع قائلة بصوت خفيضٍ غاضبةً منها:

"مريم"! وليكن يا "ريم"، لا يحق لك أن تتطاولي على ماما مهما كانت الأسبَاب.

"ريم" وهي تفرد كفها في مواجهة فمِ "مريم" وهي تميل برأسها على أحد كتفيها وتغمض عينيها في إشارةٍ لتغيير الموضوع وتجاوزه، فبتستم "مريم" وتجذب يدها وهي تقول: انهضى وجهزي نفسك لبدء أول يوم غير عادي في حياتنا.

فتنهض "ريم" وهي تضحك وتجري قُبَالَةَ المرآة وتنظر لوجهها وهي تميل مقتربة من المرآة تتحسس وتفحص جانب وجهها الذي صفعها عليه "كريم"، فلم تجد شيئًا، لا أثر لشيء عليه، تتجاهل ما جرى وهي تكِزّ على أسنانها، و"مريم" تنظر لها متفهمةً ما جرى في شفقة، تخفيها بتفهمٍ وإيماءةٍ مضافة لكُلّ الحيرة التي استبدّت بها طوال اليوم.

"ريم" تخرج مسرعة من الغرفة وهي تقول: سأغسل وجهي.

"مريم" تتلفت حولها في الغرفة وهي تتنهد في ترقب وتميل إلى الساعة مُجَدَّدًا وهي تمسح بطرف إصبعها على شاشة الساعة،

يبدو الوقت اقترب، فتقول صارخة في تعجل: أووه، إنهم على وصول.

فتهرول خارجة من الغرفة لتجد "ريم" قبالتها خارجة من الباب ووجهها يقطرُ ماءً وهي ممسكةٌ بالفوطة تدفع وجهها ببطء وهي تجففه في عجالة. "ريم": اتركيه، لا أطيق أن أرَى وجهه، وتلتفت لـ"مريم" مشددة على ما قالت وتضيف وهي مرتبكة في خجل: هو لا يود أن يراهم وخاصة في أول مجيئه بها إلى البيت.

فتتأملها "مريم" بعتاب على موقف "كريم"، فتلتفت "ريم" متجاهلة ما ترمي إليه نظرات "ريم" وهي تقول: جهز نفسك، يجب أن يرانا في انتظارهم فور وصولهم حتى لا يقول أنّنا غاضبين من زواجه.

فتهم "مريم" بلومها فترمي "ريم" الفوطة على السرير بضيق وتشير على طول ذراعها المفرود باتجاه "مريم" قائلة: "مريم"، الرحمة، لم أكفر بعد. الكُلّ يريد رجمي اليوم!

فتضحك "مريم" من رد "ريم" على هذا النحو والصياغة تلك وتتراجع وتجلس على طرف السرير وهي تقول: هل هو سعيد الآن ويشعر بالفرحة؟

"ريم"، وهي تمشط شعرها وتلتفت وهي ممكسة بالمشط: الجرذ نسي أنّي كنت أحمله وظنّ نفسه قد كبر وصار كلبًا؛ أقصد رجلًا.

"مريم" تكتم ضحكاتها وتفلت منها واحدة وسط استغراب "ريم" التي تراجع الكلام وتتوقع ما قصدته "مريم" بكلامها فتضرب الأرض بكعبها وهي تقول: ظننتك تقصدين أخيك الأزعر.

"مريم":بل قصدت أبيك، "ريم" نكاية فيها وهي تبتسم بمكر: العريس؟ فتتأملها "مريم" بضيق فتضحك "ريم" مازحة سترين الآن.

"مريم": هل تراهيننى؟

"ريم": لا

وقبل أن تُكمل جملتها يسمعها صوت من خارج الغرفة الباب يفتح

"ريم" وهي تشير لـ"مريم" بجدية: هس، إنهم قد جاؤوا.

وعلى الفور تكمل "ريم" هندامها بتعجل وهي تنظر لـ"مريم" بلوم وهي تضبط هندامها في عجالة، بينما "مريم" ترتبك وتقوم بضبط شعرها بكفيها وتجذب بلوزتها لأسفل، تمسح على صدرها وأكتافها وتسبقها أثناء ذلك "ريم" للخروج من الغرفة إلى الصالة فتنظر إليها "مريم" بلوم وضيق وتتبعها مسرعة. "فؤاد" يغلق خلفه الباب بإحكام وهو مبتهج، تلمع عيناه بالفرحة والارتياح، يتنهد بارتياح وهو يربت على ظهر "سحر" ويتقدما إلى عمق الريسبشن ويحمل عنها حقيبةً جلديةً كبيرة الحجم ويتبادلا ابتسامةً مطولة. تلمعُ عينا "سحر" على إثرها وتؤمىء برأسها

مرتبكةً خجلة وهي تبتسم. يقترب عُمرِ "فؤاد" من عُمرِ "سحر" قليلًا، يبدوان متقاربين في العمر، "فؤاد" قد تجاوز الأربعين بسنوات قليلة، و"سحر" أصغر منه بسنواتٍ قليلة، ترتدي فستانًا لامعًا، محتشمًا طويلًا، وتضع مسحةً من المساحيق على وجهها، وهو يرتدي بزّةً بنية وبنطلون بيج بدون ربطة عُنق، تضوي ساعة يده الذهبية وهو يمدُّ يديه لحمل عن "سحر" الحقيبة الجلدية ويتقدمها خطوات ويضعها جانِبًا فتهرول "سحر" خطوات لتقف بِمُحاذاةِ الحقيبةِ في إصرارٍ ما، يرتبك ويستغرب "فؤاد" قليلا ولكنه يقشع دهشته بابتسامةٍ ويتنهد بارتياح ويلتفت على إثر انفتاح بابٍ قريبٍ يظهر منه "كريم" مبتسمًا بتَهَذُّب وينظرُ لأبيهِ بود، ولـ"سحر" بارتباك، ويبتسم ويتقدم من تلقاءِ نفسِه خطوات فيبتسم "فؤاد" له ممتنًا ويلتفت لـ"سحر" قائلا: "كريم" ابني.

فيتقدم "كريم" ويصافحها في تَهَذُّب وعين لا تُرفَع فيها ويبتسم فترحب به "سحر" قائلة: أهلا يا "كريم".

"كريم": أهلا بحضرتك.

فتبتسم وتستبشر "سحر" من أسلوب الابن وتتنهد مبتسمة، وتظهر "ريم" و"مريم"، فيلتفت "فؤاد" تجاههما، وعلى الفور تهرول "ريم" باتجاه أبيها وتُقبّله وتمُدُّ يدها مداعبةً "سحر"

وتبتسم وهي تهتزُ في مكانها وترحب بها بودٍ، فتبتسم "سحر" قائلة وهي تتكىء برأسها: أهلا يا حبيبتى.

فتبتسم "ريم" ابتسامة عريضة وهي تتأملها عن كثب بإعجابٍ وتفحص، و"كريم" يتحاشى رفع بصره والنظر إلى "ريم" وهو ينتبه جَيِّدًا لكُلّ شاردة منها، وهي تتجاهله تمامًا وتنظر له بطرف عينها بضيقٍ مكتوم وتوَعُّد، تتقدم "ريم"، وينادي

"فؤاد": مريوم

فتتقدم "مريم" والتي كانت تتأمل الجميع وكأنهم لوحة مرسومة تتحرك محتوياتها، تتأملهم برهبة ودهشة وحيرة معا، تنبهت لنداء أبيها فتتقدم في رقة وتمُدُّ يدها مصافحةٍ "سحر": أهلا ياطنط.

فتبتسم "سحر" بِودٍّ وهي تتنهد بارتياح وترمقهم جميعًا مبتسمة فيجدها "فؤاد" بداية طيبة أكثَر مما توقع لأولاده، فينظر لهم ممتنًا وهو يمضي بعروسه إلى ردهةٍ بِمُحاذاةِ الباب الرئيسي للمنزل إلى الشقة الكبيرة التي أعدَّها له هو وزوجته الجديدة فينظر الأبناء عليهم بترقب وهما معلقين أنظَارهم عليهم وهما يسيران بجوار بعضهما البعض ويتفاجأ بعودة "سحر" مسرعة بخطوات مهرولة في اتجاه مقصود ومعين بالنسبة إليها وهي تنظر باتجاههم مبتسمة، وهم مترقبين مندهشين لعودتها ثانية ودون أبيهم وينظر ثلاثتهم لها في انتظار ما ستقول، ربما

عادت لتعرفهم على نفسها أكثَر أو تريد شيئًا لا يعلمون ما هو، فتظل عيونهم متعلقة بكل خطوة تتقدمها باتجاههم، وهي عائدة في الممر المؤدي إلى الريسبشن وخلفها بابُ المنزل فتنحني في هدوء وترفع حقيبتها الجلدية وهي تنظر إليهم وتَمْضِي مستديرة إلى الردهة ثانية، فينظروا لبعضهم البعض بأفواهٍ فاغرة وتعلو الدهشة جباههم، وعيونهم تتساءَل، "ريم" تقول متسائلة: حقيبة جلدية كبيرة بعض الشيء؟ "كريم": وعادت لتأخذها، كان الأولى أن تتركها للغد فكانت ستجدها في مكانها كما وضعتها. أمس جلب أبي كل ملابسها ومتعلقاتها، ما تلك الحقيبة؟

ريم ساخرة: ربما بها الميك أب الخاص بها.

"كريم":اخفضي صوتك. ريم وهي تسترجع كل ما حدث: لا توجّه لي كلاما، مفهوم؟

"كريم": لا أُريدُ أن أراكِ.

ويستدير باتجاه غرفته وتجذبه "مريم" من يده ليجلس وتجلس بجواره، فهي تجدها فرصة لإفراغ كل ما في رؤوس إخوتها في جلستهم هذه، وفي هذا الوقت وهذا ما يجول في خاطر "كريم"، فيجلس بلا مقاومة أو تردُّد، ولم تعرض الأمر على "ريم" فتجلس من تلقاء نفسها ويصير "كريم" بجوار "مريم" وقبالتهم "ريم" التي تتحاشى الالتفات ناحيتهم، بينما "مريم" تفتح الحديث وتوجّه حديثها لـ"كريم" قائلة بفضول: ما هذه الحقيبية؟

"كريم":لاتشغلي بالك، لابد وأن بها أشياءً تلزمها وتخصها.

"ريم": كنت أظنها أجمل من هذا، كما أنها ليست أنيقة.

"كريم" متهكماً ويرد ولكنه ينظر لـ"مريم": هذا كل همك؟!

"ريم" تنظر له بضيق ولا تَرُد وهي تزفر وتنظر للجهة الأخرى.

"مريم" وهي تتفق مع "ريم" في ملحوظتها: مظهرها هو أول ما يظهر لنا منها، وأراها ودودة بالفعل.لا أتمنى غير هذا يا "ريم"، فهي على كل الأحوال ستصبح جزءً من حياتنا. قالها "كريم"، فقالت"ريم" بدهشة "ريم": حياتنا؟!

فينظر "كريم" و"مريم" إلى "ريم" مباشرة في ترقب، "ريم" وهي توجّه حديثها لـ"كريم" مباشرةً وبحنق ولوم ووعيد: أراك ستجعلها تترك البيت في أقرب فرصة.

"مريم" تضع كفها بجدية على يد "كريم" لتمنعه من الرد قائلة: ولِمَ سيفعل "كريم" هذا أو أيّ منا؟

"ريم":أظنه قد قال هذا من منذ أقلّ من ساعة فقط!

"كريم" يتأملها بحنق وسخط. "ريم" في محاولة لاستفزازه: ألم تقل هذا، أم تراجعت؟ بابا لن يسمح لك، وما جرى منك اليوم سأخبره به. "كريم":قومي أخبريه الآن، وأنا لن أتراجع عما قلت، أن هي أساءت لأمي وتحدثت عنها بقلة أدب سأعلمها الأدب.

فتنظر له "ريم" بضيق لكن "مريم" تباغتهما: أرجوك يا "كريم" لا نُريدُ أن نتشاجر.قولى لها يا "مريم". قفزت "ريم" تقول: أنا أذكرك

بما قلت. "كريم": وأنا قد أخبرتك أنّي لم أنسَ، ولن أنسى ما قُلت، بل هو عزمٌ بداخلي، –ويعيد على مسامعها بهدوء وبفواصل قائلا:– لن أسمح لها بأن تسيء إلى أمي، وسأجعلها تندم، ولن أسمح بحذوث ذلك

ويضيف إمعانًا في إغاظتها وكبحِ جماح غضبها وتعمده لاستفزازها: لأي أحد أيّا كان. ريم في حدة: حتى لبابا؟

فتنظر لها "مريم" زاجرة وقد تيقنت من تعمدها التقليل من "كريم" والتهاون في الإساءة لأمهم، فيضع "كريم" يده هذه المرة على يد "مريم" وهو يتحلى بالهدوء قائلا: إلا أبي طبعًا.

فتهُزّ "ريم" رأسها وتضحك بانتشاء كالمنتصر، فيضيف في هدوء: لأنه أبي، ولأنها تركته، لو كنت أقوى على إقناعه بالتوقف عن إتعاسها وبكائها المستمر واقترابها من السقوط في المرض من معاملته الطيبة لها لما جرى كل ما كان، ولكنه أبي وزوجها، وهي اتخذت الإجراء الأنسب لها، تركته وذهبت.

تنزل كلماته على مسامع إخوته كقطرات العلقم وباستعيابٍ شديد لما جرى وكأنهم لأول مرة يسترجعوا عن كثب كل ما جرى بين أبيهم وأمهم، فيبتلعوا ريقهم وتقشعر جبهة "ريم" وتنظر جانِبًا واجمة وتخفض "مريم" رأسها وتنظر إلى جانب في الغرفة بأسى كأنهم يهربون من عيون بعضهم البعض و"كريم" يشبك كفيه ببعضهما وهو يضعُ وجهه بين رجليه وينظر أمَامه شاردا في

الفراغ بوجه محتقن بالحنق والضيق، وتمر لحظة صمت تعلو وجوههم ويخلو المكان من أيّ صوت، فالصمت لون الأجواء وطغى على المكان لتستفيق "ريم" من شرودها ولحظة محاسبتها لنفسها، تستفيق من نوبة خجل وارتباك وتحامل على أمها وأخوها، وتلتفت إلى إخوتها في ودٍ وتأثّرٍ ممزوج بالضيق والشفقة وهي تقف في هدوء، بحيث تصبح وهي واقفة في المنتصف مقتربة من "كريم" و"مريم" الجالسين بجوار بعضهما على الكنبة وتقوُلُ بصوت يغشاه التأثّر: أنا جعت، أعملكم سندوتشات معايا؟ "مريم": أنا اتعشيت كويس مش جعانة خالص.

"كريم" وهو يتحاشى النظر إليها: اعمليلي نسكافيه معَكي

فتومئ برأسها وتنتقل إلى "مريم" وتشير بكفها متسائلة: وأنت؟!

"مريم": نسكافيه

فيلفتت "كريم" إلى "مريم"، ثم ينظرا إلى "ريم" ويقفا بحيث يصبح الثلاثة واقفين ويتبادلوا النظرات وتقف دمعة في عيني "ريم" فيحتضنها "كريم" ويقبل كتفها معتذرًا فتمسحَ على شعره فيجذب كفَّها ويقبلُ باطنه وهو يقول بصوت منخفض: حقك عليا، أنا آسف.

فتنبته "مريم" لما فعله "كريم" وتسرح بعيدًا يبدو تذكرا شيئًا فتهُزّ رأسها وتتأمل "ريم" و"كريم" وهما يتبادلان القبلات والاعتذارات

ويمضيان إلى ناحية المطبخ وهما يتعاتبان و"كريم" مخفض رأسه تكملة لاعتذاره لـ"ريم" وهي تحتد في مزاح وهي تسبقه للمطبخ بخطوتين، *بينما ظللتُ "أنا" مكاني أفكر*: هل يأخذ الابن من طباع أبيه؟، لقد صفع "كريم" "ريم" صفعةً قوية عندما احتدتْ عليه وأساءت لأمي، والآن يقبل باطن كفِّها كما كان يفعل أبي مع أمي، فتبتسم "مريم" ضاحكة في سرها مستنكرة وهي تقول: ولكن أمي لم تكن تحتد وأبي هو الّذي كان يعتذر من تلقاء نفسه، لا أدري، هل سيسير "كريم" على نهج أبي عندما يكبر، يضرب عندما يغضب، ويقبل وقتما يريد أن يعتذر؟ يقطع شرود وتعاطي "مريم" مع نفسها وتعقيبها على ما ثمة ما ذكرها بأبيها وأمها نداء "ريم" عليها من الداخل "مريم"؟! "مريم" وهي تهرول باتجاه المطبخ:

نعم!

الجزء الثاني

أشرقت الشمس بأشعتها الذهبية، وهواء رائق وحركة بطيئة وهادئة للشُجيرات في الحديقة التي تحيط بالبيت، ترخي سعف النخيل الملاصق للأسوار أطرافها متمايلة من إثر الهواء، وتظهر السماء صافية تلونها أشعة ذهبية وخطوط متوازية تلمع من خلف أفرعها المتدلية وأطرافها المهتزة .

تعيد جلاء لون البيت من الخارج فيلا بواجهته عسلية اللون ودرجات السلالم المتراصة على ارتفاع منبسط وبطول متمدد لأكثَر من مترين لخمس عتبات مستطيلة الشكل باللون الأبيض المائل المتداخل مع أخضر فيروزي وبناء من دورين وتتناثر في الحديقة شجيرات نابتة الفروع خضراء، متدرجة وأوراق لامعة ولينة كأنها مطلية بطبقةٍ من الزُبدة وشجيرات الزهور والورود على اختلاف ألوانها وأشجار الزينة المتنوعة والقصيرة، والأطوال قليلا متراوحة في الأطوال وتربة الأرض رطبة على إثر السقي المنتظم، لم تصل الساعة إلى الثامنة صباحا وقد أطلت الشمس بأشعتها إلى الداخل متسربة متسللة من خلف الستائر البيضاء، تنتبه "مريم" التي تغط في نوم عميق وعلى الجهة المقابلة "ريم" التي تستغرق في نومها، بينما تتنبه "مريم" على ضوء النهار الوليد في أولى إشرقاته، وتنهض من نومها متسلسلة إلى خارج الغرفة تفتح باب الغرفة وتخرج إلى الخارج تتلفت حولها المكان

غارقا في الصمت، وإضاءة المكان خافتة أقرب لوقت الغروب منه للشروق وتتلتفت كأنها تلتتمس وجود أحد فلا تجد، فتَمْضِي في الجوار إلى ردهة صغيرة مؤدية إلى الحمام، وتمضي باتجاهه في خطى ثابتة وهي تتململ متكاسلة، والمكان على اتساعه يخلو من أيّ حركة، غارق في سكون تام، وتظهر "مريم" من جديد وقد عادت مسرعة من وجهتها، فتلتفت يمينا ويسارا مرة واحدة، وتتجنب الالتفات والتلفت ثانية وتعود إلى غرفة نومهم وتغلق الباب خلفها وهي تنظر على "ريم" المستغرقة في نومها وتتجه إلى سريرها مباشرة وتتمدد عليه وتجذب غطائها عليه وتحاول النوم، ولكنها تظل مفتوحة العينين ويغلبها النوم، وتنام من جديد، بَعدَ لحظات يتناهى إلى سمع "مريم" صوت أبيها فتفتح عينها وهي تحاول التأكد من النداء، فيعاود صوت "فؤاد" ندائه:

"ريم"؟

"ريم"؟

"مريم" تَهِبُّ في مكانها تغالب نومها وتنادي على "ريم" التي تتقلب في مكانها ولم تنتبه بعد.

طرقات على باب غرفتهم، فتقفز "مريم" من على سريرها باتجاه الباب وهي تنادي على "ريم" التي تنتبه أخيرًا وتقلب في مكانها

"مريم": بابا، بابا

ينادي عليك

"ريم" تنهض وترفع جذعها وهي تحاول الاستفاقة

"مريم" تخرج من الغرفة إلى الخارج الغرفة:

صباح الخير يا بابا

"فؤاد": صباح النور، أختك مازالت نائمة؟!"مريم": أيقظتها

"فؤاد": بسرعة وتعالوا نتناول الإفطار معًا في الشقة الكبيرة

"مريم" وقد استغربت لبرهة وأنتبهت قائلة:

حاضر يا بابا

"فؤاد" وهو يتستدير باتجاه غرفة "كريم" قائلا:

وأنا سأوقظ "كريم" هو الآخر! فنظرت عليه "مريم" مترقب ثمة تغيرات في البيت لِمَ يتناولان إفطارهم في الشقة الكبرى لِمَ ليس هنا؟!

وهي تهُزّ رأسها وهي تتحاشى الرد وتكرر تساؤلها الذي تهرب من إجابته إلى التمعت في ذهنها على الفور

فتقول مُجَدَّدًا لِمَ ليس هنا؟! وتنادي على "ريم" وهي تسير باتجاه الغرفة مُجَدَّدًا

"مريم": "ريم"؟ ريم

وما أن تدخل تجد "ريم" جالسة على سريرها وعينها التي تكاد تفتحهما بالكاد يفيضان بالأسئلة:

ماذا جرى؟!"مريم": هيا قومي، سنتناول الإفطار في الشقة الأخرى؟!

"مريم" وهي تدفع الغطاء عليها:

الأخرى؟!وهذه ما حل بها؟! "مريم": لعلها صارت قديمة؟!

فتنظر لها "ريم" وتتفهم أنها هي الأخرى لا يرضيها هذا فتنهض وهي متململة متسائلة:

"ريم": بابا من أخبرك؟

"مريم" وهي تبدل ملابسها: نعم

وتخرج مسرعة وهي تلملم شعرها فتنظر لها "ريم" بجدية

لا تتأخر بالداخل؟! فتومئ "مريم" برأسها موافقة وتخرج مسرعة إلى خارج الغرفة.

"ريم": وماذا أيْضًا يا أبي؟ وتزفر بضيق وتململ وتقف أمَام سريرها وتتمطى وهي تقول بِنَبْرةٍ ساخرة: سنفطر في الشقة الكبيرة؟!

أووووو ماي جاد! تشد "سحر" حزام فستانها بإحكام وهي تطبق لياقتي الفستان على بعضهما بعناية وتتناول قلم الروج وتضع قليلا منه على شفتيها وتتأكد من الكحل في عينيها وتبتعد عن المرآة لخطوات وتلتفت وتنظر على قوامها في المرآة وهي تعيد الإتمام على هندامها وتلمح مقبض الباب يتحرك فتعتدل في

وقفتها وتبتسم بترقب وتستدير للمرآة مبتعدة عنها باتجاه السرير وهي تحاول ضبطه ولكنه "فؤاد" يقترب منها قائلا في نهي:

"فؤاد" ليس وقته الآن فلنفطر أولًا

فتومئ برأسها قائلة مبتسمة في ود: عندك حق، نتناول الإفطار أولا، ويخرجا من الغرفة وهو يضع يده في يدها وتتلأمس أكتافهما فيلتفتا لبعضهما البعض ويبتسما ويتأملها "فؤاد" بنشوة مبتسما وهي تراقب ابتسامته ونظرته وتتنهد في ارتياح مشوب القلق الخفيف وتنظر عليه وهو يمضي من الباب قبلها بخطوة فتتبعه.

تتجنب "سحر" النظر في وجوه أبناء زوجها وهي تتناول الإفطار كما يتجنب الجميع وسط رغبة ملحة أن ينظرا لبعضهم البعض، ولكن كلا ينظر في طبقه ويتناولان الطعام في هدوء وجو مشبع بالهدوء والود، والوحيد الّذي أتيح له تفحص الوجوه جميعها هو "فؤاد"، ينظر لـ"كريم" الّذي يأكل في هدوء وأيْضًا "مريم" التي تأكل بشهية وفي تحفظ بينما "ريم" تختلس النظرات لإخوتها تود أن تعرف أين ينظران، فلما توقن بأنّهم لا ينظرون قُبَالَةَ وجهة "سحر"، فتمعن في النظر في طبقها وتتناول إفطارها بشهية متوازنة، بينما "سحر" تلتفت إلى ناحية "فؤاد"، تجده ينظر إلى أبنائه واحدا تلو الآخَر بترقب وفضول، فتبتسم قليلا بارتباك خفيف وتبتلع طعامها في أريحية وترمقهم بنظرة شاملة وتعاود

النظر في طبقها، ينقضي وقت الإفطار طويلا على الجميع، كأنه كان بروفة لاختبار تقبل وجود شخص جديد فيما بينهما، وحيث أنه مَرَّ في هدوء فقد اطمأن "فؤاد" لما كان قلقا بشأنه فيبتسم في ارتياح ويهب واقِفًا مبتعدا عن السفرة ويشعل سيجارة ويلتقط ولاعته ويشعل السيجارة وهو يقف بجوار النافذة المفتوحة على الحديقة مباشرة ليمتد نورها إلى آخَر الريسبشن المنقسم إلى أنتريه في آخره، وفي أوله على جانب منه السفرة وكرسيين بجوار النافذة مباشرة وطرابيزة كبيرة عليها شاشة التيليفزيون، يطرد دخان سيجارته بهدوء وهو يزفر كمية كبيرة من الهواء في هدوء وتعلو قسماته الرضا والترقب معا، ويلتفت بجانب عينه ليرمق الجميع في وضعتهم بنظرة شاملة بانورامية كأنه يستعيد تخيل اللحظة واستيعابها بعمق وبجلاء ويعاود الالتفات ثانية وينظر إلى خارج النافذة تلتفت "ريم" عليه ثم تقع عينها في عيني "سحر" التي تجدها تنظر إلى كل واحدا منهما على حدة كمن يكون انطباع ويرسم صورة له في مخيلته، وحينما جاء دور "ريم" تجد "سحر" أنها تنظر هي الأخرى لها فتبتسم "سحر" وقد ارتبكت بينما "ريم" تتأملها مطولا، ثم تبتسم بتهذيب في لَحظةٍ تدرك "ريم" فيها واقع اللحظة، وتعاود للتأكد النظر إلى أبيها الواقف بجوار النافذة وجانِبًا إلى أختها وأخيها والطعام والوقت و"سحر" كأنها تتحقق مما تراه ما يجري بتلك اللحظة،

فتتنهد وتنظر في طبقها وتواصل تناول إفطارها ببطء أكثَر من الأول، بينما "كريم" يحاول أن ينهي اللحظة ويقوم، و"مريم" ترفع نظرها وتنظر مباشرة إلى "كريم"، فتتلاقى أعينهم وكأن كلا منهم يود أن يفلت من الموقف ولا يدري كيف، فيرفع "كريم" حاجبه في تساؤل، بينما "مريم" تتجنب الالتفات وينتبها على صوت "سحر" قائلة:

أكملوا إفطاركم، سأعد الشاي، هل أعدُّ لكم؟ أم تريدون مشروبًا آخر؟ وتنظر لهم هم الثلاثة كُلٍّ على حده، فينظرا لها مشدوهين، بينما يلتفت "فؤاد" عليهم باستدراك من شروده ويتأملهم جميعًا فيرد الجميع في صوت واحد: نسكافيه!

وهي تفتح التليفزيون وتغلقه بنفاد صبر، ويلتفت صارخًا في أختيه: لمَ طلبنا نسكافيه؟ "ريم":اسأل نفسك؟!

فينظر إلى "مريم" التي تنظر لـ "ريم" باستنكار من ردها وتتأملها بخيبة أمل، على ما يبدو من ظن ما عقدته وتستند للخلف وتستريح في جلستها، ويجلس "كريم" متململا وينظر للجهة الأخرى فتقوم تتردد "ريم" بين الجلوس وإعادة تشغيل التليفزيون، ثم تتراجع وتجلس وهي تستشعر انتظارهم ردًا منها على وجه الخصوص فتقول بلامبالاة:

لِمَ لا تطلبا شاي بحليب؟! وتنظر لـ"كريم" متسائلة، ثم لـ"مريم" وهي تهُزّ رأسها مكررة السؤال فلا تجد ردا، فتزفر بضيق وتقوُلُ

بتفهم وجدية وكأنها تنوب عنهم في تحليل وتفسير طلبهم هذا ومن ثمة تساؤل "كريم": لِمَ لمْ تطلب هي مشروبها المفضل بخلاف عنهم على الأقل وقد طلبا هم الآخرين مشروبا آخر؟

"ريم": بداخل كلٍ منا رغبة في تركه يعيش حياته لو طلبنا ما كانت تعده ماما كان سيتضايق ويظن أنّنا نتفق على زوجته ونلزمها بما كانت تقوم به ماما ويقاطعها "كريم":

من مشروب؟! "مريم": وهي تنظر لـ"ريم" بإكبار: المشروب كان البداية هو اختصر كل شيء فتنظر "ريم" لـ "كريم" والّذي بدا متفهما لتفسير ما قاموا به جميعهم دونما اتفاق: هل سنذهب لماما هذا الأُسبوع؟

"ريم": لن أذهب هذا الأُسبوع؟

لديَّ دورس واختبارات آخَر الشهر ولا أود التغيب عن أيّ منها سأذهب في وقت آخر.

"مريم": سنذهب معًا يا "كريم"

"ريم" تنظر لهم باستنكار وأنا اذن من لا تريد الذهاب أنا التي لا تريد

"كريم": أنت من قُلتِ أنك مشغولة بدروسك واختباراتك

"ريم": وأنت لا دروس ولا مذاكرة خلفك؟!

"مريم": "ريم"!لك أسبَابك ولا داعي للشجار من وقت للثاني.

"ريم": أنا لا أتشاجر، أنت وهو من تريدان أن تظهراني أمَام ماما بالمقصرة والمنشغلة عنها.

"كريم": المنشغلة عنها؛ ثاني مرة تقولي شيئًا صحيحًا في صلبه "ريم" تتجاهل ما قَال وتزيح شعرها للخلف متظاهرة باللامبالاة بينما"مريم"تبتسم وتميل عليه متسائلة وما الأولى؟!

"كريم": موقف النسكافيه

"كريم" و"ريم" يقهقها بينما "ريم" تزف في ضيق ولا تَرُد يقطع لحظتهم دخول "فؤاد" الّذي تسره رؤيتهم يضحكون وتظهر من خلفه "سحر" التي تحمل بين يديها ثمة علب تبدو عليها هدايا وتتقدم منهم مبتسمة، "فؤاد": طنط "سحر" جلبت لكُلّ واحدٍ منكم هدية

التفتَ الثلاثةُ ناحية "سحر" مذهولين ويبتسموا على وجل وتردد تتقدم "سحر" مبتسمة وتقدم لـ "ريم" علبة بها بلوزة تتصاعد منها الالوان وعلى طرفها فتاة تتراقص على أنغام الموسيقى كبيرة الحجم ترتدى فُستَان فضي وقاعدة البلورة فضية كبيرة مزخرفة تتأمل "ريم" هديتها مشدوهة وتبتسم في امتنان "ريم" ذوق حضرتك جميل جدًا شكرا لك ولو أنه كان يتوجب على أن اجهز هدية لأقدمها أنا لك

"سحر": لا فرق بيننا يا "ريم" أنت مثل ابنتي يراقب "فؤاد" حديثهم المتبادل وهو يبتسم برضى وامتنان لـ "سحر" وتتقدم من

"كريم" وتقدم له هو الآخَر هدية عبارة عن تحفة لفارس يعتلي صهوة حصان مصنوعة من الفضة يسر "كريم" للهدية التي تعكس ذوق وفهم لطبيعة الأولاد وما يعجبهم فيبتسم لها في امتنان ويشكرها "كريم" شكرا لحضرتك ذوقك راقي ورائع تبتسم "مريم" فقد جاء دورها فرفعت "سحر" العلبة المتبقية بين يديها واخرجت من كيس ملون شفاف فتاة تجلس على

رف نهر وتشم زهرة ملونة وتصدر وتهتز كلما قربت الوردة منها وتحركت عيونها وهي تستنشق الوردة كأنها تنتشى من عطرها الفواح فتبتسم "مريم" وتقلب التحفة تتأملها معجبة ومشدوهة وتبتسم وهي تتأمل "سحر" مبتسمة قائلة لها أحيك على ذوقك الجميل هل كانت حقيبتك الجلدية البنية تحتوى تحفا اذن هنا ارتبكت "سحر" وتدخل "فؤاد" ضاحكا أن "مريم" تحب المزاج يا "سحر" فابتسمت "سحر" قائلة أنها ذكية عيونها تشع ذكاء وفضول ويضحكوا جميعهم بينما "كريم" يرد قائلا في الحقيقة ياطنط "سحر" أن من يحركها الفضول هي "ريم" وليست "مريم" فتنظر له "ريم" بضيق وغضب بينما "فؤاد" يضحك ويقهقه و"مريم" و"كريم" يضحكان و"سحر" تتجنب أن تنظر لـ"ريم" حتى لا تحرجاها فتبتسم "ريم" لدفع الحرج عن نفسها "فؤاد" ينظر لـ"سحر" بامتنان وهو يقول: نورتي حياتنا يا "سحر" نورتي بيتك ينتبه الأولاد إلى ما قال ولا يردون، وكلٌّ يحمل هديته بين يديه

فلا يملكون التوقف أمَام ما قال ولا الرد، كما أثقل الهدايا من ثقل العبارة على ما يبدو أو قيد الأولاد عن الرد فابتسمت "سحر" وهي تتأمل عينا زوجها بِوِدٍّ فجذب يدها وتركا الأولاد لهدايا واتجاها إلى الردهة و"مريم" تنظر عليهم بترقب بينما "كريم" ينظر للتحفة وهو شارد ويرفع نظره على الفور إلى حيث سار الاب ولا يعقب وينظر نظرة متعمق رابطا ما قال والده قبل أن ينصرف وبيده زوجته بينما "ريم" تبتسم وهي تتأمل هديتها بمكر وهي تهُزّ رأسها يبدو أنها الوحيدة من توقن أن أبيها ألقى بجملته في الوقت المناسب من وجهة نظره فتحمل هديتها بين يديها وتجلس في مكانها وتغرق في تفكيرها وتعلو جبهتها نظرة غاضبة وتغرق في التفكير كأنها انفصلت عن محيطها وهي تنظر أمَامها والتحفة تدور في مكانها بين يديها وكلما توقفت أعادتْ "ريم" تشغليها لتدار من جديد مصدرةً صوتَ الموسيقى، بينما "كريم" حاملا هديته و"مريم" ينظران لأختهما بترقب وبعيونهما تساؤل أو أنهما ينتظران منها وضع عنوان للحظة وما حدث بشأن الهدايا ولكنها شاردة تنظر بجدية أمَامها.

خلعتْ "سحر" فُستَانها وأبدلته ببجامة حريرية روز وجمعت شعرها بإحكام وعقصته وفتحت ظلفة الدولاب وعلقت فستانها وأغلقت الضلفة بإحكام وفتحت الحقيبة الجلدية البنية واخرجت منها محتوياتها في هدوء وبنظام وضعت محتوياتها من برفانات

على التسريحة وعدد من الكتب اخرجتهم ووضعتهم على رف في جانب من الغرفة واخرجت 3مفكرات ورقية مزخرفة من الغلافة متدرجات في الاحجام وضعتهم في داخل الدولاب وأغلقته بإحكام وتولت افراغ الحقيبة من محتوياتها وأغلقتها بإحكام وفي هدوء ووضعتها ويبدو أن فؤاد انهي مكالمته ودخل من البلكون إلى داخل الغرفة ولفت نظره ما ترتديه وطريقة جمعها لشعرها فتأملها في صمت ولم يبدِ أيّ رد فعل وجلس في جانب ولما رآها تنظر له ابتسم ضاحكا وهو يتأملها بإعجابٍ فتركتْ ما تقوم به واتجهت ناحيته وجلست قبالته قائلة: أولادك ودودين ومريحين

"فؤاد": لاحظتي ترحيبهم بك وارتياحهم لك؟

"سحر" تؤمئ برأسها في ارتياح وتقوُلُ: لقد كنت قلقة أن يحمل لي أحدهم قلقًا أو موقفًا

"فؤاد" بذهول:لِمَ؟!

سحر:لأني مكان أمهم هنا.

"فؤاد" يزفر بضيق ويتظاهر بالهدوء: أولادي لا يفكرون بتلك الطريقة فهو مطيعون ولا يفكرون إلا بما يتماشى مع ما أُريدُ. فتنظر له "سحر" مستغربة فيعيد كلامه بالتصحيح، يفكرون فيما يرضيني فقط، ثم أنا لن أسمح بأن يأخذ أيّ منهم موقفا لا يروق لي

"سحر" تنظر له منصتة فيبتسم وهو يتأملها ويضيف

لا تقلقي ياحبيبتى فتبتسم "سحر" لقوله ياحبيبتى وترتمى في حضنه فيقبلها برغبة ويتحسس جدسها ويفك شعرها ويشمه ويقبلها في كل وجهها ورقبتها ويهم بفتح ازرر البجامة متسائلة لما لبستيها يا روز؟ فتدفعه وتنظر له بغضب شديد ماذا تقول؟! "فؤاد" لم ينتبه لما قال ويستغرب لما دفعته ويبدو الغضب عليها بهذا الشكل ماذا ياحبيبتى تعالى يا "سحر"

فتظل تتأمله ولاتقترب وشعرها مفكوك أمَامه على اكتافاها وازرر بجامتها مفتوح فيهب واقِفًا ويحملها ويهجم عليها وينهال عليها بالقبلات ويحملها ويصعد بها على السرير!

خفضت "مريم" صوت الموسيقى بجوار "ريم" التي نامت وهي تذاكر فنبهتها "مريم" لتقوم إلى سريرها فانتبهتْ "ريم" بالفعل لتجد نفسها قد نامت وهي تذاكر فاستندت على كتف "مريم" إلى سريرها ووضعت نفسها في سريرها وقامت "مريم" بجذب الغطاء عليها وهي تمسح على شعرها بكفِّها في حنان وقبلتها فابتسمت "ريم" وهي مغمضةُ العينين وقالت: ناقص الحدوتة يا ماما! وحشتني!

فجذبت "مريم" الغطاء على كتفها بإحكام وهي تقول: تصبحي على خير. فردت وهي تتثاءب: وأنت من أهله

أغلقت "مريم" إضاءة الغرفة وتمَدّدت هي الأخرى في سريرها وعينها على النافذة التي يعكس ضوء القمر أنواره عليها من

خلف الستائر في عتمة الغرفة وهي تسبح في خيالها تغمض عينها وتفتحها بثقل وعينها تلمع في ظلمة الغرفة تراقب الضوء من خلف الستائر والنوم يداعب جفونها وتثقل حركة عينها لينتصر النوم ويلف جو الغرفة اجواء السكينة والهدوء

ومرَّ أُسبوع على زواج أبي، وبعد تلميح فتصريح أخبرناه برغبتنا في التوجّه لزيارة ماما. أخبرتُه أنا؛ ف"ريم" تعللتْ بأنّها مشغولة وستذهب وقت آخَر و"كريم" لم أطلب منه أن يخبر هو أبي في البداية استغرب أبي وأنا أخبره بطلبي الذهاب مع إخوتي لرؤية أمي تظاهر في البداية بأنّه لم يسمع ولكن عندما دخلت طنط "سحر" وكانت تحمل طبق من الحلويات الشهية بين يديها وقدمتها إليّ كانت رائحتها شهية وشكلها مغريا فرد أبي عليّ باقتضاب قائلا: يوم واحد فقط فأومأت برأسي ممتنة، وقدمت طنط "سحر" طبق الحلويات لي بإلحاح فتناولت قطعة ثم أخرى والتهمتها بشهية وقلت لها أنها طيبة الطعم بشدة فضحكت وقالت أنا من قمت بصنعها فاندهشت أنا وتناولت قطعة جديدة وسط ابتسامة من أبي والح في أن اجلس معهم فتأملتها بإعجابٍ لقد أعجبتني الحلويات لا أدري ما اسمها ولكنها قالت لي أنها صنف شامي وهي تحب الاصناف الشامية كما أن المكسرات في بيتنا اغرتها بعملها وستظل تصنعها فقد اكد لها أبي أنه يحب المكسرات ويجلب منها انواع كثيرة كل فترة والثانية

وتضحكا وهو يثنى على براعتها ومهارتها في صنع الحلوى وخرجت وتركتهم يضحكان وأخبرت "ريم" بأمر الحلوى وكم هي شهية ولذيذة ولكنها كانت منشغلة بتجهيز نفسها للقاء صديقتها التي ستتأتي لقضاء اليوم عندنا كما تعودت فهي و"مي" أصدقاء من الصغر لم أشأ أن اطلب من "ندى" أن تأتي لبيتنا فهي ترفض وأنا لا أحب أن تأتي إلى بيتنا فريم آخَر مرة جاءت فيها "ندى" عاملتها بأسلوب سخيف وتسببت في شجار بيني وبين "ندى" فلا أحب من وقتها أن يأتي أيّا من صديقاتي إلى بيتنا ولا أدري لما تقبل هي أن وتفرض علينا أن نعامل أصدقائها بأسلوب لائق بينما هي تتفنن في هجر اصدقائنا لفكرة المجيء إلى بيتنا فـ"مي" عندما تأتي تقضي طوال اليوم عندنا واظنها تود لو تقيم عندنا أسابيع وأشهر وتتصرف في المكان كأنه بيتها وهذا يغضب "كريم" بشدة، فهو يظل محبوسًا في غرفته حتى تنصرف، وقد أخبر "ريم" بهذا ولكنها كعادتها سخرتْ منه وقالت له: "انت من تسجن نفسك في غرفتك، لا هي ولا صديقتها من يفعل ذلك،وعليه أن يحترم أصدقاءها ويعاملهم بلطف عندما يأتون إلى بيتنا".

"كريم" لا يسيئ معاملة أيّ منهم ولكنه يعترض على مجيئهم المتكرر والمتواصل وبقائهم لفترات طويلة والمكوث عندنا لوقت كبير مما يحِدُّ من حريته داخل بيتنا، ولكن لا جدوى من النقاش

مع "ريم" فهي تفعل ما تشاء وتبرر الأمور كيفما ترى؛ فييأس "كريم" من جدوى أو فائدة النقاش فيسكت، أمَّا أنا فأنا أنتهزُ فرصة وجودهم في الجلوس في الحديقة وسماع الموسيقى فأقوم بترتيبها وأسقي الزرع بنفسي وأضع الطعام للقطط في الحديقة وأمكثُ طوال اليوم في الحديقة وأحتسي أيّ مشروب على أنغام الموسيقى في وقت الغروب حينها أترقب انصراف صديقات أختي ولكنهن لا يقررن ذلك قبل السابعة مساءً! وغالبًا ما ينضم إليَّ "كريم" وندردش معًا حتى الضجر إلى أن يحين موعد انصراف صديقات "ريم" من عندنا، وغريب أمرها تبتهج لرؤيتنا في الحديقة وقد تركنا لها البيت هي وصديقاتها، وكأن البيت يخلو لمجيئهم ويصير مهيء لاستقبالهم، وتطلب من طنط "سحر" في إعداد الحلويات وتقديم الشاي لصديقاتهم هذا بَعدَ الغداء أو حتى يجهز صحيح أن ما تقوم به طنط "سحر" هو تجهيز الطعام بيديها ولكن ترهقها "ريم" جدًا في أيام مجيئ صديقاتها فلا تكف عن الطلبات مشروبات وطعام، مرة مكثت إحدى صديقاتها إلى العشاء وقد نفد طعام الغداء فقامت طنط "سحر" باعداد العشاء حينها ثار أبي لأنه وجدها في المطبخ تعد الطعام لوقت متاخر ولكننا صرنا نرى طنط "سحر" تقف في المطبخ في أوقات مفتوحة وأحيانًا عند العاشرة!

لا أدري لو لم تكن الحديقة لدينا اين كنت اذهب هربا من أيام زيارات صديقات "ريم" الينا وأبي لا يتدخل ولا يحاول أن ينهي تلك المسالة وهذا يروق لـ"ريم" بالطبع حتى أنه أنا و"كريم" نترقب لحظة ثورة أبي على هذا ولكنها للان لم تأتي ولكن أراهن "كريم" باستمرار أنها اقتربت حتى يوم الجمعة الماضية تراهنا هو يقول أن أبي يفضل أن تحول البيت لملهي على أن يرى لي بوزها!ويخرج من المناقشة فائر الدم بلا نتيجة ومستفز بلاطائل كما وأنّه تخصه بجو كئيب لا يام وقد قال "كريم" شيئًا تعجبت له بشدة وهو من أين جاءت "ريم" بتلك الحيلة؟! لما يصف سلوكها هذا بالحيلة هل لأنها تجعل أبي يغض الطرف عن مجيىء صديقاتها باستمرار والمكوث لساعات لدينا وتمثلهم لعبء في صخبهم وعددهم؟! ولكن ماذا في مجيء صديقاتها إلى البيت فكل الصديقات يتزاورن بموافقة وعلم الاهل وأن لم أفعل هذا أنا ولكن هذا معروف ولكن لما سماها "كريم" ووصفها بالحيلة؟! كما أنه قد ارجعها إلى أنها طبع كان يقصد أن ما تفعله "ريم" عن قصد واعداد ودارية لما تفعله وتسلكه ولكن هل أبي لا يعلم بهذا ام لأنها الكبرى فهو يمنحها امتيارزات بأن يسمح لها بما يضيق عليه معي أنا و"كريم"؟! ربما فريم بالفعل لها امتيارزات لدى أبي ويمنحها عدد منها فهو يستشيرها في بعض الأمور ويتجاهلنى أنا و"كريم" ويثور علينا وهي لا ويحرص على السؤال

عليها أكثَر منا ربما لأنها الكبرى واا في الحقيقة ارجع تهرب "ريم" من لقاء أمي إلى المكانة التي تمتاز بها عند أبي من مثلها لدى أمي فأمي لا يعجبها الكثير من تصرفات "ريم" وتقلق بشأنها أكثَر منا ولا يرضيها أسلوب تفكيرها ونظرتها لبعض الأمور وقليلا ما تتفقان على شيء كلنا نميل إلى من يعطينا من الاهتمام والاتفاق ونبتعد عن من يرفض تصرفاتنا ويكثر في مراجعتنا ونهينا عن ما نريد كما أنّنا لم نعد صغار أمي ثبت بها الوقت عند طفولتنا بينما أبي ينتقل معانا من مرحلة إلى الثانية لا ألوم أمي ولكن هي تبالغ في الحرص والاهتمام الخانق فأبي هو الآخَر يهتم ولكن لا يخنقنا باهتمامه مثلما تفعل هي كما أنها صارت عصبية في سنواتها الاخيرة وكثيرة البكاء الجلوس معها كان يحتاج إلى صبر ربما بَعدَ أن تركت أبي اختلف الأمر وصارت أهدأ وأكثَر ودا وسلاما ولكنها مازالت تخنقنا في اهتمامها وتحيطنا بهالة من الخوف مخاوفها حولنا دائما تتصل دائما تسأل وتستفسر وتدقق وكل هذا خانق وغير مريح لِمَ لا تفعل مثل أبي الحياة معه أكثَر رحابة وانطلاقا ملابسنا لاتعجبها لما وأبي يجلب لنا ملابس غالية الثمن وأنّيقة وعلى أحدث موضة لما تتذمر من اختياراتنا وتظهر في عينيها الرفض والدهشة لا أدري لما تندهش هل تظل اذواقنا في اختيار ملابسنا كما كنا صغار هي تركت أبي منذ 6سنوات ونحن كبرنا هل

سنظل نختار بعقلية وعمر طلبة في المراحل الدراسية "كريم" كان في الصف الثاني الإعدادى وأنا في الأول الثانوى أمَّا "ريم" فكانت في اولى جامعة قد كبرنا وتبدلت أذواقنا وإهتمامتنا حتى أن الألوان تثير دهشتها هي تحب من الألوان الزاهية كل درجاته انتقالا إلى الأحمر ونحن نحب البيج والرصاصى هي لاتفرض الألوان علينا ولكنها تندهش من تركيب الألوان مع بعضها هي ترى أن الأخضر لا يلبس مع البنى ولكني أراه أنيقا كما ترى أن الأحمر لا يلبس مع الرصاصي ابدا و"ريم" تفضلهما معًا لا أدري لما تتعمد أمي أن تنوع مظاهر الخلاف معنا هو اهتمام بكل تفاصيل حياتنا ولكنه بالفعل خانق ومقيد كثيرًا ما تضعها "ريم" أمَام الأمر الواقع لاتستشيرها الا بَعدَ أن تتخذ القرار تصمت أمي في البداية ويحتقن وجهها بالغضب ولكنها تصمت ولا تتكلم ولكنها أن ثارت يتلبسنا الخوف فهي على قدر رقتها فان غضبها غير عادى فهي كثيرة الصبر ومريرة في الغضب لا أخشى منها الا لحظة نفاد صبرها تتحول أمي إلى وحش مريب ومهيب ومن حيث لا تدرى تستعيد كل اخطائك التي لم تنبته أنت لفعلها في لَحظةٍ تسترجع كل ما تحملته وصمتت عنه فتلقى به في وجهك تعريك من غفوتك فتلقى فوقك كل اخطاءك وتجاوزاتك في حقها لتتركك تنفرد بنفسك برهة تلو الأخرى بين فواصل نوبات غضبها لتسأله نفسك هل هذا الموقف اغضبها وهذا أيْضًا لما مررت كل

هذا ولم تبدئ على أيّا منهم ثورة أو رفض أو حتى عتاب لما تمتص اخطاء الآخرين بتلك الكيفية التي تسممها وتشقيها إلى وقت تثور فيها وتنفجر جيوب شقائها لما تفعل هذا في نفسها حينها تجد نفسك لا تدرى اتشفق على كم احتمالها لما صدر منك ام تتوارى خجلا من تكرار اخطائك وكثرتها ودن أن تراجع نفسك وتنهاها على التكرار لتتفاجى بها في سجل مسطور في قلب وصدر أُمَّك يستوقفنى هذا التصرف والمنحى في طباعها لما تحتمل فوق طاقتها لما تمتص ما يغضبها لِمَ لا تتحدث اول باول هل بلغت من التعذيب لنفسها أن تلتقتط كل ما يديمها للداخل وتكتفي باخراج كل هذا دفعة واحدة هو في الآخَر ثورة غضب ولكن إلى أن تأتي تلك الثورة لما كانت تتجاهل ما يؤلمها ما يتماوج بداخلها من ضيق وبذور للضيق والألم؟ هي مخظئة في كل هذا ولا يعفيها أمَام نفسها من حملات التعذيب التي تخص بها نفسها اختلف معها في هذا وأبي مختلف عنها في تلك هو قد يقول في ثورة غضبه ما يهدم سد ولكنه لا يترك شيء يغضبه أو يكتمه في قلبه هو يقسو بشدة على من اغضبه ويعمد إلى سحقه وتجريحه هو يبالغ ومفرط في هذا ولكن أفضل قليلا من أن يخص نفسه بتعذيبها وكتمان ما يؤلمه بداخل صدره

ولا أدري هو طبع ام قناعة ام ماذا على وجه التحديد لم أكُن أتوقف أمَام ردات فعلها المكتومة أمَام مواقف لا يعقل فيها الصمت مُطلقًا ولكنها كانت تفعلها كثيرًا وفي الحقيقة لم أكُن أتوقف كثيرًا أمَام هذا ولم اسالهم من قبل بجدية يمكن أن أتعجب متسائلة لكونى شاهدة على الحدث هذا ليس بجيد ولكن كانت أمي لاتمل من النقاش والحوار فما أن اسالها وأقوُل لما ستفاجئنى بفيضان من الكلمات تشرح فيه الموقف وابعاده كان يليق بأمي أن تصبح طبيبة نفسية خبيرة بعلم نفس الآخرين أو مدرسة لغة عربية تشرح بلاملل لقد كنت محظوظة الآن أنّي قد تجاوزت مرحلة الدراسة الابتدائية والاعدادية لا اتخيل كم كنت احتمل الجلوس لساعات وهي تشرح وتعيد وتكرر كان عذاب لو كان يتم اليوم خيرا أنّي كبرت والمرحلة تلك انقضت كانت تستعذب الاثقال على نفسها! كنت افهم منها أكثَر من مدرسينى ولكن ثمة الم يدق جبهتى من طول الوقت العجيب أنها كانت تشرح باسهاب دون ملل حتى أنّي لا أنسى ذلك البريق في عينيها وهي مستغرقة في الشرح وكم كانت منتعشة وهي تقوم برسم اعقد الخرائط في الدراسات كنت اقترح عليها أن تستعمل ورق الزبدة الّذي نشف به الروسامات بتتبع القلم وتحديد المنحنيات ثم تحديدها بالقلم بخط سميك وواضح لتطابق الاصل وكفي ولكن أمي لاتفوت تلك الفرص فكانت تجيد رسم الخرائط

كما تجيد عمل كل شيء وتطيل وتسأل هل من خرائط أخرى؟! كأنها تسألنا عن وردة ستشمها ولكني كنت أحب سماع صوتها وهي تلخص لنا القصص المقررة في اللغة العربية سواء لي أو لإخوتي كانت تشرح لـ"مريم" من سنوات وهي في الصف الثالث الإعدادى قصة طموح جارية عن حياة وسيرة شجر الدر تلك الجارية المملوكية وكيف صارت تحكم البلاد في وقت انتشرت فيه الفتن كنت أحب تلك القصة وأحب سماع سردها من أمي كان يهيء لي أنها هي شجر الدر لديها من صفاتها ولكن أبي كان أكثَر من السلطان المملوكى على المماليك الآخرين لم يكن نجم الدين لها بل كان مثل الّذي يسعى لتحطيمها كان يسخر من اراءها والتي كانت وأمي لاتعلم ينسبها لنفسه أمَام الآخرين لقد عاصرت موقفين كان أبي يتحدث كان الرأي له بينما كان راي أمي كما مع أنه كان اولى به أن يثنى على نباهتتها فهي عون له فالرأي السليم سند ولكن هكذا كان يتصرف معها كان يكره جاذبيتها كان يقلل منها ويلجا لاوصاف حادة وفظة كانت تتلقفها أمي كالمصعوقة كم كانت رقيقة وحالمة وأبي مملوك بحرى مغتصب للسلطة يطمع في بسط نفوذ باي طريقة وفعلا كان نافذ السيطرة وكانت أمي تحترمه بافراط ككل شيء تقوم به لو كانت تتصرف باعتدال معه لما كان يتجبر عليها بهذا الشكل وكانت تود وتنصحنا أن تستنسخ نسخ منا أمي كانت يعمها

الحب أو تركيبتها المتشابكة والغير واضحةكانت تحترمه بشدة وتطيعه بشدة وتحرص على أرضًا ئه بشدة وكان هو يقابل كل هذا بكل شدة أبي ارعن كبير لا تدرى أمي كيف يعامل الآخرين لقد احتجت وقت لاكتشف جوانب في شخصية أبي أراهن أن أمي نفسها لم تكن تدركها فيه لقد رأيت الباعة تنفعل عليه فقلت في نفسي أنها سوقية وقليلة الذوق ولكن أبي كان يتحدث عليها في المول بفظاظة لقد نسى أنها ليست أمي التي تصمت إلى أن ينهي ثورته فقلد انفعلت عليه وجذبت الملابس منه وهو يتبرم على كل قطعة نختارها لا أدري لما كان يتصرف على هذا النحو يومها كما أن بن صديقه كان يتناقشان في حديقة بيتنا ويتحدثان عن السيارات وكان هذا الولد كبير ولكنه كان غير مهذب مثل والده الّذي كان يعاملنا بأدب ولطف لا أدري لما انقطع وتوقف عن المجيء لأبي أو يمكن أنه يأتي ويجلس مع أبي المعرض ولكن يومها انفعل هذا الولد لا أذكر اسمه قد ولكنه انفعل بشدة على بابا وتعامل أبي بهدوء جم استغربت له وأيْضًا يعامل النساء خارج البيت بلطف بالغ ووقت الخلاف يبدو كحكيم بوذى لا أفهمه أحيانًا ولكنها مخطئة نظرتها للامور غريبة تظن نفسها داخل محمية كل شيء محل الصيانة أمي اقرب إلى كائن مهدد بالاندثار نادرة لحد الاستفزاز لا أفكر كثيرًا في تناقضات أبي المتعددة ولما افكر هل لاغضب نفسي لا أُريدُ

أن أعرف أكثَر مما أرَى اود أن تنطلق الأمور في وجهتها الصحيحة لكم آلمني طلاق أبي وأمي أحدث هزة في سفينة حياتنا شعرت أن سفيتنتا جفت المياه من حولها وتوقفت في الطين لاتتقدم ولاتتاخر هزة عنيفة الاعنف منها مشاهد ضرب أبي لأمي وبكائها المتقطع كنت اشفق عليها كان يبالغ في رد فعله عليها بينما هو يتحكم جَيِّدًا في رد فعله لا أدري لما كان يفعل ذلك فقد مَرَّ على زواجه اربع شهور ولم أسمع صوته علا أو تعصب أو ألقى بشيء على الأرض في ثورة غضب أو اعتراض صوته هادىء لا يثور ولا يشتم ولا يضرب هل تغير بَعدَ الطلاق هو وأمي أمي تغيرت هي الأخرى كلما ذهبنا إليها أراها أصبحت أهدأ وتتعافي من عصبيتها المفرطة والارهاق البادى في عيونها وعلى ملامح وجهه انقشعت مانعتها قوية ضد الالام والصدمات ولكنها كانت حزينة على نفسها هكذا قالت لي من قترة سمعتها تقولها لخالتي التي ربتت على يدها والدموع تمتلئ بعينها فلقد كانت أمي تبكي بنحيب ومتأثّرة للغاية وصوتها محشور بداخلها تطل الكلمات مخنوقة وغير مفهومة كانت دموعها تمسك بزمام الموقف كانت متأثّرة للغاية لكونها تطلقت وهي في اوائل الثلاثين لم ارها متأثّرة وهي تغادر البيت بهذا الشكل بل أنه يومها كانت هادئة أكثَر من تالك اللحلظة فقد كانت هادئة وعازمة يومها قال لها خالي الأكبر اهدئى لاعليك

لقد وضعتي فاصلا لتعبك مع هذا الرجل يقصد بهذا الرجل أبي لما كان يتحدث هكذا عن أبي وفي حضورنا هذه لم أقبلها منه حتى أمي التفت ناحيتنا تتامل عيوننا وهي شبه معتذرة عما يقوله خالي فقد كان ثارا بعض الشيء لأجل اخته كان وهي صامتة شاردة عيونها قلقة تدور في كل المكان كان أبي قد جاء عدة مرات إلى بيت جدي لصالح أمي ويأخذها معه ويعودا إلى بيتنا ولكن أمي رفضت فهي كانت عازمة على الطلاق لم ارها تصر على شيء كما كانت تصر على رغبتها كان أبي مضطرب لا يعرف ماذا يفعل وكان لديه امل كبير في عودتها ولجا لكبار عائلاتها وعائلته للتوسط بينه وبين أمي ولكنها كانت ترفض العودة وانفصلا بالفعل لم أبكي كالاطفال وكان كان يسيكر على صداع كبير واحساس بالدوار "ريم" قالت لي يومها أنها تشتعر أنها ضائعة بينما "كريم" كان صامتا يتكئ للخلف إلى سريره لأنه تركنا وظل بغرفته لوقت وأغلق بابه عليه اظنه لتجنب ما قد تقوله "ريم" عن أمي فهي ولا أدري لما تفعل هذا في شكل مباغت تطلق الاحكام القاسية عليها وتميل إلى كفة وترجيح كفة أبي في أنه معذرو وتلتمس له الاعذار وتقلل من اخطائه بينما مع أمي فهي قاضى يفصل بكل حيادية ويحكم بنزاهة مطلقة في حالة كان التقصير من جانب أمي بينما في حالة جاء التقصير والتجاوز من أبي فهي تصمت لحظة ثم تهُزّرأسها كأنها تفتش

عن سبب لما قام به في قرارة نفسها ترفض أن تلقى باللائمة عليه سمعتها تقول أمَام أمي أنها تحب أبي أكثَر منها يومها ابتسمت هي ولم تَرُد بينما أنا و"كريم" نظرنا لـ"ريم" بتعجب وسخرنا منها وقولنا نحن نحبك أكثَر يا ماما لم تَرُد علينا فقد كانت تقلب في صفحات الكتاب لتهم بشرح درس آخَر ولكن شعرت أنها استغربت لما قالته "ريم" ولكنها كعادتها تسحب ما يضايقها للداخل وتغلق عليه بإحكام واستئنفت الشرح كان "كريم" يواصل مذاكراته وتقوم بالشرح لي وكانت "ريم" تجلس وهي تحفظ كلمات الانجليزى وعادت لتوها لما تفعل سالت "ريم" لما قُلتِ هذا هل حقا تحبين بابا أكثَر من ماما فاجابت أحبهم هم الاثنين ولكن أبي أكثَر حنانا من أمي معي وأكثَر تقبل لطبعى فماما دائمة الانتقاد لي وتوجيه النصح بينما بابا يفهمنى ولا يعنفنى مثلا كثيرًا فقاطعتها قائلة هل تتحدثين عم بابا الّذي أعرفه فقالت بلى فقلت لها هو لا يريد أن يسمع أحدًا فالبالتي لا يتوقف كثيرًا أمَام مايصدر من كل منا هو يميل إلى أن يريح رأسه فابتسمت ساخرة فتأملتها بلوم فقالت اعلم انك ستدافعين عنها ولكن هل هي من قالت لك أن تسأليني هل حقا أحب بابا أكثَر منها؟! لم أردّ عليها ولكن اندهشت لظنها هذا فأمي لم تهتم بهذا وأن كنت اظنها تأثّرت قليلا وتفاجئت من رد ريم"! لعل "ريم" محقة في موقفها من ماما فهي بالفعل كثيرة الملاحظة والمراجعة لتصرفاتنا

ولكن هذا دورها كام وأن كانت تبالغ كعادتها دائما تجاه باقي الأمور والاشياء ولكن ما هو معلوم لنا جميعًا أنها كثيرة وبالغة الاهتمام بنا أكثَر من أبي وأن كان ينقصها المرونة بعض الشيء والتخفيف من هلعها أن تاخرنا وضيقها أن قصرنا في واجباتنا "كريم" يوم انفصل أبي وأمي ظل في غرفته لا يفتح الباب لنا وتجاهلته "ريم" عن عمد وأخذت تلقى باللوم على أمي وعلى أبي لأول مرة يتعادل الاثنين في القاء اللوم من جانبها عليهم تركتها تتكلم إلى أن لم تجد منّي رد فصمتت ودخلت إلى غرفتها تتحدث إلى صديقتها في الهاتف "ريم" مثل أبي تعرف كيف ترجىء متاعبها لأجل غير مسمى بينما أنا اعيش اللحظة أيّا كانت فقد كانت حالتي النفسية سيئة ووجدت نفسي بمفردي واخى يفصل بينا باب واخى باب غرفتنا على يمينى والنور مضاء ولكني وحدى بابا يومها لم يعد من الخارج الا بَعدَ الثانية فقد كنت متيقظة لم انم يومها فبعد أن جلست مع "كريم" نتحدث بخصوص ما حل ببيتنا وجرى قصدت غرفتي وتجنبت الحديث مع "ريم" لقد كنت أُريدُ أن اختلى بنفسي بَعدَ حديثي مع "كريم" وظللت ساهرة إلى بَعدَ الثالثة فشعرت به وهو عائدا ما قاله "كريم" هداني لقد كان يرى أن أمي محقة في ترك أبي واننا يجب أن نتقبل الأمر ولانلقى باللوم عليها ابدا فكل ما دفعها للطلاق لم يحكي لنا أحدًا عنه فقد راينا كيف كان يسيئ معاملتها أمَامنا

وحكى لي كيف أن اصدقائه يحكون كيف تتصرف امهاتهم مع ابائهم بعضهم كما حكى لي تزجر زوجها أمَام أصدقاء ابنها وأخرى صوتها أعلى ببجى ومطارات ببجى بيتهم مثل مدادات اجواء اللعبة ومع ذلك تستمر الحياة هنا تخيلي اجواء كهذا مضطربة وصاخبة ولاتعلمين من الرجل ومن المرأة واين الأولاد لاتلومى ماما ابدا على عزمها ترك أبي فهو لا يستحقها هكذا يكرر "كريم" وبعد الطلاق وليلة زواج أبي وحتى أن فاتحت الموضوع معه بَعدَ سنوات هو ثابت عنذ هذا الرأي أنه لا يستحقها! هل موقفه هذا من أبي الّذي يكون على عكس والنقيض تقريبا من موقف "ريم" أن أبي يعنفه باستمرار ويلوم عليه أيّ تقصير لا أدري ولكن "كريم" مهدب ويحترم أبي ويطيعه هو الاقرب منا لماما ولكنه كولد أنا اندهش أنه ليس بقريب من أبي مثل ما هو المفترض لبقية الأولاد مع ابائهم لا أحب أن المح لهذا الشيء مع "كريم" حتى لا أجرح شعره "كريم" مرهف الحدس ولطيف ويتحسس فمه قبل ظهور الكلمات وأن غضب يصمت لا ينفعل الا في الضرورة وأنا لا أحب أن أراه غاضبا ولا أُريدُ أن يغضب أُريدُه كما تقول أمي دائما قريب منا "ريم" تسخر منه دائما وتتهكم على كل تصرفاته أمس احرقت ملزمة الفيزياء له رايتها ولكنها قالت أنها كانت تحرق ورقة عليها قرأن قلت لها ورقة ولكن الدخان المتصاعد أكثَر من دخان يتصاعد من ورقة

ثم لما لم تجمعيه في كيس وتبلليه وتلقى به في جانب من الحديقة والشمس تاكله كما قالت ماما كم حذرتك من الدخان المتصاعد والناجم عن الحرائق أنه مؤذى وأن الأوراق أن كانت كثيرة فهي خادعة فقد تعلو وتنطلق بعيدًا لتصتق باي شيء وتنشب حريقة وذكرت كيف تحدث الحوادث من أسبَاب بسيطة من الاهمال ظلت تسمعنى فلاحراك ولأتراجعنى فهي مثلي قد سمعت هذا الكلام مرارا وتكرارا من أمي هي الأخرى سمعته وتوقنه تمامًا كانت تراقب بعينها الورق وهو يحترق ووضعت عليه الماء في الحوض وسكبت وفتحت عليه حنفية الماء وجمعته بلبس الجو"ندى" الجلد المعلق أعلى الحوض وجمعت بقايا الورق المحترق وأدخلته كيسا والقت به في السلة الموضوعة اسفل الحوض وخلعت الجو"ندى" وتركتني وخرجت وهي تتنهد بانتشاء ظللت اراقبها وأنا لا أجِد تفسير لما فعلت علمت أن الّذي احرقته ملزمة "كريم" عندما وجدته يخرج من غرفته لاهثا وهو يسألني الم ترى ملزمة الفيزياء ابحث عنها من أمس ولا أجِدها فتوقعت أن "ريم" فعلتها فقلت له سابحث لك عليها ودخلت غرفته ابحث عنها لابعد عن فكره أن تكون "ريم" هي من فعلتها فالشجار بينهم ينشب بلابوادر ولا أسبَاب فكيف الان!. هكذا هي علاقتهم ببعضهم البعض وأنا اعمل كحمامة سلام فيما بينهم على الدوام وضقت ذرعا بهذا الدور "ريم" كالتي

ارتاحت من وجود أمي في البيت فلا أحد يراجعها أو يحاسبها تفعل ما تريد ترتدى ما تريد ولا تريد أمي ويغض أبي الطرف وتصادق من تريد ولكن أبي ثار وأمرها الا تصادق تلك الفتاة التي لمحها تخرج من بيتنا في أحد الأيام وتحفظ على أن تدخل بيتنا وتعرفها أختي فقد كانت تلك الفتاة أكبر منا وتسكن بجوارنا في الشارع المقابل ولاتعرفنا فَجْأةً وحدنا "ريم" تستقبلها في بيتنا ولم اسأل أبي لما نهي "ريم" بكل جدية وحزم على مصادقة تلك الفتاة وخير فعل فأنا لم أكُن ارتاح لها ذات يوم رآها "كريم" كان له تعليق في وصفها اضحكنى بشدة واقلقنى في ذات الوقت لقد قال كيف من تلك الجالسة مع أختك هل تود أن تتجه للرقص الاستعراض هذه الفتاة اقرب إلى فنانة استعراضية فضحكت من وصفه هذا وفرحنا جميعنا وأبي ينهرها على اختيارها لصديقاتها كنا جاليسن نحن وهي و"كريم" بَعدَ انصراف صديقتها هذه سررنا لزجر أبي لـ"ريم" وكان "كريم" يكتم ضحكاته وهو يتظاهر أنه مندهش ويرسم قشعرة لجبهته كأنه يسمع بالأمر لأول مرة كانت "ريم" ساخطة وغاضبة للغاية وبعد أن انصرف أبي وخرج دخلت الغرفة وأغلقت الباب بشدة وجدناها فرصة أنا و"كريم" لنطلق ضحكاتنا وفؤجنا بها تخرج فَجْأةً وراتنا نضحك ونحن ننظر على باب الغرفة فنظرت لنا بذدراء ودخلت إلى الحمام لم تكن تبكي لما دخلت فكتمنا ضحكنا ولما سمعنا صوت ماء في الحمام

اطلقنا ضحكاتنا من جديد وفتلتت ضحكة عالية من "كريم" فجاءت "ريم" على الفور وقالت له ياغبى فضحك الغريب أنها تركت الماء مفتوحا في الحمام فجريت لأغلقها وظللت اضحك وأن أسمع "كريم" ي قُلْ لَها متقمصا دور أبي ويقلد صوته ويكرر ما قاله كونى مثل اخواتك فأنتِ الكبرى كيف تصاحبين فتاة كهذه أنا أعرف أهلها لا أُريدُ أن أراك تصادقين بنات من تلك النوعية فصرخت "ريم" وهي تقول له اسكت فتجاهل كلامها وثورتها وقال لاتجلعيها تأتي هنا مرة أخرى فقالت له "ريم" ياغبى ياغبى

فكرر وهو يضحك مرة آخَر ى وظل يقهقه ويضرب وأنا خرجت من الحمام في اتجاه الريسبشن قُبَالَةَ "كريم" الّذي هم بدخول غرفته وتبادلنا الضحكات بصوت عال ومن داخل غرفتنا "ريم" القت شيبا على الأرض لقد سمعت صوت ضحكاتنا على ما يبدو!.

في صباح اليوم التالي تناهي إلى سمعنا ونحن نجلس نشاهد التليفزيون مساءً صوت أبي وهو يتحدث وكان صوته عالِيًا بعض الشيء فتحرجنا أن نخفض صوت التليفزيون حتى لانتسبب في الحرج لأنفُسَنَا ونبدو وكاننا نريد أن نعرف ما يقول وماذا يجري فابقينا على صوت التليفزيون كما هو ونحن ننظر لبعضنا البعض بدهشة واستغراب وصوت أبي ما زالنا نسمعه من الجوار من خلف ابواب الشقة الكبرى ملاء الفضول وجه "ريم" الا

أنها حذت حذونا وتظاهرت معانا أنها عاودت مشاهدة الفيلم ورغم أن الفيلم كان مثير لالاند ومشوق الا أن صوت بابا وهو ثائر كان أكثَر تشويق وغموض فنحن تقريبا ق تناسينا صوته الثائر ونوبات غضبه داخل البيت لما ثائرهو الآن وغاضب كهذا وكان صوت طنط "سحر" غير ظاهر تتكلم بطبقة أقلّ من طبقة صوته ولكنه تتحدث هي الأخرى كل هذا ولم نتمكن من معرفة ما يجري وبالطبع لم نهتم أن نعرف فقط اثار فضولنا لماصدى الصوت المفاجئ الّذي تناهي إلى أسماعنا مخترقا الجدًارن إلى الشقة المجاورة وسكت صوتهم فَجْأةً بَعدَ أن شوش على مدة من إحداث الفيلم وفي الصباح لم الحظ على "سحر" أيّ شيء كانت "ريم" و"كريم" أيْضًا يتوقعان أن ثمة اثار على وجهها سنراها على الفطار في اليوم التالي ولكننا وجدناها قد أعدَّت الإفطار وقدمت شاي بحليب بجوار الإفطار كنا مندهشين لسببن وجود الشاي بالحليب ومن تعاملها الهادىء معانا في صبحية يوم الشجار لم يجرو أحدنا على أن يحملق في وجهها فتناول كلا منا افطاره وشربت كوب الشاي بالحليب وكان لذيذا وضعتنا في دهشة فقد كان لذيذا بحق تسربنا بَعدَ الإفطار وتركناهم "كريم" ذهب للقاء أصدقاء في الملعب بينما أنا و"ريم" خرجنا وقد كنت بصدد أخبار أبي للإستئذان والذهاب إلى أمي ولكن لما جرى فضلت الا اطلب منه وقضينا اليوم معًا أنا و"ريم" في حيرة وإثرنا

ما رأيناه اليوم على وجهها كانت مبتسمة ونضرة ومنتعشة لم يبدو عليها أيّ إثر لغضب أو غيره ظلت "ريم" شاردة وأنا أحدّثها بشأن ما بدت عليه طنط "سحر" وأبي فقالت بَعدَ صمت يبدو أنها تفهم أبي وتعرف كيف تتعامل معه أراها ذكية ومتزنة في تصرفاتها شعرت أن "ريم" معجبة بها وتلمز بالكلام لجهة أخرى شوشت على حدسى ولكنها ظلت تقول وتكرر رايها فسالتها عن "مروة" الن تأتي لك اليوم فقالت هي على وصول فاندهشت كيف هي على وصل وقد كنا ننوى للذهاب إلى ماما فقالت بضيق لم أكُن لاذهب ولكن لم ارضى أن ارفض فيجدها أبي حجة ليرفض ذهابك أنت فسكت ولم أردّ ودارات برأسي الأفكار وكنت أطردها اول باول لا أُريدُ أنا اناقشها أو أن أتوقف عندها وقضيت اليوم وحدى في الحديقة كان الجو مشمش وصوت العصافير شجى كأنها تشاركنى خواطري وحالتي كنت غير مرتاح في جو أكثَر من هادىء ومريح فالصخب الّذي يملائى كان أعلى تشويش على المحيط وما يحيط بي والح على سؤال هام لما يعامل أبي زوجته أفضل مما يعامل أمي هل كما قالت "ريم" أن طنط "سحر" تفهمه جَيّدًا وأكثَر كيف فعلتها "ريم" وعقدت مقارنة بين أمي وأخرى لما تتخذ "ريم" هذا الموقف من أمي؟ طنط "سحر" تعاملنا معاملة طيبة وهادئة طول الوقت ومبتسمة لم يصدر منها أيّ تصرف يضايقنا أنا أو أخواتي ولكن هل هي بالفعل فهمت أبي

لذلك هو يعاملها أفضل ما كان يعامل أمي طردت كل تلك الأفكار المحبطة بالفعل هي محبطة لأنها تجعلنى أرَى أمي مقصرة ومتخبطة ولم تنجح في كسب أبي ومن ثمة البقاء معنا فضلا أن ان تتأزم حياتهم وتفقد قدرتها على فكرة الاحتمال والاستمرار معانا فتصر على الذهاب وتبتعد لا أفهم هذا الأمر "ريم" متحاملة على أمي متحاملة كعادتها لان أمي كثيرة الانتقاد لتصرفاتها وطريقة تفكيرها أمي لم تخطئ وكانت من الحكمة والزرانة وهي تتعامل معه كانت محقة يتهداي لسمع "مريم" صوت من النافذة المطلة على الحديقة فتبتسم وتهِبُّ واقفةً وكأنها تتوقع حدوث ثمة ما يؤيد فكرتها فتقف مكانها وتشب لترى ما خلف النافذة فيتوقف الصوت فتجلس على طرف الكرسيى وتبعد الطرابيزة عنها قليلا وهي مترقبة للقيام لم تعد في جلستها المريحة المتسرخية مثل قبل وفَجْأةً يتجدد الصوت ولكن هذه المرة تتحقق من وجهته فهو يأتي من الشارع لصوت ثمة أحدهم يتحدث في التليفون بجوار سور الحديقة تحت الاشجار وقد انصرف وابتعد لان الصوت يخفت تدريجيا فتلتفت إلى الداخل وهي شاعرة بالخيبة فقد كانت تتمناه من جهة أخرى بداخل البيت تغرق من جديد في أفكارها وتنتبه على صوت "مريم" وهي مغادرة البيت أخيرًا بَعدَ مررو أكثَر من ثماني ساعات وزعتهم "مريم" بين مشاهدة التليفزيون لساعتين والجلوس في غرفة "كريم" ساعة

ونصف وباقى الوقت قضته ما بين المطبخ والحديقة تعد مشروب بَعدَ آخَر وتتجول في الحديقة تارة وتارة تجلس تظل "مريم" في مكانها متجاهلة وقوف "مروة" قبالتها باتجاه الباب الكبير لتغادرة في انتظار أن تقوم وتسلم عليها بينما هي واقفة يكملا حديثهما هي و"ريم" ويتضحكان وتشد "ريم" على يدها كأنها تلح عليها أن تبقى للغد! و"مروة" هي الأخرى وقد انفتحت شهيته للحديث فقد مرت ربع ساعة وهما يتحدثان ماذا تقول ثانية هل مع السلامة تستغرق كل هذا الوقت ام أن كما يقال عند الوداع تنتبه الأحاسيس على ما لم يقال ويحضر كل ما يختبىء ويظهر ليقال وددت لو كان "ندى" تجئ هي الأخرى وتقضي يوما من كل أُسبوع هنا معي في بيتنا كان سيكون يوما جميلا ممتعا وقد استشعر ما تحسه الآن "مروة" و"ريم" ولكن أهلها يرفضون مجيئها إلى هنا كما أنّي لا أحب أن اذهب إلى هناك كيف أمكثُ في بيت صديقة لي كل هذا الوقت وبانتظام هل لا يرفض أهلها المجيء إلى هنا والبقاء كل هذا الوقت في بيتنا لن أخبر أبي أن "ريم" هي الأخرى تمر من وقت للاخر على بيوت صديقاتها حتى لا يتشاجر معها لن أخبره تنصرف "مروة" وتغلق "ريم" البوابة خلفها وتتجه مباشرة إلى "مريم" تشاركها جلستها وتقوُلُ وهي تقترب من مكان جلوس "مريم" لقد كانت "مروة" تريد أن تسلم عليك فلم تَرُد "مريم" عليها وتظاهرت أنها

منشغلة بتشغيل جهاز تشغيل الاغاني والموسيقى (الصب) فعمدت "ريم" وسط ارتياحها ونشوتها بَعدَ قضاء الوقت الشيق مع صديقاتها "مروة" تسلم عليك "ريم" بسرعة خاطفة الله يسلمها

"ريم": كل هذا الوقت جلستي هنا وحدك كنت اظن "كريم" جالس معَك

"مريم": "كريم" ذهب إلى النادي كان الجو رائع فجلست هنا كما ترين

تتلفت "ريم" حولها وتشتشعر بجمال وصفاء الجو فتقول لديك حَقّ فعلا الجو مدهش اليوم وتتأمل "مريم" بتأثّر وبنظرة متفحصة ولكن ما بك؟

"مريم" ترفع رأسها وتنظر مباشرة في عيني "ريم" متعجبة

"مريم": مأبي؟!

ريم بيقين وجزم وهي تهُزّ رأسها تؤكيدا للسؤال

فتزيح "مريم" هما اعتلى جبتهتا وتقوُلُ لا شيء

فتقترب "ريم" منها وتهُزّ ركبتها بِوِدٍّ وهي تقول

"ريم": لاتتعبى هذا

وهي تهُزّ جانب رأسها بعزم وجدية

وبحرص لأنك ستتعبين

"مريم" تتحاشى النظر في عينا "ريم" فقد كانت محقة فيما قالت هي قضت جل وقتها في التفكير و"ريم" خبيرة بطبيعتها وتهُزّ

ركبتها ثانية في استجدًاء الرد ف تَرُد "مريم" في هدوء "مريم" سأحاول

"ريم" تمسك يدها وتوقفها وهي تقول "ريم": تعالى ندخل لقد أقترب الغروب تعالى ندخل وتقوُلُ "مريم" وتسير مع "ريم" باتجاه الباب المؤدى لداخل البيت وهي تلملم اشيائها المج وجهاز الموسيقى ويتجه إلى الداخل ما أن تدخل البنات من الباب يتفاجىء ب"سحر" في الريسبشن وهي تحمل طبق كبير من الحلويات تدخل "مريم" و"ريم" ما أن يلمحاها يبتسما وهما متعجبتنا فتبتسم "سحر" وتمُدُّ يدها بالطبق قائلة اتفضلو يابنات واين "كريم"؟!

وهي تميل برأسها إلى الداخل فيخبرها "ريم" و"مريم" أن "كريم" في النادي فتبتسم وتمُدُّ يدها بطبق الحلويات وتأخذه منها "ريم" وهي تتأمله بإعجابٍ مبتسمة قائلة "ريم" أنا لا أحب الحلويات ولكن منظر الطبق فاتح للشهية فتضحك "سحر" قائلة ستحبينها بينما "مريم" تلتقط قطعة تقضم منها وهي تتلذذ بطعمها ويسقط الطبق دونما قصد من "ريم" فترتبك "سحر" وتحنحنى للملمة ما سقط بينما "ريم" تصرخ متفاجئة مما جرى فتهدئها "سحر" وتسحب منديل لتنظيف المكان بينما "مريم" تبلع بسرعة ما بداخل فمها وهي تلم وتجمع ماوقع ثانية في الطبق وتقوُلُ "ريم" لا أدري كيف سقط من يدي أنا اسفة

"سحر" لاعليك لأنه من الزجاج ربما انزلق فطرفه يبدو ملطخ بالعسل الّذي سقيت منه الحلويات فساعد وعمل على انزلاحقه منك لاعليك فداك يا "ريم"

"ريم": أنا اسفة ياطنط "سحر" عنك سأقوم بتنظف المكان وتأخذ "ريم" منها المنديل وتهرول إلى داخل المطبخ وتحضر منشفة وطبق كبير وتقوم بجمع ما وقع وتمسح بمنديل آخَر إثر الحلويات بإحكام كما تقوم "مريم" بأخذ ماجمعته "ريم" وتتجه به إلى المطبخ وهي تتأمل شكل الحَلْوَى باسف فتنظر عليهم "سحر" بتوتر للموقف وتدخل إلى الداخل إلى الشقة الكبرى وعندما تعود "مريم" لا تجدها فتقول لـ"ريم" بلوم هل سقط منك عمدا؟! وهي تتأملها بنظرة تشكيك فت قُلْ لَها ريم

ماذا تقصدين؟!

ريم طبعًا سقط رغما منّي ولما سأقصد في أن اوقعه عن قصد كفي عن أفكارك تلك واذهبى خلفها وقولى لها الا تجلب طبقا آخَر من الحلويات فتتَردد "مريم" كمن تجدها فرصة لتتذوق وتاكل من الحلويات ومن طبق عوضا عما وقع على الأرض فتتوقف في مكانها فتبتسم "ريم" لما أدركته وتقوُلُ قولى لها الا تحضر غيره اذهبى يا "مريم" وتواصل "ريم" تنظيف المكان وتحمل ما بين يديها وتتجه إلى المطبخ بينما "مريم" تنفذ ما قالت "ريم" على مضض وتتجه إلى الشقة الكبرى بغير حماس

وترن الجرس مصدرا صوت موسيقى مطولة تهُزّ "مريم" رأسها متفاعلة مع نغمات الموسيقى وتفتح "سحر" والتي تتفاجىء ب"مريم" وترحب بها بحرارة ويدخلا بجوار بعضهما وتوقفها "مريم" قائلة

طنط "سحر" لاتجلبى طبق آخَر غير الّذي وقع فتندهش وتتفاجىء "سحر" لما جاءت "مريم" لتقوله يبدو لم تنوى أن تجلب طبق آخَر ولكنها وجدت نفسها في موقف محرج الآن كيف تتصرف فتتظاهر بأن هذا ما نوت فعله وتقوُلُ بِنَبْرةٍ جازمة لالا سأقوم بتحضير غيره الآن فتبتسم "مريم" وهي تتظاهر بالرفض فتتركها "سحر" وتدخل سرعة إلى الداخل فتتقدم "مريم" إلى الداخل وقبل أن تجلس في اقرب كرسي في عفوية تلمح ثمة كشكول مثل كشكول المحاضرات مفتوحا وفي وسطه قلم مفتوح وغطائه محكم في قاعدته وارواق الكشكول تتحرك على ارثر الهواء الداخل من النافذة المفتوحة على الحديقة فتستغرب ولاتهتم وتهِبُّ قادمة على إثر تقدم "سحر" وهي تحمل طبق آخَر من الحلوى فترتبك "مريم" وهي تتابع يديها وهي تحمل الطبق بين يديها وهي قادمة من منتصف الردهة قبالتها وتبتسم بمرح وتقوُلُ مكتوب لي أن أتذوق قطعة أخرى فتضحك "سحر" وتقوُلُ: كان لازم أن تتذوقى وتخبرينى برأيك، لولا أن الطبق سقط من يد "ريم" على الأرض فشربت السجادّة العسل.

تضحك "ريم" على وصفها وتقوُلُ: يبدو أنها تحب الحلويات مثلي

وتحمل الطبق وتخرج على صوت ضحكة تبادلها بها "سحر" وتغلق الباب خلفها وتدخل مسرعة بَعدَ خطوات إلى الريسبشن، وبينما "ريم" قادمة من غرفتهم تجد "مريم" تجلس على طرف الكرسي وتتناول بالشوكة قطعة من طبق الحلويات وهي تتلذذ بمذاقها فتبتسم وهي تقول ساخرة:طفسة، ألم أقلّ لك أخبريها ألا تجلب طبقًا؟

"مريم" وهي تأكل: قلت لها ولكنها أصرّت، أأقُلْ لَها لا؟

ريم ضاحكة: لا طبعًا، كُلي، كليه كله إذن.

"مريم":سأترك لـ"كريم" منه.

"ريم": كُلي أنت سيرفض أن يأكل من حلويات "سحر".

"مريم" وتتوقف عن الاكل متوقفة عند وصفها بحلويات "سحر" وتكررها بنفس النبرة التي نطقتها بها "ريم" متعجبة، "ريم" بتهكم:ألا تلاحظين كيف يعاملها؟ فتتجدد حيرة وخواطر "مريم" في رأسها مجددًا فتضع الطبق جانِبًا وذهبت رغبتها في مواصلة الأكل وتقوُلُ بنفس النبرة وهي متعجبة: ألا تلاحظين؟!

"ريم" بانفعال ودهشة:هل كل ما سأقوُل شيئًا ستعيدين قوله بالدهشة تلك! ماذا جرى؟ هل أنت لاتعشين معنا أم أن تصرفاته لاتلتفت انتباهك يا "مريم"؟!

"مريم": هل تعلمين –وتهِبُّ واقفةً في مكانها وكأنها تهرب من فتح كلام يفجر في رأسها الكثير من التساؤلات– أرجوك يا "ريم" لا أُريدُ الحديث في في هذا ولا غيره.

وترفع الطبق وتدخل به باتجاه المطبخ وهي تهُزّ رأسها بضيق وتململ و"ريم" تتابعها بترقب

في أول جمعة من الشهر ذهبنا لزيارة أمي وكان معي "كريم" و"ريم" وأنا وكما عادتها أمي حضرت الغداء وجلست على رأس السفرة تتناول الطعام، كان شهيًا وساخنًا كالعادة أيْضًا، جلسنا نأكل ولم نتحدث، تناول الطعام ولا أيّ حديث بيننا، لا أدري ما كان في إخوتي حتى أمي كانت لا ترفَع عينيها ولارأسها إلى أيٍّ منا وهي تأكل حتى عندما حاول "كريم" أن ينهي تناول طعامه ويقوم ويغادر السفرة قالت له دونما أن ترفع رأسها أو تنظر له: لم تنهي طعامك بَعدَ، أكمل غداءك.

فجلس بالفعل وواصل الأكل بينما "ريم" كانت لا تتحدث، فقط تفتح فهمها وتأكل وتمضغ وتبلع في صمت وأنا كنت أأكل ورأسي مثقلة، شعرت بثمة شيء جرى في اللحظات التي ذهبت فيها لأُسلم على جدتي وأخوالي وعندما عدت إلى شقة ماما وجدت حالتهم لتك الحال بَعدَ الغداء نزلنا جميعنا للجلوس وتناول الشاي مع جدتي وأخوالي في حديقة بيت جدي وظللنا نضحك كانت أمي عندما نزلت وجلس بينهم نست ما كان كانت

أمي متعلقة بإخوتها وأمها كان هذا يثير ضيق "ريم" وسخرية أبي، بينما "كريم" ذهب للعب الكرة مع أولاد أخوالي أقرانه في العمر، "كريم" يحب التواجد هناك قريب من أبناء أخوالي وقريب من أبناء أعمامي ولكنه يبتهج هناك في بيت جدي لأمي هم يحبوننا وهناك نجد راحة وترحيب حار بنا، كان أبي يظن أنّنا سنجيء يومًا شاكين من معاملة غير لائقة من "أيهم" بَعدَ طلاقه هو وأمي، لا أفهم الكثير من تصرفات أبي ولا أُريدُ، أفضل ألا أتوقف عند كل شيء رغم أنه يضايقني وأشعر أنّي ممتلئة بالإبر وبوخزها المستمر فيّ من الداخل، ولكن أفضل من أن أظل أناقش وأسال وأعرف.

بنات خالي كن قريبات منّي منذ الطفولة، والآن نقضي في كل مرة نزور أمي بوقت شيق وفي الإجازات؛ حيث نمكث هناك لفترة نلعب ونمرح ونخرج معًا نشتري ملابس ولعب وهدايا ونتناول الآيس "كريم" في المطاعم ونلتقط الصور ونقضي أجمل الأوقات معنا وعندما نعود يتفحصنا أبي كمن يتمنى لو أن نشكو أو يبدو علينا الضجر أو أن الوقت هناك كان غير مريح لنا، يود لو نشكو من شيء. طنط "سحر" كانت لا تهتم بمعرفة أيّ شيء، كانت تتركنا وتذهب إلى الداخل تنشغل بإعداد القهوة لأبي أو تتصنع الانشغال، فعرفنا عنها أنها لا تريد أن تسمع أيّ أخبار تخص أمي وهذا كان يرضينا بشدة منها ونحترمه فيها، وساد

صمت للحظات، أبي يترقب؛ من منا سيبدأ بتقديم ما ينتظر ويرضى به ولكننا ظللنا صامتين وكان جليا علينا أنّنا قد قضينا الإجازة في مرح وقد فرحنا وسررنا بقضائها هناك ولما لم يجد ما سيقال انفعل على "كريم" وقال لما جئت متأخرًا متى ستكبر وتتصرف تصرفات الرجال فاندهش "كريم" ولم يرد وظل ينظر لأبي مشدوها ينتظر في أن يكشف ويقول ما يقصد ويتضح ما يقصد فقال بِنَبْرةٍ ساخرة وهو يتأمل "كريم" ووجه النضر اللامع من الفرحة على إثر الإجازة هناك كيف تأتي بأخواتك متأخرًا لقد أصبحت الساعة التاسعة ألا تخشى عليهم من الطريق؟ فقاطعه "كريم" وقال نحن هنا منذ ما يقرب من ساعة فنهره أبي وقال مؤكدا وصلتو الساعة الثامنة والثلث أيّ قرب التاسعة لمحت طنط "سحر" وهي تضع القهوة تتظاهر أنها لا تسمع ما قال أبي كما أنه ارتبك عندما دخلت ولفت نظري أن أبي لا يعود مبكرًا إلى البيت كيف وهو قد اتضح أنه هنا من الثامنة وأنّه وقت وصولنا كان بالداخل اكان ينتظرنا قلقا؟! ولكن لما كل هذه الثورة على "كريم" والساعة الثامنة ليست بوقت متأخر كان هذا دأب أبي في كل مرة نذهب فيها ونطيل البقاء لدى أمي كان يتفحص وجوهنا وكان يضيق ببوادر أيّ ارتياح ينعكس على وجوهنا اكان هذا لان أمي تركته ام أنه اشتياق لنا وغيرة عن أن نجد الارتياح والاقامة الطيبة في مكان آخَر غير بيته وبيتنا لا أعرف وجلست

طنط "سحر" فانهي أبي الحديث بسرعة وقال بنبرة حادة لـ "كريم": لا تتأخرا ثانية وأن كان ولابد العودة باتو وتعالوا في اليوم التالي بدل المجيء في وقت متأخرًا، تفضلوا.

فخرجنا خلف بعضنا في ارتباك وأنا لا أفهم لمَ كل هذا، و"ريم" تهُزّ كتفيها بضيق، ما أن دخلنا وقصدت غرفتنا مباشرة، بينما أنا و"كريم" ظللنا ننظر لبعضنا البعض متسائلين وفي نفس اللحظة "كريم" وأنا قولنا: وهل تأخرنا؟!

في عصر أحد الأيام في اوسط الشهر كانت بطني تؤلمني بشدة ولزمت فراشي بينما إخوتي قد خرجوا "ريم" إلى الكُلّية و"كريم" إلى المدرسة وبقيت أنا تغيب في هذا اليوم وظللت في سريري وكان الكسل مخيم عليّ فنمت كنت اقوم من النوم لأنام ولا شهية لي بالطعام وعندما عادت "ريم" من الكُلّية فوجئت بي نائمة فسألتني: ما بك لما لم تذهبي للمدرسة اليوم؟ فقلت لها من تحت الغطاء أصبت ببرد شديد أمس ومعدتي تؤلمني فاقترحت أن تقصد الصيدلية المجاورة للبيت وتجلب لي أيّ دواء فقلت لها أن تتركني لأنام، يوجد أدوية لتقلصات المعدة وقد تناولت منها وأصبحت أفضل ولكني أُريدُ أن أنام فبدلت ملابسها وخرجت من الغرفة وأطفأت النوم أحتاج إلى أن أتحدّث مع أحد، أيّ أحد باستثناء أختي، بل لا أُريدُ أحد، لا أود الحديث مُطلقًا، وابتلعت ريقي وحاولت مواصلة النوم ولكن لم أستطِع وأخذت

أتقلب في مكاني، سمعت صوت "كريم" بالخارج يسأل "ريم" على "ندى" وودت لو أستطيع إخباره ولكن ماذا سأقوُل لأخي؟ أنّي متعلقة بشاب وأحبه ولا أدري لمَ أصده بلا سبب وأتعامل معه برعونة وفظاظة بينما هو يتقرب منّي ويلمح لي أنه يود لو يتعرف على أبي ويخطبني وأنني لا أدري ماذا أفعل وأنّي ظللت أتدلل واترفع وأتَصَرَّف برعونة إلى أن مل منّي وتركني وابتعد عنّي وأنا الآن أتحرق شوقًا إليه ونادمة على تصرفاتي معه وأتألم لابتعاده عنّي ماذا أقوُل ماذا أقوُل؟

وتجهش "مريم" في البكاء وهي تكتم فمها بأطراف أصابعها ويهتز جسدها تحت الغطاء

في الصباح قمت مبكرًا ولبست ملابسي وجهزت كتبي وتوجّهت إلى مدرستي وأنا أمر من أمَام باب الشقة الكبرى سمعت صوت طنط "سحر" مرتفعًا، كنت منفعلة واستغربت؛ لمَ على الصباح ماذا جرى؟ ولكن ما كان بي يكفي فتجاهلت كل شيء وخرجت وأغلقت الباب جَيِّدًا خلفي وخرجت من الحديقة وأغلقت الباب بإحكام ووجدته مؤصد فعرفت أن أبي لم يستيقظ بَعدَ، قطعًا فمع من تتحدث طنط "سحر"؟ وأغلقت الباب وتجاهلت كل هذا ومضيت في طريقي إلى المدرسة وطوال الطريق في الباص وودت لو لمحته يحوم قرب المدرسة كما كان يفعل وقد استعَدْتُ آخَر حديث بيننا مرات وأنا أقوُل لمَ قلت هذا؟ كان حريًا بي أن

أقوُل له هذا بدلًا من هذا لمَ اندفع هكذا؟ لمَ أتَصَرَّف؟ بتلك الطريقة ولكني اكتشفت أنه كان ينفعل من أهون سبب وأنّه كان يتراخى وكان أقلّ طموحا منّي كنت أحاول أن أجِد لنفسي عذرا في الابتعاد عنه وأخذت استعيد كل مواقفنا معنا كنت أهدأ تارة وأخرى اغرق في نوبة الم وندم لما فعلت وكان الأفضل أن أفضل هذا والا أقوُل هذا إلى أن توقف الباص أمَام بوابة المدرسة ونزلت وانزلقت وسط زميلاتي اتجنب الحديث مع إحداهم أو القاء التحية أو أن ألقى إحدى صديقاتي فتلقى التحية فاجد نفسي لابد وأمَام أن أردّ التحية واقطع وصلة مراجعة حديثي مع نفسي فمشيت مبتعدة لا أنظر ولا أطل في الوجوه ومضيت متجه مباشرة إلى الفناء في انتظار طابور الصباح ووقفت إلى الجدًار مبتعدة عن كل التجمعات وقفت بمفردي وددت لو هي أمامي الآن ليشاركني الحديث بدلا عن نفسي أنه نفسي لما هو رافض لان يتحدث إليَّ مُجَدَّدًا لما اطال بعده عنّي هذه المرة هل هو يتعمد اختبار البعد عنّي وإيلامي وتعذيبي لما يفعل هذا بي لقد حاولت اصلاح ما جرى وأن أُطيِّب خاطره وأعتذر له وأوضح له مقاصدي من وراء كل رد قلت ولكنه لا يريد أن يعطيني فرصة جديدة هل هو يتعمد وكان ينوى البعد لم اره بتلك القسوة والفظاظة في التعامل معي من قبله أكان يود البعد ويسعى إليه وأخذني بردى الأخير! لقد تماديت في جرحه والسخرية منه وعدم

أخذ مشاعره بجدية، كنت أمزح معه، كما أنّنا ما زلنا طلبة فكيف أرتبط وأنا أدرس؟ ثم هل كان بالفعل سيجيئ ويخطبني كم من صديقة وزميلة سمعت عن صدمتها بَعدَ تصديقها وعود كاذبة وعانوا من الخذلان أنا لن أخذل ولا أصدق الوعود وهو لا يناسبني أنه ارعن وغير طموح أنا لا أُريدُه ولا أتعجل الارتباط كما قلت له فليذهب لا أُريدُه لا أُريدُه.

تنتبه "مريم" في غمرة ثورتها على صوت الميكروفون وصوت يجرب فيه الحديث إيذانا لبدء عمل طابور الصباح وصوت همهمات الطالبات وهن يتأهبن للوقوف في صفوف وهن مازلن يتبادلن الحديث مع بعضهن البعض ابتلعت "مريم" ريقها ورفعت رأسها بتحدٍ واندست وسط الطالبات وعينها على المكان الّذي يقام فيه الطابور الخاص بفضلها وهي تدفع برفق لتَمْضِي للأمام وهي تنفض الأفكار عن رأسها وعينها مفتوحة بتحدٍ ناظرة أمَامها والبنات تفسح لها غير منتبهات لها فكلهن يتأهلن وسط انشغالهن بالحديث همسا لزميلاتهن إلى أن تستقر "مريم" وتقف وسط الطابور الطويل بجوار زميلات فصلها في انتباه واستنفار ويعاود الصوت لبدء الطابور وهو ينفخ في الميكروفون ويعلو الصوت وتتوقف همهمات الطالبات.

بعد يوم مليء بالجدية في المدرسة دورس وشرح وحديث مع زميلاتي قد خفت حالتي وصرت أفضل من أمس ومن بداية

اليوم، جلستُ بَعدَ الغروب ربع ساعة في الحديقة بمفردي أتحدّث مع "ندى" في التليفون ضحكنا وتحدثنا لم أتحدّث معها في أيّ شيء ، لقد أصبحت أهدأ فما حاجة للحديث فيما يضايقني دبرت امره بنفسي وظللت اضحك معها ولمحت طنط "سحر" تقف خلف النافذة تطل على فارتبكت وظننتها تراقبني فتظاهرت أنّي لم ارها حتى أن نبرة صوتي تغيرت وهذا ما تراءى لسمع "ندى" فسألتني هل تودين أن تغلقي تظن أن أبي جاء أو ثمة ضيوف اتو إلى بيتنا واود أن انهي المكاملة فقلت لها لا أبدا كاد التليفون يقع من يدي وأنا استدير في جلستي وواصلنا حديثنا وأنا اضحك بصوت أقلّ ارتفاعا من ذي قبل وفي ذهني منظر وهيئة طنط "سحر" خلف النافذة بَعدَ دقائق اتى "كريم" وظهر قادما من بوابة البيت الكبيرة داخلا من البوابة عائدا من الخارج متجه مباشرة إلى البيت فلما راني اتجه مباشرة باتجاهي وهو يضحك وجلس قبالتي صافحني بيده وربت على كتفي وجلس دونما أن يتحدث وأنا أتكلم في التليفون وجلس وددت لو ينظر أمَامه مباشرة باتجاه النافذة ويخبرني هل طنط "سحر" مازالت واقفة؟ أهي واقفة؟!

ولكنه كان يتعجل أن أُنهي المكالمة ومن ملامح وجهه ثمة ما يود إخباري به فأنهيت المكالمة وحاولت أن ألتلف أو أنظر بطرف عيني جانِبًا لأتحقق من وجود طنط "سحر" ام دخلت ام

مازالت واقفة فسألت "كريم" كيف كان يومه فقال جيد وأخبرني أنه يود أخباري بأمر ما فقلت له تعالى ندخل ونتحدث بالداخل فقد دخل المساء والظلام سيهبط على اجواء الحديقة ودخلنا إلى الداخل وهو يتأبط ذراعي وودت لو اميل برأسي لأرى هل طنط "سحر" مازالت واقفة في مكانها خلف النافذة ولكنني لم أستطع! دخلنا أنا و"كريم" وكان فكرى مشغول لما كانت واقفة وهي هي تحب أن تتنصت على مكالمات الآخرين؟! لم أخبر أحد بهذا وجلست أنا و"كريم" نتحدث كان يريد أن يستشيرني في أنه يود لو يخبر أبي أنه سيقضى إجازة نصف العام عند ماما ليكون قريبًا من النادي الّذي يود لو ينضم له للتدريب على لعب كرة الكرة ضمن فريق أكبر عرفه عليه مدرسه في المدرسة فقلت له مهد الأمر مع أبي ونصحته أن يؤجل الحديث في الأمر إلى اشعار آخَر فأول الشهر غير مناسب لأبي لكثرة ارتباطاتي وسداد مرتبات عمال المعرض وجلب شغل المعرض فاقتنع وقال أنه سيرجئ مفاتحة أبي في الموضوع إلى وقت آخَر وقام وتركني وقبل أن أدخل إلى غرفتي سمعت صوت طنط "سحر" ينادي فاحترت ارد ام اتظاهر بأني لم أسمع وبالفعل دلفت إلى غرفتي مسرعة ولم افتح النور فسمعت "كريم" يرد عليها من الخارج كانت تقول له أن يخبرنا بأن ندخل لتناول الغداء لقد تأخرنا وأبي لم يأتي بَعدَ ما أن سمعتها تقول وأبي لم يأتي بَعدَ

دارت أفكار لا أحبها ثانية في رأسي ولكن ربطت بين وقوفها في النافذة وتأخرنا في تناول الغداء وعدم عودة أبي واستنتجت أنها كانت تنتظره وتتأكد من عودتنا ليتسنى لها فيما بَعدَ أن تنادي علينا ونتناول الغداء جميعنا وبالفعل بعدما غسلت يدي وبدلت ملابسي توجّهت إلى السفرة وتناولنا الغداء جميعنا ماعدا أبي والّذي أخبرتنا طنط "سحر" أنه اتصل بها وقال أنه يتناول الغداء مع عملاء عمل اتوا فَجْأةً وطلب غداء لهم من الخارج أو تناول الغداء معهم في أحد المطاعم أو في العمل في مقابلة عمل وقد اضطر ليتناول الغداء معهم في الخارج وتناولنا الغداء وخرجنا وتركناها

في المساء جاء أبي وقد جلب هدايا وعلب كثيرة تعثرت بواحدة وهو يدخل الشقة الكبرى عرفنا هذا من "ريم" التي هبت خارجة على صوت العلب وقد قامت برفع ما وقع وناولته اياها وأخذها منها ودخل إلى الشقة الكبرى ولما عادت أخبرتنا قائلة أبي عاد محمل بالهدايا فضحكنا من طريقة قولها للجملة ولكنها لم تضحك فاستغربت بينما "كريم" تجاهل الأمر وظل صامتا يتحاشى أن يتعكر جو السهرة فهو يتجنب أن نجلس ثلاثتنا معًا أو بالأحرى وجود "ريم" والّذي ينتهي بمشاحنة وشجار جديد فكان يتحين الانصراف والقيام وتركنا بين الحين و الآخَر فاخترت الا اسال "ريم" ما بها حتى قام "كريم" بالفعل الّذي قام كالناجي من

معركة ودخل مسرعة ومباشرة إلى غرفته باتجاه غرفته مباشرة اقتربت من "ريم" وسالتها هل أنت غاضبة من شيء ما بك؟

فقالت بضيق لما يجلب لها الهدايا بَعدَ كل شجار؟!

فتعجبت وقلت بَعدَ كل شجار فانفعلت على وقالت أرجوك ليس هذا وقت طريقتك تلك ليس بَعدَ كل كلمة تكرريها متعجبة أنا مخنوقة ولا قبل لي بالمناهدة ووضعت كفها على فهمها وقالت سأسكت، فقلت لها مستفهمة لا أفهم لذلك أسألك يا "ريم" فتأملت وجهي بنفاد صبر وقالت في أسف لمَ يدللها بهذا الشكل فقاطعتها قائلة وهل كان ثمة شجار فيما بينهم فقالت بنبرة قاطعة نعم!

وأردفت وبعد كل شجار يعود بالكثير من الهدايا لِمَ لا يتذكرنا نحن طلباتنا مؤجلة بينما هي لا فابتلعت ريقي وهدأت أفكاري الملتهبة والقلقة والتي تظهر وتظل بداخلي بلا مناسبة ولا أمر استدعاء وقلت بِنَبْرةٍ هادئة وقلت أدركت ما يغضب "ريم" أن أبي لا يجلب لها هي الأخرى هدية ولا ينفذ لها ما تطلبه في حينه هذا فقط ما اغضب أختي اعتذر لنفسي لقد فهمت أنه لسبب آخَر ولكنها وضحت لي فأردفت أمَام صمتي واضافت ظنا منها أنّي اود الشرح أكثَر وقالت كيف سيتصرف معها أن انجبت طفل مثلا هل سيجلب لها وله لكي يرضيها هو سيجعلها تعتاد التدليل وتقديم الصفح والهدايا لنيل الرضا كانت كل ما تقول "ريم"

يصدمني ويهزني من الداخل ولكنني فضلت أن أسمع متحاشية ثورتي واتهامها لي بعدم الفهم ولما سكتت وهي تزفر بضيق وسخط وحنق قالت لها بِنَبْرةٍ صوت مترددة وهل هم دائمي الشجار فالتفت "ريم" لي وقالت مستنكرة وهل أنت تقمين وهي تشيح بذراعها لأبعد اتجاه وهل أنت تقمين في الشارع الخلفي ولا تعرفين؟!

فقلت لها وأنا مرتبكة لا أعرف

"ريم": والأصوات التي نسمعها ماذا عنها؟ ألم نسمعها كلنا ونحن نجلس جميعنا هنا معا؟!

فأجبت متعجبة حائرة بلى ولكن كنت اظنه حديث عادى أو فقاطعتني حديث عادى كيف هي توبخ أبي في كل خطأ يفعله وما تسمعي همهماته العالية من بعيد هو دفاع عن نفسه "سحر" تغير من أُمَّك وتخاف أن تعود إلى أبيك

سمعت هذا وأنا مشدوهة ومندهشة تمامًا

"ريم": متى ستكبرين؟ كل هذا يتم هنا، وهي تدفع بكفها على الجدَّار الفاصل بين الشقة الكبرى والريسبشن وتشير على ذهنها أين هذا لقد سمعتِ، لم تربطي؟!

فحكيت رأسي ولم أخبرها أنى كنت اكتم كل محاولة لمناقشة ما يجري بيني وبين عقلي لا أُريدُ لا أُريدُ أن أعرف

وظلَّت تتأملني بضيق وهي تفكر وانفجرت فيّ قائلةً: ولكن لمَ لا يفهم أنها تحتاجه؟ لما يدللها ويسترضيها؟ هي لم تحلم بأن تكون هنا، هذه المعدمة تستأثّر بالكثير وأخشى أن ترهبه ليكتب لها شيئًا. وترفع "ريم" كفيها إلى السماء وتقوُلُ: يا رب لا تجلب لنا كلبا أو كلبة ويشاركنا في ميراثنا وفيما عندنا.

شعرت فَجْأةً أن مسمارًا مبرومًا يلف داخل رأسي ولو أنّي لم أكُن جالسة لأوشكت على الدوار والسقوط. كيف تفكر هكذا وكيف دار في رأسها كل هذا؟ وما هذا الّذي تقول؟

ظللت مشدوهة وفاهي فاغر أُنصت لما تقوله "ريم" وأنا غير مصدقة، بينما هي تواصل حديثها وهي ثائرة وغاضبة وقد خرج "كريم" من غرفته على صوتها قائلا وهو يقف مكانه قابلتنا: كان يجب أن تتوقعي كل هذا من يوم أن أتى بها إلى هنا، يوم أن كنت تتساءَلين ما هو شكلها؟!

فارتبكت "ريم" ولم تلتفت له أو تَرُد، كان رده مفاجئا ومنطقيا وله بُعدَ نظر، اللحظة أدركتُ لمَ كان "كريم" نافد الصبر يومها وتشاجر مع "ريم" وكان يرد باستياء عميق عليها.

سادت لحظة صمت وجميعنا ينظر في وجه الآخَر ولا نجد ردًا. سيطر علينا في لَحظةٍ واحدة شعور واحد هو الخوف على أنفُسَنَا من القادم، وحدتنا لحظة إثر شعور واحد، ماذا سنفعل؟

ريم قالت: كان سيتزوجها أو يتزوج غيرها، كان سيتزوج على أيّ حال ومنها أو من غيرها كان سينجب. "كريم" قالها.

تتلقف "ريم" كلمته وهي تنتفض في مكانها: أرجوك يا "كريم" أرجوك. "كريم": لا تغضبي لا تتعصبي ولا تقلقي، هو يفعل ما يريد.

ولكنها ليس لها قِبَل بالحمل والإنجاب، فابنها أكبر منّي أنا، فكيف ستنجب هذه؟ قالتها "ريم" مقاطعة. اعترفتِ أخيرًا أنك كبيرة! قالها "كريم" مداعبًا.

فضحكتُ أنا بينما "ريم" تجاهلت ما قَال، وضمنيا قالت وهي تواصل كلامها في نفس الاتجاه: صعب أن تنجب، لقد كبرت. فيقاطعها "كريم" قائلا:كما قُلتِ؛ هي خائفة وقلقة من أن تعود أمي؛ فكيف ستتصرف هي حينها! "ريم" بحزم: أقنع أُمَّك أن تعود؛ فخسائرنا تتضاعف بسببها.

التفتُّ إلى "ريم" مندهشة فتجاهلتني تمامًا وخصَّت "كريم" بحديثها في هذا السياق مكررةً قولها بنفس النبرة الجادّة: قُلْ لَها؛ حدّثها في الأمر، هي تحب الحديث معَك وتحترم رأيك وطريقة تفكيرك، حدّثها في أمر العودة لتخرج هذه من هنا.

أنا لم أستوعِب كل ما أسمع، ظللت صامتة لا أنطق ومر الوقت ثقيلا وظلت "ريم" تعيد وتكرر ما تقول، كانت منفعلة بشدة ومستاءة وتتحدث بصوت مرتفع وكأنها لا تخشى أن يسمعها

أبي أو يدخل على صوتها. "كريم" كان واقِفًا مكانه لا يردُ عليها، لا أدري لمَ ظل يسمع ما تقوله، حتى لم يستوقفه ما قَالته من سخرية واتهامات لأمي بالأنَانية والجبن مُجَدَّدًا، ظلَّ يُنصت لها، كانت ثورَتِي اندلعت بداخلي من جديد، لم أتمكن هذه المرة من محاصرتها وإخمادها، كانت تشتعل وتتفرع وكان صوت وصراخ نبرات صوت "ريم" مُزعج ومثير للتوتر أكثَر وسكتت فَجْأةً وهي تقول:تصرفوا وإلا سأكلمها أنا.

نظرتُ لـ"كريم" فوجدته لا يرد، لم يعقب، ومعنى أن تكلمها "ريم" في الأمر مُجَدَّدًا بنفسها أن مشاجرة حامية مع أمي يتخللها زجر وسخط على "ريم" من جانب أمي ردًا على تجاوزاتها وسوء أدبها معها، ولكنني سكتُّ أنا الأخرى، ليس لما رمت إليه "ريم" ولكن عجزتُ عن أن أتَصَرَّف أو أحدد ما كان يجب أن يقال مع اندلاع ثورة وبركان أفكاري الّذي أخذ يُلقي بحمم الخواطر المزعجة في عقلي ويتناثر لهيبه في صدري فسكتُّ وتلاقت عيوننا من جديد وقد عزمت "ريم" على ما نوت إن لم يخاطبها أحدنا، فالتفتتْ الأنظَار ناحيتي، لقد اتفقا ضمنيا أن مهمة الحديث معي أمي بهذا الخصوص مهمتي أنا وعليّ إخبارها. كانت عيون "ريم" و"كريم" تقول هذا، فانتحيت برأسي أرضًا متجنبةً النظر إليهم وتنهدت بعمق وزفرت بنفاد صبر هبت على إثره "ريم" ودخلت غرفتنا وأغلقتْ الباب خلفها بضيق وغضب، بينما "كريم" دخل

إلى غرفته وبقيتُ أنا بمفردي لا أدري ماذا أفعل لقد كان الوقتُ ثقيلا، لا أنا أستطيع التراجع عن تلك المهمة ولا إسكات ثورَتِي الداخلية، نظرتُ إلى حيث ذهب "كريم" أودُّ لو لم يتركني ويتحدث معي في الأمر ولكنه دخل غرفته، وددتُ أن أدخل إلى "ريم" أُواصِل الحديث معها أو أجِد ثغرة من خلال انفعالها المحتدم فأهربُ من المسؤولية في إخبار أمي ولكني كيف؟!

في صبيحة يوم الجمعة أوصلني إلى هناك عم "ربيع" السائق بسيارة أبي وعاد هو وهو يلوّح لخالي الّذي كان يقف في الدور العلوى للبيت فتجنبتُ أن أنظر باتجاهه ونزلتُ ببطء من السيارة متجهةً مباشرةً إلى البوابة الموارِبة قليلًا، ومضيت أهوي بقدمي على أوراق الشجر المتساقطة على أرضية الحديقة ودخلت باتجاه الجهة اليسرى من الحديقة لبقية البيت الّذي يعلو القديم بعدة طوابق تتوسطهم الحديقة اعليت درجات السلم ورأسي ثقيل وكأني أخشى هذا اليوم من بداياته وعلى صدري شيء ثقيل انقل بيه وأنا احمله درجات السلم وصولا إلى شقة أمي رنيت الجرس فتحت أمي قبلتني دخلت وضعت حقيبة يدي الصغرى وانحنيت وهي تحدثني لأخلع حذائي متعثرة في فك الاربطة وأمي تحدثني بعباراتها التي احفظها جَيِّدًا "ريم" و"كريم" لم يأتوا معَك؟! هل فطرتي؟! وحشتني؟! كيف اخواتك؟! تحشرج صوتي في بلعومي وقلت بَعدَ محاولة لدفعه للخروج جئت بمفردي، لا يا ماما لقد

فطرت فأعادتْ سؤالها وهنا كنت جلست بجوارها ملتصقة بي على الكنبة

كيف أخواتك؟

"مريم": انهم بخير يا ماما وربتت على كتفي وهي تكرر وتلح في أن تذهب وتحضر لي افطار فأخبرتها أنّي بالفعل قد تناولت إفطاري وتأملت وجهي بتفحص وابتسمت بطمأنينة خيرا لم ينعكس توتري على وجهي يبدو أن توتري يجعل ويحول وجنتي للون الزهري يبدو أن هذا ما اوصل لأمي أنّي بخير ربما! ولحقت بها على المطبخ وهي تعد القهوة لها والشكولاتة الساخنة لي وقد أبدلت ملابسي فالتفت على إثر احساسها بأني واقفة قُبَالَةَ المطبخ من خلفها بينما هي تستدير تعد القهوة فالتفت مبتسمة ولاحظت ارتدائي بجامة "ريم" فابتسمت وهي تقول بنطالها طويل عليك! فابتسمت أنا فطولي أقلّ من "ريم" وكان هذا يروق لها لأنه يمنعني من ارتداء ملابسها وسكت فاقتربت أمي منّي وهي تتأمل البيجامة وتضبط أزراها بلمس يدها الحنون الدافئ وإصبعها الرقيق ناعم الملمس طرفه زهري وهي تضبط ياقة البجامة بجانب اذني اليسرى قائلة: وأنتم صغار لم يكن يرهقها في اختيار ملابسنا سوى أن الأكمام والبنطلونات كانت قصيرة على "ريم" بينما على المشكلة في طولهم فاحرص على أن يكون الطول والعجز في اطوالهم كان شكل "ريم" في البجامات القصيرة

من الأكمام أكثَر ما يفجر ضحكنا كان حفلة قياس الملابس أنت كانت الملابس تكون طويلة من الأكمام والبنطالونات بينما "ريم" العكس فكنت اضمن ملابسك وهي محيرة في ملابسها فقاطعتها ضاحكة ولكنها كانت يرضيها هذه الفروق في الطول حتى لا أرتدى ملابسها فضحكت أمي بشدة من عمق قلبها وقالت وهي تستذكر ذات مرة كانت ملابس العيد على مقاسها ولكن اللون لا يعجبها تركناها لك وهي تذمرت عليها فأصبحت لك فاضطرت هي أن تقبلها وكانت مستاءة ومنفعلة لم يجعلها ترتديها أن أصدقائها كانوا قد مروا عليها ليخرجوا معنا في العيد للفسحة فدخلت أنا اقدم لهم طبق الكعك والبيتي فور والعصير والشكولاتة كنت اقدم شيء وأدخل ثانية والبنات تسألني أين "ريم" لما تأخرت هل هي لن تخرج وأنا لا أجِد ردا فكنت أقوُل لهم ثانية واحدة هي خارجة لكم فقطاعتها كانت تحت الغطاء بتعاقبنا وعندما أخبرتها أن أصدقائها في الصالون قامت واقفة على السرير وظلت تركل الأرض برجلها كادت تسقط أرضًا وهي تركل السرير وهي تتقافز غضَبًا عليه وكادت تسقط أرضًا فلما قامت ولم تجرح وجدت أنه لابد وأن تلبس ملابس العيد وخرجت عليهم وقتها أنت دخلتِ يا أمّي ولم أراك إلا بعدما خرجوا.

أمي تضحك مقهقهة، ضحكتها عذبة ومجلجلة وتشابكت أيدينا ونحن نضحك كانت القهوة قد فارت وأطفأت النار فالتفتتْ أمي

وهي ما زالت تتمايل وهي تضحك من أعماقها وأغلقت الغاز ورفعت القهوة على رخامة المطبخ وهي تضحك فقامت بصب الماء المغلي على الكاكاو والسكر وقمت أنا بالتقليب وهي أفرغت القهوة في الفنجان ووضعت الشكولاتة والقهوة على الصينية واتجهنا إلى الريسبشن لنجلس وقبل أن أضع الصينية على الطرابيزة أمَامنا قلت لأمي في لَحظةِ حماسة نادرة: ماما. فانتبهت لي وهي تنظر متأملة وجهي مبتسمة وهي توءمي لأتحدّث قلت مباشرة فأكملت: لِمَ لاترجعى لبابا؟!

ابتلعت ريقها ورفعت فنجان القهوة إلى فمها وقالت لا تتحدثي ثانية في هذا الأمر، اشربي الشكولاتة وقامت بتشغيل التيليفزيون وهي ترشف من القهوة في هدوء، لا أدري ماذا أفعل فسكتُّ ورفعتُ الكوب وشربت الشكولاتة ولأني كنت ابتلع كل رشفة بصعوبة وابتلعها بجهد وجدت أمي تَهِبُّ واقفة لتفتح شباك الغرفة المطلية على الحديقة وتناهي إلى سمعي تلك العصافير التي تمرح بأعداد كبيرة على الشجرة العتيقة القريبة من النافذة واندفعت حزمة كبيرة من اشعة الشمس إلى جانب من الريسبشن ووجدتها فرصة لابتلع ريقي واتنفس بعمق لتنتظر دقات قلبي ويخف توتري وبالفعل وقد تأخرت ماما في الداخل مع أنها كانت تفتح النافذة فقط! قضيت اليوم نتحدث ونعد الطعام معًا ونزلنا إلى الحديقة لنجلس مع جدتي وخالي الأكبر ولم أجِد أيّا من

أبناء أخوالي متواجدين فصعدت إلى أعلى ونمت ساعتين لقد كنت مرهقة بينما أمي ظلت معهم حتى المساء وشاهدنا معًا فيلما اجنبيا من نوعية أفلام الخيال العلمي بناءً على رغبتي رغم أن نوعية تلك الافلام ولا تروق كثيرًا لأمي ولكنه حقق فرصة لتصفية الاجواء وتناسى ما حدث في الصباح استمتعنا بمشاهدة الفيلم وذهبت أمي لتنام في غرفتها وفضلت أنا السهر كنت اود أن اختلى بنفسي ولكني يبدو أن النوم جاءني في مكاني لم انتبه على صوت أمي ويدها تهزني برفق وأدخلتني إلى غرفتي لمواصلة النوم في الداخل ومع اقتراب الغروب بالضبط كنت أغلق نافذة غرفة نومنا التي تتركها "ريم" كالعادة مفتوحة وقمت بتبديل ملابسي وتنفست الصعداء أنّي لم ألقى وجه "ريم" فور عودتي.

نشب الخلاف مُجَدَّدًا ولكني عزمت على الا ابدى أيّ رايا وقررت أن انسحب من أيّ استعداد لاي تحرك لمفاتحة ماما في الموضوع مرة أخرى ومضى الأمر بسلام لم تسلني "ريم" عن ماذا فعلت مع أمي وبماذا أخبرتني حتى أنها كانت هادئة ولم تفتح الموضوع هذا معي ووجدتها فرصة لطيه ولكن هذا الأُسبوع كان أبي يعاملنا جميعًا معاملة شديدة ويعنف "كريم" حتى أنه كاد يصفعه أمَام اصدقائه هكذا أخبرتني "ريم" بينما "كريم" لم يقل لي أيّ شيء لقد كنت منشغلة بالمذاكرة وهو الشيء الّذي اطبقه

حرفيا بتوصية من أمي "انتبهي لنفسك ولمذاكراتك" وهذا ما أُطبقه حرفيا، حتى أنني بعدما عدت من عندها لم أمكثُ أمَام التيليفزيون إلا ساعتين مدة عرض المسلسل بالفواصل الإعلانية! ومن بعدها مباشرة وللواحدة صباح اليوم التالي وأنا أُذاكر.

في عصرية اليوم وبعد تناول الغداء همست لـ"ريم" متسائلة: أين كان أبي وطنط "سحر"؟ فقد كثرت خروجاتهما معًا خلال الأُسبوعين الأخيرين، فالتفت إليَّ "ريم" ولم تَرُد مما زاد استغرابي وتوقعت امرا قد حدث وفاتني معرفته فنظرت لها استنطاقها فاقتربت بوجهها منّي وتأملتني بعين عاتبة: لا تسأليني ولن أجيبك على شيء، ما تودين معرفته لا تسأليني أنا عنه هل فهمتِ؟ قالت هذا بِنَبْرةٍ هادئة فتأملتها بدهشة ولم أنطق ولكن تأثّرت من تعمدها عدم إخباري أن هناك شيء يحدث ولا أعرفه فأخذتها الشفقة عليَّ وقالت لائمة هل أخبرتِني عما دار بينك وبين أُمَّك عندما كنت عندها الأُسبوع الفائت والّذي قبله؟! وبخصوص ما قولت لك عليه؟! ارتبكت ولم اجب فارتفع صوتها وتحدثت بِنَبْرةٍ غاضبة قائلة هكذا أنا سأفعلها معك لن أخبرك بشيء ولن أطلبه منك فقد قام به غيرك

فالتفت بكل ناحيها وكانت تتوقع صدى كلامها في فضحكت هازئة فأمسكت بذراعيها وفي الحاح سألت بفضول وبجدية قام

به غيرى؟ أتقصدين أن ماما وبابا سيعدان لبعضهما؟! فلم تَرُد "ريم" وثبتت على ثنة رقبتها باتجاهي وهي تميل برأسها ناحيتي تنصت لما أقوُل وهي تسخر منّي كعادتها لكنى كنت اود أن أعرف واطلع على كل ما يجري من حولي أنها "ريم" دائما تعلم كل ما يجري وأحيانًا قبل أن يجري فابتلعت ريقي بغصة لأني كالمغيبة وسط بحر امواجه متلاطمة فاعتدلت في مكاني وأنا مشفقة على نفسي وتوقفت عن الحديث تمامًا وهي لم تَرُد عليَّ وهبت من مكانها وتركتني وحدي ظننتها تعاقبني وتركتني أحدث نفسي غارقة وسط فضولي والتساؤلات وجدتها تتجه ناحية المطبخ والتلفت وسألتني أأعد لك شيء معي؟ فهززت رأسي موافقة وعيني مليئة بالشفقة والتأثّر.

نمت ليلتي وأنا أحاول صد البكاء عن عيوني ومنع الدموع من أن تذرف كنت مختنقة بالضيق والبكاء تظاهرت بالنوم لم تخبرني "ريم" باي شيء فتأكدت أن ثمة ما حدث ويحدث ولا تريد إخباري به لم أطلب منها ثانية أن تخبرني بما قد حدث وعزمت على ألا أسالها وتركتها تحتفظ بما تعرف ولكنني كنت مستاءة للغاية منها ومن نفسي ومن كل ما حولي مَرَّ ثلاثة أيام لا أُريدُ أن أتحدّث إلى أيّا منهم كل من تقع عليه عيني في هذا البيت يجعلني اشعر بالاستياء استغرقت في المذاكرة ومتابعة الدروس

قللت من حديثي مع الجميع أتناول طعامي وأعود إلى مكتبي حتى الحديقة لم اتوجّه إليها

في المساء كان "كريم" و"ريم" يجلسان معًا بالخارج أسمع صدى حديثهم لم اهتم وظللت في غرفتي منكبة على دروسي اطلا الحديث على خلاف ما يحدث بينهم كان مستوى أصواتهم شبه ثابت وتداخل بين صواتيهما لا ثمة شجار أو اختلاف أو انفعال على عكس ما هو معتاد لا يهمني

في الصباح ايقظني رنين المنبه استيقظت رفعت الغطاء ولم اقترب من مفتاح النور حتى لا تنتبه "ريم" وتقوُلُ أغلقيه أزعجني أو هل رن المنبه أو أو.. لا أُريدُ سماع أيٍّ من عباراتها المعروفة هذه ولا أُريدُ سماع صوتها ولا الحديث معها خرجت إلى خارج الغرفة كان النور في المكان مضاء بأكمله فهي لا تهتم بإغلاق كافة ال"أنوار" الا واحد في آخَر الليل كما هو معتاد وتوجّهت مباشرة إلى الحمام وأمَام الحوض شعرت برغبة في البكاء لِمَ؟! لا أدري ولكنني تغلبت عليها وغسلت أسناني ووجهي وجففته بعنف يعكس ضيق بداخلي، أذيتُ بشرتي وابتدأت يومي بضيق وخواطر مخنوقة خرجت إلى المطبخ اخرجت اللبن من الثلاجة أخذت منه كوب ووضعته في اناء على النار والتقطت كوب من مكانه وقمت بشطفته بالماء وأيْضًا الملعقة ووضعت بها ملعقتين من السكر وثلاث ملاعق من

الكاكاو وقمتُ بالتقليب، التفتُّ على صوت التصاق اللبن في حواف الإناء على إثر الحرارة المنبعثة من النار، أغلقتُ رز الإشعال وسكبتُ اللبن في الكوب ورفعتُ طبقًا صغيرًا وضعته أسفل الكوب وجذبت صينية مزخرفة ووضعت الكوب عليها وسارت الريسبشن وضعت الصينية على الطرابيزةِ، وجلستُ أمَامها أنظر في الفراغ لثانية ثم أخذتُ نفسًا عميقًا ثم حملتُ الكوب وأخذتُ أشرب منه ببطء لأهدأ قليلا من الداخل، كان بعض ما فعلت أحد طقوس أمي، كنت أراها تفعل هذا، غير أنني الآن في الصباح الباكر وهي كانت تقوم بذلك عند الغروب فرغت من احتساء الكاكاو بالحليب وضعته على الصينية وتوجّهت على الفور إلى غرفة النوم وقبل أن ادلف إلى الغرفة تناهي إلى سمعي صوت أبى منفعلا وصوته مرتفع وكلامه واضح وكان صوت طنط "سحر" عالِيًا لأول مرة هي الأخرى دخلت بكل هدوء واصرار مباشرة إلى الغرفة وأغلقت الباب وفتحت مصباح النور ولم اعبا لان تنتبه "ريم" وتستيقظ فهي الأخرى لديها كليتها ولكن لا يعنيني كما لا يعنيني ماذا يحدث بالخارج، فتحتُ ضلفة الدولاب وأخرجتُ ملابس المدرسة وارتديتها وقمت بوضع بيجامة نومي على الشماعة ومشطت شعرى ورفعت حقيبتي وأشيائي وفي يدي جوربي وتراجعت ثانية وملت إلى سريري ورفعت قدمي وأنا احكم ارتديه وخرجت من الغرفة ولم أغلق النور وعلى

عجالة فتحت درج المكتبة وأخذت بعض النقود والتفت إلى الجزامة وأخرجت حذائي ولبسته في عجالة وأنا أحاول صمّ اذني عما ينتشر من صدى أصوات في المكان على مقربة منّي ويفصل بيننا جدًار وباب سأفتحه الآن وخرجت مباشرة متجهةً إلى الباب الكبير لم ألتفتْ على باب الشقة الكبرى عن يساري ومضيت إلى الحديقة فتحت الباب وخرجت وطوال الطريق كنت أطرد كل تساؤل حول ما يحدث مكررة إلى نفسي لا أُريدُ أن أعرف شيئًا، باستثناء شيءٍ آخَر أجبرني على التفتيش في سجلات المكالمات لعلّي أجِده فلم أجِد وختمت ثمة ما من شأنه تعكير يومه واستمريت في طرد كل خاطر يجول برأسي وروحت انشغل في مشاهدة كل ما تقع عليه عيني عبر زجاج شبابيك الباص في الطريق من حولي ومر اليوم كما استعديت له.

بينما ألقب صفحات الكتاب بَعدَ تململ من تواصل ساعة كاملة لم اتحرك من مكاني أو يزيد سمعت أبي يعنف "ريم" خارج الغرفة فتسمرت في مكاني ولم ابرح مكاني كما لم أسمع ما ي قُلْ لَها فقد كان صوته ليس من الارتفاع لأسمعه وكان صوتها وهي تتحدث وتَرُد متقطعًا وهو يقاطعها ويراجعها هكذا بدا الحديث الدائر بينهما بخارج الغرفة ولم أسمح لنفسي أن أسأل فقط نعمت بتوفير مساحة من السكينة لذاتي بعيد عما يحدث هما لا يخبرونني وأنا لا أُريدُ أيْضًا ولا ينقصني أن أعرف لا يضيف لي

كما أنّي قد ارتحت من لعب دور حمامة السلام بين "كريم" و"ريم" والصوت المحايد بين ما تنتقده "ريم" في أبي هكذا أنا في سلام وبحياد مع المنغصات من حولي عندما هكذا قولت لنفسي بَعدَ دقائق لم يتسنى لي سماع صوت أبي أو "ريم" فقمت من مكاني وتجولت في الغرفة الين مفاصل قدمي في الغرفة فضلا على أن اخرج منها ثم عدت ثانية لاستئناف المذاكرة وجدت "ريم" تفتح الباب بقوة وتدفعه بقوة تجنبت النظر ناحيتها وهيء لي أنها تنظر لي بلوم وغضب فلم اعيرها أيّ انتباه وظللت أنظر في الكتاب توقفت عن قراءة الفقرة ولكن ثبت نظري عليها في منتصف الكتاب هربا من النظر ناحيتها زفرت بهدوء وثقل وكانت تبدل ملابسها في هدوء وتململ وهي تكتم ضيقها هكذا شعرت بها لم يخالجني الفضول لأرفع وجهي كما لم اهتم أن أسألها ما بك لا أردّ لها ما تفعل ولكن بالفعل ليس بي رغبة لمعرفة الجديد مما يحدث فخرجت من الغرفة بهدوء ولم التلفت ناحيتها خرجت مباشرة إلى المطبخ لقد شعرت بالجوع بالفعل

لم انتبه لما لم ينادي أبي لتناول الغداء معه أو تأتي طنط "سحر" وقفت في المطبخ وتناولت ثمرة تفاح واصبعين من الموز لم واعددت كوب نسكافية وادرت التيليفزيون وجلست اقلب في القنوات وكان يملأني شعور بالاكتفاء والسلام لا إزعاج ولا فضول ولا جدًال، فكل شيء له مردود، وأنا فضّلت ما أنا فيه

الآن، القيام بأولوياتي وكبح أكثَر من رغبة كانت تجلب وتتسبب في تجدد تلك الثورة من الخواطر بداخلي حقا لا أعرف شيء مما يجري حولي ولكن أنا انعم بالسكينة والسلام وكان هذا هما ثمرة ما انتهجته مؤخرا مَرَّ "كريم" من أمامي لم يتحدث إليَّ وأنا لم أشعره أنّي قد رأيته وجدته يتراجع بعدما قصد غرفته مباشرة من دخوله من الباب لم اهتم وجلس قبالتي فالتفت إليه وقلت له بهدوء وفي سرعة خاطفة أيّ شيء فخرج من فمي سؤال كان اعتياديا للاطمئنان ومن بين ما ابادر به للحديث أكنت في الدرس رجعت الأن؟ فنظر لي معاتبا ولم يرد

ضعفت أمَامه ولم التزم معه فيما قطعته على نفسي فسألته هل تذاكر؟ فضحك ساخرا وهو يتأملني بلوم وبدأ متأثّرا فقلقت وتلعثمت وأن أحاول شرح صمتي الطويل وتهربي من جلساتهم ولم تعطيني "ريم" الفرصة جاء صوتها من خلفي خارجة من غرفة النوم وهي تقول موجهة كلامها لـ "كريم"

"ريم": أتركها يا "كريم"

فنظر "كريم" على أعلى رأسي باتجاه ريم

"كريم": "مريم"

بابا أخذ "ريم" معه وذهب إلى ماما قاطعته "ريم" محتدة وهي مرتبة بصوت مضطرب صارخة

"ريم": "كريم"! قلت لك أتركها

لا تخبرها باي شيء هي مثلها تمامًا وأنت كنت تغضب منّي عندما أقوُل هذا

التفت لها مستفهمة فلم تنظر لي وظلت توجّه كلامها إلى "كريم" كان وجهها محتقن بالغضب وعلى وشك البكاء صوتها كان مختنقًا بالبكاء، فقمت من مكاني واقتربت منها واجلستها بجواري استسلمت ليدي وجلست تنهد "كريم" وهو يتجنب النظر لـ"ريم" التي بقت جامدة في مكانها لا تتكلم كنت في غاية الحرج من إخوتي ولكني ظننت أن هذا يريحهم كما وقد وفرت لي قدر من السلام مع نفسي والارتياح تجنبت النظر إلى أيّا منهم وقلت مسترسلة لمست منها ولم اشر ناحيتها أنها لا تريد الحديث معي وأنت لم تخبرني بشجار أبي معك المستمر مؤخرا هي أخبرتني وأنت لم تخبرني وتناهي لسمعي تعنيفه لك ولم تخبرني واليوم منذ قليل كان أبي هنا وكان فقاطعتني بالتفاتة حادة غاضبة منها فتلعثمت

على إثر نظراتها اللائمة والساخطة فالتفت ثانية لكن تلك المرة لـ"كريم" وقلت بَعدَ تنهيدة قصيرة:أنتم تريدون أن تنفردوا بما يحدث معكم فيما بينكم ولا تريدون أخباري بشيء.

لم يرد عليّ "كريم" ولا "ريم" فالتفتُّ ناحيتها فوجدتها تبكي بالفعل، شعرتُ بالشفقة عليها والحرج من نفسي آلمني ذرفها الدموع في صمت لم اعهد هذا منها لا ابالغ أنّي شعرت أنّي

السبب في معاناة كل شخص في الكوكب وأن صمت فجر براكين الغضب والصخب والصراخ والأنين من حولي كل هذا شعرت به للدرجة التي لم اقوى على التكلم ومرة لحظة ولحظة كانوا كساعتين أو سنتين! ماذا فعلت أنا

فبكت وبعدما اجهشت في البكاء تحدثت "ريم" قمت من مكاني وأنا أنظر إليه بغضب بالغ، لقد تراءى لخاطري مشاهد مشابهة ولكن من أبي لأمي كما هو الآن من "ريم" لم لتصدقني عندما قلت لها بكل يقين أنها تقلده، وددت لو أقوُلها لها، الآن اختنقت وشعرت أن النفس سيتوقف، لم أرد بالفعل سماع أيّ شيء، تركتهم وجريت إلى الحمام وفتحت الماء لندفع بقوة من الصنبور ليعلو على صوت بكائي، وقفت لربع الساعة في زاوية الحمام أبكي، تلك اللحظة أبكي ما شعرت به، لقد أشفقت عليها وعلى نفسي، لمَ نتردد في الجزم بأحقية غيرنا في وصف ما يؤلمهم وأنهم محقون فيما يرون حتى نمر بمثلها؟ ربما هذا ما يعمق ذلك الشعور فينا، حينها كانت كلما مرَّت بهذا واراها تقف أمَامه صامتة ووجها مضطرب وعيونها حائرة مثقلة في نظراتها كنت انشغل بما أفعل واو توقفت للحظات واهرول إلى ألعابي كنت موقنة أنها حزينة منكسرة هذا أستوعِبه ولكن للان لا أستوعِب الابتسامة اللزجة على شفاه أبي وهو يتأملها وهي في تلك الحالة! هل سأكون في مكانه يوما لادرك معناها لا أظن أنّي

أقبل أن أحتمل أن يكون أمامي أحد يئن من اعماقه كما أشعر الآن

أوقفت مهزلة دموعي وشلال الماء الّذي بلل من شدته ملابسي خرجت مباشرة، أوقفتني غرفتي وأنا أخفي وجهي وأنا اجفف برفق متجاهلة وجودهم مررت بهم دونما أن التفت أو أتوقف أمَام نداء "كريم"

"مريم"؟ يا "مريم"؟!

دخلت مباشرة ولم أغلق الباب خلفي توجّهت إلى دولابي لأبدل ملابسي بأخرى جافة ف"كريم" لن يدخل خلفي الا اذا طرق الباب والدولاب في عمق الغرفة إلى اليمين والباب أيْضًا واخرجت لي ثوب آخَر فستان مزركش ووضعت الملابس المبللة في سبت الغسيل بجوار الباب فلمحتني "ريم" فنادت "كريم" ودخلا معًا تجاهلتهم وجلست إلى سريري ومددت جسدي وأخذت كتاب تظاهرت أنّي سأذاكر وفتحته وظللت أنظر فيه مالت على وأخذت الكتاب من بيني يدي بدون كلام وقربت الغلاف من وجهي اتضح لي أنه كتابها هي وليس بكتابي لم انتبه فضحك "كريم" وأخذه من بين يدي "ريم" والتي جلست قبالتي على طرف سريرها بينما "كريم" جذب كرسي مكتب "ريم" وجلس إلى الجهة الأخرى لدى طرف سريرها ليصبح وجهه قبالتي أنا وهي وأخذ ينظر لي

ولها وهو يهز رأسه وهو يزفر في تعجب وفي دعابة وهو يمسك بالكتاب من وكأنه يقرأ منه قائلا: صب أبيك جام غضبه.

فقاطعناه ضاحكين أنا و"ريم" على طريقة الإلقاء التي يتقمّصها ويتكلم بها، فواصل وسط ضحكاتنا :صبّه صبًّا

وشرع يتحدث بتلقائية متأثّر وساخرا؛ وما ذنبي أنا يا والدي هي لا تريد أن تعيش معك ثانية، أليس هذا من حقها؟ الحقيقة أنّي كنت متوقع بل ومتأكد أنها لن تعود ولكن...

فاعتدلت "ريم" وقفزت فوق سريرها وأصبحنا ننظر لـ"كريم" منصتين والابتسامة تعلو وجوهنا وانعكس هذا على نبرة صوت "كريم" وهو يرانا قد انفرجت أسارير وجوهنا وتبادلت أنا و"ريم" نظرة ودٍّ خاطفة فواصل "كريم" حديثه بِنَبْرةٍ هادئة وفي جلسة متراخية على كرسيه واضعًا قدم على أخرى وقام يقلب صفحة الكتاب وهو يستعيد تقمص المُلقي بلغةٍ فصحى سليمة: يجب على الرجل الّذي تفهم رفض امرأة هو خسرها بأفعاله، هل يراهن على غبائها أم ضعف ذاكراتها وبجدية وبعفوية؛ أنا كابنه أتفهم انفعاله عليّ وإحراجه المستمر لي أمَام القريب والغريب، فهو ينفث فيّ غضبه من أمي لأن خالي أخبرني أن أقوُل له أن أمي رفضت الرجوع له وأنا أخبرته بنفسي وفي المرة تلك أخبره قريبه أنها لا تريد الرجوع له وأن أمها حدثتها ولكنها مازالت ترفض الرجوع وأن كل محاولات الضغط والإلحاح واستعمال الأولاد لم

تنجح، فأنا بالفعل ألتمس له كل العذر حتى وأنّه كاد أن يصفعني ويركلني أمَام هذا القريب.

وضعت يدي على فمي و"كريم" يحكي لقد عبر صوته عن حزن وأسى فقطاعته ولكنه لم يسمح لي وواصل حديثه قائلا: وإن ركلني أو صفعني لعندي أهوَن من أن تعود هي ويعاملها تلك المعاملة المهينة عن عمد، كان يجب أن يعلم أنها سيفيض بها وتتركه، وما يحيرني هو لمَ يصر بَعدَ أن تزوج أن تعود أمي؟ هل جُنَّ؟ لم تقبلك وأنت لها وحدها هل ستقبلك الآن أنها كما قالت إنها قد ولدت من جديد يوم تركته لمحت جدتي تزمّ فمها لم يرق لها ما قالت ولكن هي قالت وكانت في كامل ارتياحها وكان صوتها هادئا وتنبع الكلمات من داخلها من اين اتى بكل هذا الامل الّذي يظهر على فترات في التأمل في عودتها له لو لي سلطة عليها لطلبت منها الا تعود له مُطلقًا التفت إليه "ريم" بلوم قائلة

"ريم": حقا يا "كريم" ما تقول، لو لك سلطة لقلت لها ألا تعود له؟!

أعلم ما ترمي إليه "ريم" من وراء كلامها هذا ولكني فضلت الصمت والانصات بماذا سيرد "كريم" وتأملت عينيه وهو يتلفت تجاهها ويرد:بلى، وأعرف ما تقصدين ولو كان لي من سلطة عليها في أن تعود لما استعملتها.

"ريم": لا لم أقلّ هذا

"كريم": ماذا كنت ستقولين إذن؟

"ريم": ولا تغضب؟

"كريم": ماذا؟

"ريم": قُل لي أولا؟

فقاطعتهما وأظن أنّي محقة في معرفة ما أقصد من البداية فالتفتُّ ناحيتها وقلت لها: لقد كبرنا ويمكنك أنت وأنا الاجابة في أقلّ من 10 سنوات من الآن، إن لم يكن 5.

فهزّت رأسها قائلة: وهل سأنتظر حتى أعرف؟

بل عندما تجربين يا "ريم".

فضمت شفتاها على بعضمها ومدتهما للأمام واغمضت عينها وارتبكت

"كريم" ينظر تارة لي وتارة ناحية "ريم" وهو يتأملنا بنظرات مستفهمة ولكن من المرات الاستثنائية حرمت "ريم" نفسها من الرد المندفع والمتحدي وصمتت وعاد "كريم" لمواصلة حديثة في نفس الاتجاه قائلا "كريم": أنا شاب ويتملكني الغضب الشديد عندما يتعمد حتى أبي إهانتي أمَام الآخرين فكيف أن حضرت موقف يوجه فيه اهانة لأمي أمَام الآخرين بحضوري ماذا سأفعل التفت "ريم" تجاهه مشدوهة وقد ازعجها تخيل هذا بعدما لمحت لها أنها عندما تكون في مكان أمي سيكون لها الفرصة الحقيقة

لتعرف ماذا كان رد فعلها وستتصرف حينهما وعليها أن تجرب وقد اقتربت من خوض التجربة اضافة لما ذكره "كريم" الآن فنظرت لي وخفضت رأسها أمَامها في اسى وتأثّر لمح هذا "كريم" وقد اصاب في مثله هذا بعدما المحت لها بما قلت فراي أن يخرجنا من كل هذا محاولا اضحكانا فقام في مكانه وهو مشى لبعض خطوات في الغرفة وهو يرفع رأسه بتشنج وهو يقاوم الضحك ونجن نراقبه ولا نفهم ما يفعل فسعل ثم توقف مكانه وهو يشيح برأسه للجهة الأخرى بأنف مرفع وعيون مغمضة نصف غمضة فعلمنا أنه يقلد بابا فابتسمنا زفر "كريم" وقال بصوت أجشّ: أنا لا أُريدُها، هي من تركت أولادها، إنها ليست أمًّا، لمْ أرَ في حياتي أمًّا هكذا ترعى أولادها.

فانفجرنا في الضحك، لقد كان يقولها أبي عن أمي في الخمس مرات التي حاول فيها أن تعود فكان يُعقب على كل رفض بهذا، ما شعوره لو علم أن جملته هذه موضع سخريتنا وضحكنا الآن وهو كان يرمى لشيء آخر؟ فشل في استردادها وفي تسميم علاقتنا وفكرتنا عنها ومازال يحاول وسط ضحكنا واستكمال "كريم" للمشهد التمثيلي وهو يقف في جانب الغرفة وهو يتظاهر أنه يتحدث في الموبيل مكملا هيئة أبي بَعدَ الرفض وهو يقول اتصلت بك مرات هذه اموال ناس لا أحب التهاون في العمل حافظ على مواعيدك ونحن نضحك بشدة وهو يسير مرتبكا وهو

يحاول اطلاق بما بداخله في أوراق الشجرة في افرع الجنية ممسكا بملابسي المعلقة على الشماعة وغرقنا في الضحك وتناهي إلى سمعنا صوت أبي وطنط "سحر" وهما بخارج الغرفة يتهامسان بصوت مسموع ورائق ونادى أبي من خارج الغرفة فردت "ريم" اتفضل يا بابا احنا هنا بينما كنا نكتم ضحكاتنا وبسرعة جرى "كريم" مبتعدا عن الشماعة ولكن أبي وطنط "سحر" قد دخلا الغرفة مُتأبِّطةً ذراعه وتلبس فستان لامعًا، كانا عائديْن من الخارج توًا من هيئتهما. بابا: لمَ كلكم جالسون هنا؟ فاعتدلت في مكاني ونزلت عن السرير ووقفت بجواره و"كريم" كما هو ولكن يتقدم إلى عمق الغرفة بينما "ريم" ظلت كما هي ممددة في السرير تتحدث إليهم من مكانها. طنط "سحر": لماذا لاتشاهدون التيليفزيون أو تجلسون في الحديقة؟

التفت إليها بابا وهو يقول: لا أدري لمَ كلكم هنا؟

شعرنا أنهم كمن يريدون أن نعرف أنهم كانا بالخارج وعادا مبتهجيْن شعرت بهذا ولا أدري حقا ام لا

التفت أبي إلى طنط "سحر" مبتسما بينما هي تنظر ناحيتنا وهي تبتسم بِودٍّ قائلة هل تناولتم العشاء؟

"ريم": نعم تناولنا العشاء

فنظر أبي لنا نظرة واحدة وخرج وهو يقول تصبحوا على خير

"كريم" وأنت من اهله

"سحر" : تصبحوا على خير

"مريم": وأنت من اهله

لم تَرُد "ريم" وظلت تنظر عليهم وهم خارجين من الغرفة وهي تهُزّ رأسها بضيق لم أستوعِب ما جرى ولكن سألت هل كانوا بالخارج

فرد "كريم": وتوا عادوا فرحين مبسوطين كما ترين

"ريم": "كريم"؟

اعد لنا تمثيل ما جرى فضحكنا مُجَدَّدًا واسترجعنا بسرعة ما كنا بصدده قبل دخول بابا وطنط "سحر"

خرج "كريم" خلفهم وأغلق الباب وعاد الينا ووقف في طرف الباب وسمعنا صوت التيليفزيون من الخارج

ريم التفت إليَّ وهي تقول تريد أن تخبرنا أنه كان يفسحها وقالت وهي تزمّ شفتيها واكيد جلب لها هدايا ويمكن أن يكون اشترى لها خاتما بفص من الماس فنظرت لها مشدوهة متعجبة فقالت بحزم نعم نعم أنه يشترى لها الكثير من الهدايا هي ذكية هذه الـ"سحر" تدعى لقريبتها تلك التي اشارت عليه بتلك الزيجة المربحة فقطاعتها تقصدين تلك المرأة قريبة جدتي ذات الشعر الاحمر قاطعتني "ريم" هذه صبغة يا عزيزتي، فهي عجوز شمطاء كما يقال فضحكت على وصفها فراق لها ما قَالت سأسميها من اليوم بالشمطاء صاحبة الشعر الاحمر فضحكت لا

أدري من الفائز والمحظوظ والّذي يعتبر نفسه محظوظ بتلك الزيجة بابا ام طنط "سحر"؟

"مريم": هما الاثنان

"ريم": بل هي أكثَر

"مريم": كيف

جاء صوت "كريم" من خارج الغرفة وهو يقول بينما اختفي صوت التيليفزيون يبدون أنه أغلقه

"كريم": سأنام تصبحون على خير

"ريم": وأنت من أهله

وسمعنا صوت انصفاق باب غرف "كريم"

اردفت "ريم" قائلة: ألا ترين كيف تعيش وكم تأخذ ويعطيها ويجلب لها؟ أنت لا تعرفين أهلها، أهلها فقراء وبسطاء كانت تعمل بائعة في محل بعد وفاة زوجها لتكفي نفقاتها ونفقات ابنها، كان زوجها فقيرا وبسيطا هو الآخر، هي وهو من أُسر بسيطة زواجها من أبي كان نقلة كبيرة بالنسبة إليها فيلا وعربية وفلوس وهدايا وراحة كلنا كبار ولا نحتاج رعاية ولا غيره، هي جاءت له فقط في اخريات في ظروفها يتزوجون رجال لديهم اطفال فتراعاهم زوجة أبيهم وتخدمهم هي جاءت ونحن كما نحن كبار ولا نحتاج رعايتها أو أيّ جهد تبذله في سبيلنا أو تقدم لنا شيء باستثناء أطباق حلوياتها تلك وما نتناوله جميعًا معًا، إنها

تستيقظ بعدنا ونعاملها كما تريد، ولقد كانت أُمَّك محقة في شيء ذكرته نحن لسنا مثل الآخرين سيكون طلاقنا مثالي لا نعيب في بعضنا البعض ولن يؤثر الطلاق علينا كما نرى من حولنا في حالات ولدى الآخرين مما يمروا بتلك الظروف وبالفعل كما تريدن نذهب إليها ونعيش هنا وهناك ولكني معجبة بتصرفاتها أنها ذكية فقاطعتها متسائلة كيف فنظرت لي "ريم" عن كثب تستطلع طبيعة السؤال وما أقصد هل كما سبق للخلاف ام لأعرف بالفعل ف تَرُد وعلى ما يبدو ادركت أنّي اساله للفهم فقالت أنها ذكية فهمت أبي الا ترين كما هما منسجمين ومتفاهمين مع بعضهم البعض يخرجون يسهرون تزور أهلها يجلب إليها الهدايا حتى أنها تلبس الأحمر الّذي كان يثور إن ارتدته أمي بداخل البيت بينما سمح لها بأن تخرج به ولامعا وفي سهرة، ألا ترين هذا ذكاءً منها؟ هل تسمعين صوته يعنفها؟ فقاطعتُها وسط حماسها الّذي تتحدث به وقلت لها مرات سمعته يعنفها ومرات سمعت صوتها وصوته أيْضًا يتشاجران فحملقت في متعجبة في استنكار متى يحدث هذا؟! فقلت لها لقد سمعتهم عدة مرات على فترات متقطعة فشردت "ريم" وعلت الدهشة وجهها وظلت تحملق في وعيونها تدور في اتجاه ثابت في وجهي ولم تَرُد بادرتها قائلة لأخفف من توترها البادئ ودهشتها ألا تعرفين هذا؟

"ريم": ولو كنت أعرف هل سأسلك؟ كنت سأخبرك أنا. ولكن هل كانت طنط "سحر" هي الأخرى تتشاجر معه؟

"مريم": بلى، وصوتها يسبق ويعلو صوته في أحيان منهم

"ريم": لا يهم هي كما وقلت لك أنها ذكية

"مريم": ذكية ذكية، ما علاقة هذا بما نتحدث بشأنه؟

"ريم": تجيد التصرف وتعرف كيف تتعامل معه يبدو أنها روضته أو كسبت وده وأدركت الطريقة التي تتعامل بها معه كيف تحسن ادارة امور حياتها مع زوجها

"مريم": زوجها؟!

"ريم":ماذا فيها؟!

"مريم": شعرت أنك تتحدثين عن شخص آخَر شخص غريب لا نعرفه شخص غريب

ريم وهي تقهقه باستنكار وسخرية وتأكيد ليس لتلك الدرجة ولكنني أتحدّث الآن عن رجل وامرأة

نظرت لها "ريم" مشدوهة مستفهمة ثانية وهي تهُزّ رأسها لدفع فكرة خيمت على رأسها وتسبب فيها كلام واشارة "ريم" فالتفت الجهة الأخرى وهي تهُزّ رأسها بينما "ريم" ظلت تهُزّ كتفها في تؤدة وهي تبتسم بمكر وخيبة أمل قائلة لا أُريدُ أن اضايقك يا "مريم" وتعودين للغضب منّي وتتهمني بالتجامل على أُمَّك فالتفت "مريم" بعتاب قائلة زوجها! والان أمك!

ضحكت "ريم" هازئة وهي ترمق "مريم" بلوم وحيرة وهي تقول "ريم" لا تتوقفين عند هذه الاشياء البسيطة هو أبي وهي أمي أنا أتحدّث معك أنت يوجد معنا أحد منهما توقفك ادام الأمور والمسائل الصغيرة وتوافه الاشياء هو ما يجعلني ا تردد في الحديث معك أحيانًا لقد كبرنا يا "مريم" أقوُل لك أنّي أتحدّث عن أثنين رجل وامرأة تقع بينهم شجارات متعددة وحياتهم تسير للأمام لا تتوقف تتشاجر معه ويجلب لها الهدايا تكرر اختلافاتهم وتكثر خروجاتهم ومع الأيام تقل ويسود الهدوء والاستقرار وهم كما ترين سعداء معًا لم تشأ "مريم" مقاطعة "ريم" فاغلب ما قالت لا تقتنع به ولاحظت "ريم" هذا ولكنها فضلت أن تواصل الحديث بِنَبْرةٍ حيادة متفحصة محللة كانت "ريم" تسمع وهي متوترة كما لا يتوقع أن يسمع هذا وأيْضًا يرفضه هي تطابق ما يقال على أبيها وامها بينما "ريم" ترمي لشيء آخَر ايقنته "مريم" ولكن تجد صعوبة في تقبله كانت "ريم" تتحدث بجدية إلى أن قالت "ريم": أنا معجبة بشخصية طنط "سحر"

"مريم": ماذا؟! معجبة بشخصيتها؟!

ريم نعم معجبة بطريقتها في تعاملها مع أبي فقط ولاتتهميننني في أنّي أقارن بينها وبين أمي ليس هذا ما أقصد ولكنني وتصمت "ريم" وهي تتأمل عيني "مريم" المليئتين باللوم عليهم وترمقها بلوم

"ريم": لا يبخل عليها بشيء كل ما تريد يأتي إليها ألا ترين كيف تعيش بَعدَ فقر وعوز وعمل بسيط وتعب ومشقة تعيش كالهوانم ويحرص على إرضائها واسمحي لي أن أقوُل ما تخشين أن اكون أرمي إليه لن أتكلم عن أُمَّك أمي سأقوُل أمي حتى لا تتضايقي وتظني أنّي أعقد مقارنة بين زوجة أبي وبين أمي لصالح زوجة أبي!

تأملتها "مريم" بعيون متأثّرة عاتبة وهي تنصت إلى كلامها بفضول واستغراب اردفت "ريم" تكمل ما تقصد

"ريم": كنت أبحث عن الطريقة المثلي لتفادى ما نحن فيه الان؟ لو كانت أمي تعرف كيف تعامل أبي لما كانت هي في جانب وهو مع أخرى ونحن بعيدًا عنها لا أقصدها هي اكررها عليك أقصد نفسي أُريدُ أن أكون مثل "سحر" في اداراتها لحياتها مع زوجها وفي حياتها مع زوجها هي تتصرف بفهم ووعى وذكاء لن أكون عاطفية ومتسامحة ومفرطة في الحب والحنان والاهتمام مثلها مثل أمي، فلم تجنى من هذا الا سنوات من التعب والمعاناة مع رجل، وحكّت رأسها بكفها وهي كمن يزن الأمور فأضافت أمي لم تفهم أبي لم يتغير شيء هنا والحياة مستقرة كما نرى أبي هو أبي والبيت هو البيت ونحن كما ترين فقط أمي ذهبت و"سحر" أتت أنها ذكية وواعية أُريدُ أن أكون مثلها في تلك الناحية سأتزوج رجلا مثل أبي يعطيني قبل أن

اعطيه يحرص علي قبل أن افكر به أأخذ قبل أن اعطى لا أبذل الكثير في مقابل القليل القليل أو لا شيء، أحيانًا لا تعجبني "سحر" وشخصية "سحر" قاطعتها "مريم" مازحة "مريم": تريدين عريس غنى مثل بابا؟!

"ريم": وأن يكون وسيم ولديه سيارة موديل نفس العام

"مريم": أيّ عام؟ الّذي سيأتي ليخطبك فيه؟!

باستنكار وبِنَبْرةٍ تؤكد "ريم": بالضبط

وبجدية سألتها "مريم" وهي تتفحص وجهها باستغراب متسائلة

"مريم": والحب؟!

"ريم": ما به؟! ف تَرُد "مريم" متعجبة ما به؟! لما تتحدثين عن الحب وكأنك لا تعرفين فأُنصتت لها "ريم" لتكمل حديثها وهي هادئة تعي ما تقل منتبهة لرد فعلها وتعقب به مما فجر اسئلة متجددة في خاطر "مريم" وتزاحمت الأفكار في رأسها وارتبكت بالفعل أمَام هدوء "ريم" وثباتها فيما تقول أدركت "مريم" أن "ريم" كانت تتحدث بجدية وعن اقتناع في المقارنة التي عقدتها بين امها وزوجة أبيهم وانها بالفعل تحتذى ب"سحر" كنموذج للزوجة في علاقاتها وتعاملها مع زوجها لم اتمنى أن أسمع هذا من أختي شعرت أن ماما مذنبة أو متعثرة وفاشلة في حياتها لم تنجح في حياتها مع أبي ولم تحسن كسبه وبالتالي الاستمرار ودفع حياتها دفة حياتها للأمام وتعيش في مكان ونحن في آخَر

هل محقة "ريم"؟ ربما هي محقة في أن لو كانت أمي تحسن التصرف لكانت اليوم بيننا وأبي يعاملها كما يعامل زوجته وكنا نحن معها وهي بيننا الآن لن الوم "ريم" أن كانت قد قدرتها من تلك الناحية ولكن كان صعب على أن أجِد أمي في موضع تقصير بحق نفسها وأن تنجح أخرى اليوم هي في مكانها هل فشلت أمي بينما نجحت طنط "سحر" لا أرَى "ريم" متحاملة من تلك الزاوية على أمي فهي محقة لقد قاست الأمر على نفسها هي تود أن تستمر حياتها المستقبلية مع من ستتزوج وتتصرف وتتبع أسلوب وطريقة طنط "سحر" في تعاملها مع أبي لا أملك أن الومها يبدو أنّنا كبرنا كما قالت ظللت ليلتي افكر في كلامها واستسلمت لثورة خواطري بالاشتعال والتحرك مع تفكيري ومنطقي لسبيل لم اخمدها ولا أحاصرها اطلقت لها العنان لتزداد وتتسع وسمحت للمنطق في الأمور أن يقول كلمته ويفصل في الاشياء التي امحها واخمدها فور ظهورها وبزوغها لم اعمل المقصلة لأفكاري وخواطري اطلقت العنان ومنحت الحرية لهواجسي أن تتحرك ولخواطري أن تتلقى وتجاهلت ضيقي بالمكاشفة والمحاسبة والادانة حاكمت ما يخشى الظهور ليعنون يعض الأمور منحت الحرية لنفسي أن تعبر عما تحاول مرات ومرات أن تسكته ليس بشأن أمي وأبي فقط ولكن في نظرتي أنا أيْضًا بتعقل إلى من حولي لابد أن انتبه لما أفعل وأتَصَرَّف إلى متى

أظلُّ أخمد أفكاري واقصل خواطري لا أقوُل أن "ريم" محقة في ما تنوى أن تفعله أو ما اختمر في ذهنها وأدركته ولكن استفقت إلى شيء لم انتبه له عن قرب وهو أنّنا كبرنا وهذا ما خلفه حديث "ريم" داخلي أنّنا قد كبرنا ومادام قد كبرنا على أن افكر وأتَصَرَّف وازن الأمور كالكبار كما يتناسب وسنى. وفي اليوم التالي ونحن نتناول الغداء لم تكن طنط "سحر "مثل ليلة أمس مازالت تحتفظ بضحكتها وسرورها كانت فاترة في معاملتها وصامتة طوال وقت تناولنا للطعام بينما أبي كان يحتفظ بابتهاجه أمس هذا ما لاحظته لما رأيت "ريم" تتفحص وجوههم أبي تارة وطنط "سحر" تارة أخرى هي من لفتت انتباهي لهذا فنظرت بترقب إلى وجوههما حتى أنّي لاحظت أن طنط "سحر" لم تكمل طعامها وكانت تتظاهر بالأكل بينما "كريم" كان كعادته يأكل بسرعة ليقوم قبلنا ويغادرنا ولحقت أنا به لقد وجدته خرج إلى الحديقة ينتظر أحد اصدقائه سيمر عليه يأخذه جلسنا سويا نتحدث في المذاكرة والدروس وسألني عن موعد الامتحانات وسالته كيف هي امتحانات الكُلّيات ضحك وأخبرني أنها شهور وسأخوض التجربة فرحت وابتهجت في نفسي وجدتها دفعة لتجديد جدول المذاكرة باخر وعندما عاد في المساء وجدني بغرفتي اذاكر اشار لي بيده محييا وخرج من الغرفة وعندما لحقت به كان قد دخل غرفته فعدت أنا إلى غرفتي ثانية لأُواصِل

دروسي

مر شهران ودخل الحر واجواء الصيف الخانقة أخذت كتبي منذ الصباح لأذاكر وارجع دروسي في جو منعش وسط النسيم والاشجار وزقزقة العصافير ما إن تحمى الشمس قليلا قبيل الظهيرة أدخل إلى الغرفة أُواصِل دروسي وأنام لوقت على أن اقوم على موعد الغداء واجلس مع "كريم" و"ريم" لوقت ثم أُواصِل مذاكرتي لقد أعدَّدت جدولا وبرنامجا يوميا على مدار الشهرين لا احيد عنه وكات زياراتي الأُسبوعية لأمي لم تتأثّر فكنا نذهب نحن الثلاثة في اول النهار ونعود بَعدَ الغروب لظروف الامتحانات وذلك كل يوم جمعة وكنت اتخلف واذهب السبت أن صادف وكان لدى أيّ دورس يوم الجمعة كان التقائي بأمي دفعة لمواصلة المذاكرة بعزيمة وحماس خضت الامتحانات وكانت أقلّ صعوبة مما توقعت وها أنا الآن في انتظار النتيجة وأبي يؤجل الذهاب للمصيف حتى تظهر النتيجة كما أخبرتني طنط "سحر" رغم أن أبي لا يهتم كثيرًا لأمر التعليم والمجموع والنجاح والمستقبل لا أدري لما ويمكن لأنه دائم الانشغال في العمل وكان يترك أمر ذلك لأمي وقد اعتاد عدم الاهتمام لهذا فاعتدنا منه الأمر ولكني امتننت لطنط "سحر" فهي من طلبت منه تأجيل الذهاب للمصيف حتى تظهر نتيجة امتحاناتي في الثانوية العامة

ويوم ظهرت نتيجة الامتحانات فضلت أن اكون عند ماما لأنها كانت قلقة وكنت اود مشاركتها الفرحة اول أحد وظهرت النتيجة وحصلت على مجموع أهلني للالتحاق فيما بَعدَ بكلية الاثار لم تكن رغبتي ولكنني قبلتها كنت أحب دراسة التاريخ والاطلاع على تاريخ ومعرفة الحضارات الأخرى بفضل أمي تأقلمت مع الدراسة ومع الوقت تقبلتها وتجاوبت مع المواد الدراسية ووجدت أن دراسة التاريخ والمعالم الحضارية والتراثية موضوع ومجال مشوق ومثير وأن كان مركب وصعب أيْضًا تغلبت على الصعوبة بالتقبل ومراجعة المحاضرات وتكثيف ساعات المذاكرة حتى صارت أقلّ صعوبة وأكثَر إيضاحا أمامي واقتربت الامتحانات وخضت الامتحان ومررت بالتجربة التي قالها "كريم" واشار إليها وجدت الامتحانات انسب لطلبة في الجامعة لا اختلاف سوى أن من يقوم بالتدريس لنا دكاترة وبدلا عن الفصول يوجد مدرجات ولكن الاجواء توحى بالفعل أنّنا قد كبرنا وانتقلنا من مرحلة دراسية لأخرى ومن مرحلة عمرية إلى أخرى قد كبرنا بالفعل عمليا وبكل المقاييس

في إجازة منتصف العام حضرت ثلاث حفلات خطوبة لصديقاتي ارتديت 3فساتين سواريه لم افكر في قبول أيّ ممن يتقدمون لخطبتي لأعيش يوم مبهج مثل صديقاتي ويأتي الدور على واكون أنا العروس وزميلات وصديقات هن المدعوات إلى

حضور حفل خطبتي ليس لأني مستغرقة في التعليم والمذاكرة ومواد ومجال الدارسة الصعب لا ولكن لأمر آخَر "ريم" لم تخطب بَعدَ فكيف اخطب قبل أختي الأكبر هي لا تجد فيها غضاضة ولن تتأثّر لذلك هي أخبرتني بهذا ذات مرة ونحن عائدون من حفل خطبة "مروة" صديقتها فابتسمت ولم أأخذ كلامها بجدية ولكن لن اخطب قبلها لقد اصبح الأمر يضايقها بعض الشيء تعددت أخبار خطبة صديقة لها وقريبة تلو الأخرى ماما ترى أنّنا ما زالنا صغار وعلينا الا نفكر في الارتباط والزواج قبل التخرج ولكن أبي كان له رأيا آخَر هو لم ينفذ ما يريد ولكن نفدنا من أن يزوجنا ونحن في الثانوية العامة أمي قالت لي أنها عندما تزوجت بَعدَ الثانوية العامة لم تعش عمرها وسنوات عمرها كما كانت تريد وتحب وترغب عاشت لغيرها قالتها بتأثّر لم تقصد ندما ولا لإشعارنا بالامتنان فمن الطبيعي أن تعطى الام وتقدم ابنائها عليها ولكن كانت تنصحنا كأخت أجِدنى اقرب ما يكون منها عندما تعاملني كأخت لها هي حنونة ومشاعرها فياضة وعواطفها متوهجة وغامرة لا حدود لحنانها تحتوى الكون بحنانها لا تنضب مشاعرها ولا تذبل كنت تريد أن نعيش اعمارنا وأن نخطط لحياتنا لا أن تترك الظروف تحددها لنا وتوجّهنا وكان هذا من الأمور التي يسخر منها أبي من بين آرائها الكثيرة كان يخاف علينا ولكن ليس أكثَر منها ولكن كما اعتدنا لكُلّ منهم

رأيا يخالف الثاني كانت ترى أن الحب ضروري كأساس في علاقة المرأة والرجل وبغير الحب الحياة والعلاقة بينهم بلا أساس قد تنهار في أيّ لحظة وفي أيّ مواجهة كان رايها هذا يثير نشوه أبي ويبتهج له كان يجيد العزف على مشاعرها المغرية متدفقة بلا توقف بينما كان رايها لا يلقى أيّ قبول لدى "ريم" التي كثيرًا ما قالت لي عن أمي أنها تغرق نفسها بكفيها هاتان وتشير على كفيها بعصبية وهي تتشنج ساخطة في بعض الأوقات كنت التمس لها العذر في رفضها إلى أن أخبرتني بمقارنتها واستعراض مكاسب بابا ونحن بزواجه من طنط "سحر" نعم لقد بت اقتنع بأن وجودها هي بالذات مكسب لنا حياتنا مستقرة لا شجار ولا اهانات اجواء هادئة ومستقرة كما أن أبي سعيدا وينعم بالراحة والهدوء في بيته بعكس ما قد سبق ومررنا به في حياتنا لا لوم أمي وأيْضًا توقفت عن لوم أبي لقد كبرت نعم لقد كبرنا ما أدهشني أن علاقة "ريم" بأمي لم تعد متوترة مثل قبل كانت موضوعات مناقشتهم محدودة وقليلة وكانت "ريم" تبادر بموافقة أمي على آرائها حتى وأن لم تكن مقتنعة ناقشتها فيما تفعل فقالت هذا أفضل فلا أُريدُ أن استهلك الأوقات التي اقضيها معها في الشجار والخلاف والاختلاف الّذي لا طائل منه كما وأنّي لا أفعل الا ما أُريدُ فلما كثرة الحديث وافتعال الشجار بلا فائدة ولا طائل من خلفه وتغضب وتثور هذا أفضل مع الوقت

أدركت أن "ريم" قد نضجت بالفعل حتى أنها أصبحت لا تتشاجر معي أنا الأخرى ولكن أنا التي أصبحت أستوعِبها آرائها جَيّدًا وأتعامل بهدوء وأنا اتناقش واتعاطى معها كان اجواء بيتنا مستقرة وعلاقتنا أفضل كل يقوم بما يريد دون أن يغضب الآخَر أوقات جلوسنا قلت ولكنها كانت هادئة وأوقاتنا معنا كانت هادئة أبي يتقدم في عمله لقد تناهي لسمعي أنه قد اشترى مبنى جديد في الشارع الخلفي يطل على الطريق الرئيسي العمومي كما انتهي من دفع كل اقساط الأرض التي اشتراها مع شريكه عمو "إبراهيم" السعدى صديق عمره وشريكه في مجال عمله الجديد التجارة بالعقارات والأراضي هذا بخلاف المعرض المدهش والعجيب على حد وصف "ريم" أن نجاح أبي في عمله وتنأمي ثروته تبهج أمي ويفرحها بشدة ولم تكن تفتعل ذلك ولكن كان جليا عليها بالفعل فرحتها كلما أخبرناها أن أبي اشترى عقار جديد أو أراضي أخرى عندما أوصلني عم ربيع إلى البيت بسيارة أبي الحديثة لمحتها وهي تجلس في الحديقة مع جدتي وخالاتي والا كيف عرفت لم أخبرها هي من سألتني عم ربيع وهو يتوقف بالسيارة واحمل الحقائب وانزلها ساعدني في حمل الحقائب إلى الاستراحة الأمامية للحديقة ووضع الحقائب عليها ولمح هو الآخَر أمي فألقى التحية عن بَعدَ بنظرات فيها اسف وتوقير وأخبرني أن ابلغ أمي سلامه وسألني عنها كيف هي ولكني كنت

أنسى ما أن اراي أمي واغرق في احضانها ولكن اليوم أخبرتها فابتسمت بِودٍّ ولم تعلق فقط قالت عم ربيع عشرة عمر رجل بن اصول ومحترم بلغيه سلامي أيْضًا وكيف ابنه وكعادتي نسيت ولكن استوقفني سؤالها عن ابنه الّذي ازعجني كيف تسأل عن هذا الولد الحقير كان يلمح لي بأنّه معجب بي وهل سأتزوج بن السائق! نهرته وكلما أراه أتجاهل القاء التحية عليه فاختفي وما عاد يظهر منذ التحق بالجيش لأداء الخدمة العسكرية بَعدَ تخرجه من كلية التجارة لم احتقر ولكن ضايقني تطاوله هل أنا سأغرم به كيف هذا ليس لان أبيه يعمل لدى أبي وانهم بسطاء ولكن هو لا يُعجِبُنِي من أيّ جهة ولا أراه مناسبا لي من كافة الاشكال والنواحي والزوايا بدون كلام وصله ردى واختفي أن أخبرت أمي فستتعاطف معه وتلومني أعرفها وأعرف كيف وتفكر وتتصرف كنت اود أخبارها بأمر آخَر عن حبى ولكني ترددت أيْضًا في مرة أخرى قد أخبرها أنا حتى الآن لا أعرف إلى اين يتجه هذا الحب ويثمر أنا أحبه بشدة وقد صارحني بحبه ولكني مترددة ولا أعرف تحديدا لما ولكني مازالت افكر في الأمر نتكلم كل يوم افرح كل يوم احلق فوق السحاب مرات أنني أوشكت على معرفة لغة العصافير وتحليل قطرات ال"ندى" قلبي يرقص مرات في النهار والليل يتحول إلى جنة لنا كل شيء حولي مغمور في الجمال والتوهج الجو دافئ برغم برد الشتاء اكتفت

أمي بجذب الغطاء على وهي لا تدرى أنّي منعمة بالدفء قلبي دافئ ومشاعري راغدة ترقد فوق أحلامي وأنّي اكون هنا ولست هنا روحي تحلق معه كانت ترمقني مبتسمة ولا تتكلم أعرف أنها تعرف أنّي واقعة في الغرام ولكنها لم تسألني كان يروق لها حالاتي وكنت اقدر هذا فيها كان يهمها أن ترانا سعداء مبتهجين لا تسأل عن السبب لا تفتش جل اهتمامها أن ترانا هكذا فرحين ننعم بالأمان حتى أنها كانت ترضى على أبي وتمتدحه هنا كانت تداعبها "ريم" مازحة أنها قد حنت إلى أبي فتستاء أمي بشدة وتتوقف عن الكلام وتغيب الابتسامة من على وجهها فتقسم "ريم" أنها تمزح، تمزح فقط فتأخذ أمي في وصف بعضا من صفاته التي نفرتها منه فننظر لـ"ريم" بلوم وعتاب لما تنكش في تلك السيرة لما تقل في المزاح مع ماما كنت أنا و"كريم" لا نُريدُ أن نذكرها بشيء يضايقها أنها رقيقة واسم أبي في سياق غير أنه ابينا يفتح باب ذاكرتها وينفث غضبها ويأجج غضبها وثورتها وتتكلم بغصة ومرارة تتضح في نظرات عينها وملامح وجهها كان هذا يجعل "ريم" تندم وتتراجع عما قالت وهي تعتذر فكانت "ريم" تقُلْ لَها أنت التي تمتدحينه فظننته أن الحب صحى هنا تَهِبُّ أمي واقفة وتتركنا وتدخل إلى المطبخ نسمعها تفتح الماء وتغلقه وصوت اشعال يزأر وصوت ملعقة تقلب أنها تعد القهوة بينما نحن نظل ننهر ونزجر "ريم" إلى أن تأتي أمي وقد

غيرنا دفة الحديث الوقت معها مفعم بالدفء والحنان والراحة كانت "ريم" تفرط في النوم هناك قد تكون بذلك تهرب من الحديث مع أمي أو أنها كما تقول أن ثمة ما يغرى ويبعث على الشعور بالطمأنينة والراحة والسكون في بيت أمي لذا تلاحقها الرغبة في النوم باستمرار كان بيت أمي اجوائه تبعث على الشعور بالطمأنينة والارتياح بالفعل قضينا أُسبوعان لدى أمي بينما "كريم" قد قضى لديها أكثَر من شهرين هو يقتنص الفرص ليمكث هناك لوقت طويل ومتواصل كان يتفانى في العمل مع أبي ومساعدته كانت أمي تنبه لذلك وكان هو أكثَر من فينا طاعة واقتناعا لكُلّ ما تقول فكانت يجد أن يقضى الإجازة لديها ليعوض ما يكون فيه منشغل مع أبي كنا نذهب إليها دونه لانشغاله في العمل هي تتفهم هذا جَيِّدًا "كريم" قد أخبرنا أن أمي هي من قالت له أن يلازم أبي في العمل بَعدَ العودة من الكُلّية والا يتركه يجب أن يتعلم منه العمل وكيفية ادراته "كريم" كانت يشكو باستمرار من عصبية أبي المفرطة عليه في المعرض وكثيرًا ما يعنفه أمَام العملاء وحتى الاقارب فكانت أمي تهدئه وتقوُلُ أنها ضغوط العمل وصعوباته وتنصحه أن يكون صبورا والا يتهور في أيّ تصرف كان هنا يضيق ذرعا بكلام أمي ولكنه لا يرد عليها وكان منفعل ومستاء بشدة كان يشكو لنا كيف يعامل بن طنط "سحر" أفضل منه خاصة أمَام "كريم" كنت أنا و"ريم" نقول له لأنه

ضيف ويجب أن يقابله بلباقة فهو ذاهب لامحالة وكيف يتعصب عليه أو ينفعل عليه فهو ليس ابنه فيقول "كريم" ليتبنى ماكنت ابنه ليتبنى كنت بن طنط "سحر" فكنا نندهش ونشفق عليه اول مرة قالها ضحكنا ولكن فيما بَعدَ عندما عاد من المعرض وقد عنفه أبي لدرجة أن قميص "كريم" أحد ازرره العلوى كان قد مزق واقتلع من مكانه فعلمنا أن أبي ضرب "كريم" استاءت "ريم" بشدة ولكنها لم تتحدث مع أبي في ذلك وأنا لم أحاول رغبة تأثري البالغ لأجل "كريم" اكتفيت بأن اعتذرت عن تناول الطعام معهم ليومان وأبي بدور لم يهتم بينما طنط "سحر" كانت تجئ عند الغداء ثم العشاء لتنادي على لأتناول الطعام معهم كنت أخبرها أنّي قد تناولت الطعام مع "كريم" فكانت تتأملني باسى وقلة حيلة وتذهب بخطى بطيئة كان لا يرضيها أن يهتز استقرار وهدوء البيت كانت متأثّرة حقا فهي حريصة وهذا يحسب لها كانت حريصة على أن يكون اجواء البيت هادئة لا شجار ولا صخب ولا عصبية ولكن أبي أحيانًا يفسد الأمر ويعنفنا وكان يضرب "كريم" بكيت بيني وبين نفسي عندما دخل "كريم" واسنانه تنزف دما على فمه صعقت يومها وهرولت عليه ولكنه دفع يدي برفق ودخل مباشرة إلى الحمام وسمعت صوت مياه يندفع من فوهة الحنفية وظل صوت الماء لفترة علمت أن "كريم" في الحمام يبكى!

كيف انتقل سلوك ماما هذا إلى والى "كريم" هي الأخرى كانت تختبئ في الحمام وتبكي!

عندما عادت "ريم" أخبرتها بما جرى فسألتني عنه فلما لم يجد موجود هرعت إلى الشقة الكبرى

في المساء اجتمعنا حول السفرة لتناول الغداء كان "كريم" يجلس بيننا صامتا يتناول طعامه في صمت وكانت عيوننا تتجنب أن ترفع والنظر في وجه الأخرى كان أبي منفعلا ويزفر وهو يأكل هنا التفت إليه "سحر" باستنكار كانت تعترض على بعض السلوكيات العابرة التي تصدر منه لم تفوتها بدافع الذوق وعدم وضعه في حرج فتراجع ولم يكرر الزفر من جديد واكملنا تناول الطعام ولما فرغنا قمنا جميعًا وخرجنا لم يقوم "كريم" قبلنا بل خرجت "ريم" أولًا ثم لحقتها وأنا أنظر بطرف عيني ولم ارفع رأسي على "كريم" فقام وقمت أنت على أن ابدو أنّي سبقته فقد كان يضايق أبي أن نتخذ موقف واحد أو أن نتعاطف مع أيٍّ منا كان هذا يغيظه ويضايقه فكنا نتعمد أن نظهر هذا ولما دخلت الصالة وجدت "كريم" جالسا في الصالة و"ريم" تمسك في ذراعه وهو يمتنع عن الكلام دخلت خلسة وأغلقت الباب خلفي بإحكام دونما أن يصدر صوت حتى أن جاء أبي نعرف وننتبه انضممت إليهم ولم أتكلم نهض "كريم" ولم يتكلم نظرت لي "ريم" بنفاد صبر منه وتجنبت أن تنظر عليه ناديت عليه بإلحاح وتأثّر

"مريم": "كريم"؟

أرجوك يا "كريم" أيمكنك أن تجلس معنا نتحدث قليلا؟

استدار واعتذر وأخبرني أنه لا يود الكلام الآن ودخل إلى غرفته وهو يجر قدميه كان يحمل غضَبًا مكتوما بداخله تركت "ريم" ودخلت غرفتي اصبت بالدوار لا أطيق أن أرَى "كريم" مهانا من أبي!

سمعت "ريم" تتحدث في التليفون من خارج الغرفة وهي تجلس بالصالة بَعدَ قليل سمعتها تضحك مرات وهي مستغرقة بالحديث هكذا هي لها عالم منفصل عن المحيط بها!

فكرت هل على أن التمسك من أبي أن يحسن معاملته مع "كريم" ام اصمت لكيلا انال عقابا من نوع آخَر لم يكن أبي يستعمل أو يلجا للعنف البدني معي ولكنه يعاقبني بحرماني من المال ويؤجل تلبية إعطائي اياه كانت تلك وسيليته في العقاب!

ولكني سأحدثه ف"كريم" لم يعد صغيرا كما أنه يتعمد اهانته أمَام الآخرين لما هذا؟! سأتحدث إليه

"ريم": ماذا تفعلين

"مريم": أفكر

ريم فيمَ؟!

"مريم" معاملة أبي لـ "كريم"

فهزت "ريم" رأسها بترقب ولم تعقب وجلست إلى مكتبها تعبث في محتويات درجها

"مريم" تأملتها ولم تكمل حديثها والتفت الجهة الأخرى لم تعد تحتمل انفصال "ريم" عما يحدث حولها ترددت "مريم" أن تطلب من اختها أن تحدث أبيهما في أمر معاملته لـ "كريم" ولكنها تراجعت بيأس وسخط على "ريم"

توقعت أن "كريم" يتحدث مع ماما الآن في التليفون وهي الوحيدة التي تستطيع تهدئته

في المساء خرجت "مريم" إلى الحديقة فلمحت "سحر" تركب السيارة مع أبيها وهما يتضاحكان وترتدى ملابس زاهية وتضع لمسات ميكاب وهي مبتهجة سألت إلى اين سيذهبان؟! وظلت تنظر عليهم حتى غابت السيارة عن أنظَارها عبر الفتحات المستديرة لسور الحديقة المطلة على الشارع ولم تجلس ظلت شاردة تفكر وتهُزّ رأسها بضيق كمن يطارد فكرة وخرجت "ريم" على صوت السيارة هي الأخرى تبتسم وهي تنظر لأختها بدهشة وتهُزّ رأسها بحنق وتأمل تجنبت "مريم" التحدث إليها فعيون "ريم" تنطق بما تقصد فجلست في اول كرسي بحيث يكون ظهرها لمكان وقوف "ريم" والتي نظرت لأعلى في مكانها واغمضت عينها بضيق وهي تزفر وتمتم غاضبة خرج "كريم" من خلفها متجنبا الحديث معها ربت على كفتها بطرف سبابته

لتفسح وجلس مباشرة قُبَالَةَ "مريم" واضعا قدميه على الكرسي المقابل له انظمت إليهم "ريم" لتجلس بجوار "مريم"

شرعت "ريم" في الحديث موجهة حديثها إلى "كريم" والّذي تجاهل حديثها وظل صامتا

"ريم": ماذا حدث يا "كريم"؟! ولما تتجنب الحديث معي؟

بِنَبْرةٍ هادئة رد عليها "كريم" قائلا لها لأنك أنَانية. تفاجأت "ريم" برده وظلت تنظر له بلوم، بينما أُنصت ولم يبدو عليّ شيء

"ريم": لمَ يضربك أبوك باستمرار؟

"كريم" أنت مستفزة وأنَانية ولا أحب الحديث معك اصمتي أفضل لك ولى

"ريم": طع ابوك ليحسن معاملته معك

"كريم": اصمتي قلت لك

"ريم": ماذا نصحتك أمك

"كريم": الا أتحدّث معك

دهشت "ريم" من رد واهتزت وقالت مرددة ما قَال

"ريم": الا تتحدث معي؟!

التفتت "مريم" إلى "ريم" وقد راق إليها ما قاله "كريم" وظلت تنظر لها بترقب أقرب إلى استفزازها وتستطلع رد فعلها ايذاء ما سمعت

ريم وهي تهُزّ رأسها تشير بتهكم تجاه بوابة حديقة الفيلا قائلة

"ريم": بابا أخذ "سحر" لتزور امها وهو بصحبتها ترك عمله وذهب معها وهو في حال أفضل بعدما كان ثائرا وساخطا أنها دايما تنجح فيما فشلت فيه أمك

ولكن أرَى أنها قامت بتهدئتك

يتماسك "كريم" أمَام كل ما سمع ويتأملها بسخرية واستحقار جعلها تواصل حديثها بِنَبْرةٍ صوت لاذعة تتدلل في حديثها وهي تلمز بينما "مريم" لم تَرُد يبدو سمعت ما تلمح وتشير إليه "ريم" مرات فابتسمت ساخرة ولم تعقب "كريم": إنك تشبهينها

"ريم": كما تشبه أنت أمك

"كريم": لو أنها أوصتني بالصبر عليك لعلمتك الادب

"ريم": وبابا سيكسر لك فك وتذهب لتبكي لامك اليس هذا ما سيحدث أن فعلتها؟!

"كريم": حقيرة

"مريم": اصمتي يا "ريم"

"ريم": لا دخل لك بحديثنا معًا أو انضمي له واركضي على أُمَّك

"مريم": ومافيها؟!

"كريم": كما تركض هي على زوجة أبيها

"ريم": "سحر"

"كريم": أنتِ حقيرة يا "ريم" وإياك أن تتحدثي معي ثانيةً وإلا علمتك التحدث بأدب عن أُمَّك والتحدث بأدب معي

فهمتي؟!

"ريم": لا أُريدُ أن... فقاطعها مُطلقًا صخبا في المكان دفع الكرسي بقدميه والتفت إليها فانكمشت على نفسها متظاهرة بالثبات و"مريم" ثابتة في مكانها لم تدافع عنها أو تغضب على "كريم" لأجلها وقد انتبهت "ريم" لهذا بطرف عينها وهي تنظر لـ "مريم" بضيق مكتوم.

في ساعات الليل المتأخرة تناهى لأسماعنا صوت ضحكات أبي وزوجته لا أدري لما شعرت بالضيق البالغ وكأني أسمع صوت ضحكاتهم لأول مرة لقد صدقت أختي للأسف أن "سحر" تنجح دايما في التودد إليه وعودة المسار الصحيح للبيت بَعدَ كل صخب وازمة أنها تقوم بتوفير الهدوء والسلام لأجواء المنزل على حد وصف "ريم" وكما هو يحدث بالفعل!

يغضب "كريم" من تلميح "ريم" المستمر بعقد مقارنة بين أمي وزوجة أبي وأنا أيْضًا استاء ولكن الواقع محايد لا يعرف حكم العواطف بالفعل "سحر" تنجح فيما لم توفق فيه أمي! الأمر ليس لتقصير من أمي ربما أبي يتقبل منها ما لا يتقبله من أمي ولكن هو يحب أمي! هنا استدركت "مريم" لشيء ونظرت مشدوهة أمَامها وهي تسترجع بعض الأمور ولم تكن بحال جيدة هي تود الا تتذكر ما يدعم وجهة نظر "ريم" خاصة عندما تكرر قائلة إن الحب ليس بهام في العلاقات الاهم منه الذكاء بل أن الحب في

حد ذاته لا يعول عليه وهناك ما هو الاهم منه في علاقة أيّ اثنين لا أحتمل أن تكون "ريم" محقة في ذلك فبعاطفتي أرَى أمي الأفضل وأن المخطئ أبي لم يعطها فرصة وأنّه كان عنيف معها ويتعصب لأبسط الأمور أو أنها قد افرطت في عاطفتها على حساب تحكيم العقل في اغلب جوانب حياتها مع أبي؟! أن هذا الحديث يصيبني بالدوار ولكن بلا حياد "ريم" يجانبها الصواب فيما تقول لا يرضيني هذا ولا يريحني لان الحقيقة هكذا يقولون إنها عصية على القبول لأنها صعبة وقاسية وثقيلة في التقبل وهل سأحاسب أمي؟! يكفي أنها شقت بسبب فهمها للعلاقة بين الرجل والمرأة بالطبع شقت لقد تعبت وعانت كثيرًا مع أبي كان قاسيا وعنيفا معها يتلذذ برؤيتها تبكي وتتأثّر من اهانتها المتكررة لما لم يكن هو المخطئ. اوه من هذا الصداع لا أُريدُ أن أفكر في هذا الأمر لا أُريدُ لا أُريدُ

بعد ليلة شاقة قضتها "مريم" في التفكير في أسبَاب انهيار علاقة أبيها وامها وكيف أن امها مخطئة بينما فاز أبيها بزوجة أخرى تفهمه وتعمل على اسعاده تقلبت في نومها وقامت مع ساعات الصباح الأولى مرهقة كأنها مريضة ارتدت ملابسها وتوجّهت إلى مدرستها واجمة تنظر في الفراغ متجنبة الحديث مع زميلاتها في الباص متململة وفَجْأةً طرأ على ذهنها خاطر فأخذت تتلفت وتطل بنظر وهي تشب برقبتها في مكانها على

الطريق وقد دب الحماس والحيوية في اوصالها فالتمعت عينها ابتسمت وهي تطل في الطريق بعيون باحثة بينما الباص يندفع إلى الامام في طريقه وهي تتبسم وهي تتلفت وتطل على الطريق بعينها تفتش في الوجوه بأمل

أغلق "فؤاد" بوابة الحديقة خلفه في هدوء متجها إلى سيارته المتوقفة أمَام اسوار الفيلا استقلها وانطلق بها. يلف فناء الحديقة الهدوء وسط نهار شمسه ساطعة تملأه أصوات العصافير المغردة وتمرح خلال المكان نسيم الصباح وتتمايل أفرع الشجر

لم تجد "سحر" شيء تفعله وهي تنهض من على السرير تستشعر كسل وضيق وهي تتقلب في مكانها تفكر في شيء تقوم من اجله فتظل مكانها في سريرها لا تفعل شيئًا تمسح جبهتها بكفيها وهي تفتح ازاز بجامتها وتنهض بتثاقل متجهة مباشرة إلى دولاب ملابسها وتفتح درج بقاعدة الطرف الاخير من الضلفة وتخرج من بين ملابسها مجلد من الورق مزخرف بأوراق ملونة بخلفية عسلية اللون اقرب إلى كرنفال تبدل أوراق الشجر في فصل الخريف تخرجه واضعة اياه على طرابيزة في الجوار بجانب نافذة مطلة على الحديقة وتهرول إلى الحمام بَعدَ تردد وسط حماس للجلوس بجوار الطرابيزة تحت النافذة أثناء في جو من الهدوء يلف المكان تخرج "سحر" من الحمام وهي

تجفف وجهها بالضغط خفيفا على بشرة وجهها وتتجه إلى الدولاب تخرج فستان مشجر وتبدله البجامة وتمسك الفرشاة وتمشط شعرها مترددة اتجمع شعرها للأعلى ام تتركه منسدل على اكتافها هو يصل حتى بداية كتفيها بقليل فتتركه وهي تحرك رأسها فينتشر الشعر وينسدل على كتفيها وتلتفت بانتباه مأخوذة بخاطر مثقل وتتجه مباشرة إلى الدفتر وتخرج قلما من منتصفه مثبت من الداخل تمسك القلم وتضع الدفتر على ركبتها مستندة للخلف وتبتلع ريقها ويحتقن وجهها بالضيق تكتم ضيق وتزفر وهي تشرع في الكتابة تتمايل وهي تكتب تسابق خواطرها وأفكارها الحروف تكتب بسرعة وهي مرتبكة تلاحق الأفكار الحروف تتساقط الأفكار والخواطر حروفا في تسابق رأسها مثقل تمتلئ بالخواطر تكتب وتصل لآخر الصفحة دونما تدرى تجد نفسها يجب أن تنقل القلم لتكتب في الصفحة المقابلة والثانية والثالثة تكتب مستغرقة في الكتابة يهز النسيم شعر رأسها المنكفئ على الدفتر مستغرقة في الكتابة ترفع بصرها عن الدفتر وهي تحك رأسها بأطراف أصابعها وتستأنف الكتابة من جديد تضع الدفتر أمَامها على الطرابيزة وتستند للخلف وهي تزفر بارتياح وتداعب بيديها شعر رأسها تحاول تذكر ما تضيق ولكنها تَهِبُّ واقفة متجهة إلى المطبخ تعود وهي تحمل صينية صغيرة عليها افطار وكوب من الشاي تجلس مكانها تتناول افطارها

بشهية وهي أكثَر ارتياحا ورضى ترفع الصينية إلى المطبخ ثانية وتبقى الشاي تجلس وهي تهُزّ رجلها بترقب ومن ثمة ترفع الدفتر ثانية وهي تحاول تدوين فيه الجديد وتقوم برفع الشاي بيدها الأخرى وترشف منه وهي تستجمع أفكارها.

"ريم" تقف أمَام المرأة تضع لمسة ميك اب على وجهها وتهم بارتداء ملابسها تحمل حقيبة يدها الصغيرة وتخرج من الغرفة وفي المرأة الملاصقة لباب الشقة تقف تتمم على هندامها فتتأمله بإعجابٍ وتخرج مباشرة وتغلق الباب وتمر عبر باب الشقة الكبرى وتتردد في أن تطرق الباب وتتوقف أمَامه لبرهة ثم تخرج إلى الحديقة مباشرة لتخرج

في منصف وقت الظهيرة تظهر "مريم" عائدة من المدرسة مسرعة وهي فرحة مستريحة على عكس ما كانت في الصباح تهرول وهي تدخل من البوابة المفتوحة قليلا تدخل مباشرة إلى الداخل تلمح علب الفواكه وشنط الخضار المتنوعة على رخامة في جانب الحديقة في مواجهة الباب إلى اليسار قليلا تتجاهل وجودهم وانها رأتها في نظرة اعتيادية وعند اقترابها من باب البيت يتناهى إلى سمعها صوت أحد العمال وهو ينادي على آخَر ويدخل إلى الحديقة فتومئ برأسها في اطمئنَان وتدخل مباشرة إلى الداخل وتغلق الباب بينما هي تمر داخلة إلى الشقة ينفتح باب الشقة الكبرى وتسمع صوت "سحر" وهي تقول

لحظة لحظة.. وتفتح الباب وتخرج إلى الحديقة بينما "مريم" تغلق الباب عليها بإحكام تهرول إلى داخل الشقة تلقى بحقيبتها جانِبًا وتهرول إلى غرفتها مسرعة تفتح التليفون وتمرر رقما تنتظر الرد وتقفز مكانها وهي تقول

"مريم": أ الو؟!

وهي تبتلع ريقها غير مصدقة لما تسمع وتنصت وعيونها تلمع بالفرحة وترتبك وهي تحاول المجاراة والرد

تتأمل "سحر" علب الفاكهة في المطبخ وشنط الخضار المكدسة على رخامة المطبخ أمَامها بنفاد صبر وتنظر حولها بضيق وتزفر بضيق وتشرع في افراغ العلب من محتوياتها مباشرة في رتابة واعتيادية

"مريم" تتمدد على سريرها تضع تلفونها على صدرها ويديها فوقه وهي تنظر إلى سقف الغرفة مبتسمة غارقة في خيال محلقة بعيدًا تبتسم من الاعماق تغمرها فرحة كبيرة كأنها تطير محلقة في السماء غير منتبهة بينما تدخل "ريم" التي تتفاجأ بوضعيتها تلك فتبتسم وهي تهُزّ رأسها في مكانها ولا تتكلم وتنتبه "مريم" لدخول "ريم" فتبتسم وتظل كما هي في وضعيتها قائلة

"مريم": هل جئت؟! وهي تتلعثم مازحة وهي ترمق هندامها بإعجابٍ مبتسمة بينما "ريم" تبتسم ولا تَرُد وتهم بتبديل ملابسها

"ريم": لدينا ضيوف اليوم؟!

"مريم" وهي في وضعيتها تظن أنها تسأل بينما هي تخبرها فتقول "مريم" لا أعلم

فتلتفت إليها "ريم" مبتسمة وتقوُلُ أقوُل لك أن اليوم سيأتي الينا ضيوف

فتنهض "مريم" ببطء من مكانها تستطلع الأمر غير أباهة وهي تقول وما الجديد فغالبًا يأتي إلى أبيك الضيوف فتبتسم "ريم" بجدية وتخبرها أن ثمة ضيوف من نوع وهدف آخَر سيجيئون اليوم فتنتبه لابتسامتها "مريم" وتقترب من "ريم" التي خلعت كل ملابس خروجها وتهم بارتداء ملابس مريحة للبيت وتتأمل عينها في عتاب وهي تخمن بدون أن تنطق فتبتسم "ريم" وهي تهُزّ رأسها تأمن على تخمينها فيمتقع وجه "مريم" وتقوُلُ لائمة عريس؟! ف تَرُد وهي ترتدى ملابسها نعم

"مريم" وهي تجذبها من كتفها وكنت تعرفين، لمَ لا تخبريني؟

"ريم": أخبرتك

"مريم": الآن؟!

هل تلك الطريقة التي تخبرينني بأمر هكذا على هذا النحو؟

"ريم": لم يحدث شيء بَعدَ جاء وأخيه الأكبر ليراني واراه

"مريم": من؟ ولكن قبل أن أعرف من هو هل أخبرت ماما

"ريم": لا وأخذت تزفر بضيق

"مريم": بعتاب لما تفعلين هذا يا "ريم" لما تتعمدين الا تخبري أحدًا.

"ريم": أرجوك يا "مريم" لا أُريدُ الدخول في جدًال وحديث لا يجدي ولن يفيد فتعرف ماما كل شيء لن أخفي الأمر ولن اتزوج في السر مثلا وأنت ها أنا أخبرك الآن، ماذا في ذلك؟

تتأملها "مريم" بتأثّر وترتبك وتخفض بصرها وتخرج إلى خارج الغرفة وهي لا تدري ماذا تفعل ولمَ خرجت فتنظر لها "ريم" بترقب ولامبالاة بينما تواصل ارتداء ملابسها وتمشط شعرها في عجالة وهي تتَردد في الغرفة تود الخروج وتنتظر دخول "مريم" ولما يطيل انتظارها تستجمع شجاعتها وتنفع إلى خارج الغرفة متجاهلة وجود "مريم" وتخرج متوجّهة إلى باب الشقة الكبيرة وترن الجرس ومن مكانها تظل "مريم" واجهة حائرة تقوم من مكانها وتخرج خلف "ريم" كأنها تتوقع من أمر فتنظر من فتحة الباب فتجد "ريم" واقفة أمَام باب الشقة الكبيرة ترن الجرس وتتجنب "ريم" الالتفات ناحية "مريم" بينما "مريم" كالمصعوقة تنظر على اختها وهي تبتلع ريقها بصعوبة ثم تدخل مسرعة إلى الداخل وتلقى بجسدها على السرير وتجهش في البكاء وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة في غضب وحنق وتأثّر تنتهي "مريم" من تفريغ نوبة ذهولها وغضبها بالبكاء تقوم من مكانها تخرج من الغرفة متجهة إلى الحمام مباشرة تفتح المياه بقوة بينما

الباب يؤصد خلفها وتظل بالداخل بينما صدى صوت اندفاع الماء يطول!

بعد لحظات تخرج "مريم" بوجه مبتلع وعيون محتقنة بالدم من إثر البكاء تهرول خارجة أطراف شعرها مبتلة تقطر ماء وتعبر الصالة تجد "كريم" داخلا من باب الشقة ينظر لها بدهشة لا يفهم ما يجري يستوقفها مناديا "مريم "؟"مريم" ما بك يتراجع عندما يجد أن "مريم" أغلقت باب الغرفة خلفها بإحكام

"مريم" مباشرة تتجه إلى التليفون ترفعه تمرر رقما وهي ترتعش وبصوت يخالطه البكاء

"مريم": الو ماما "ريم" هتتخطب النهاردة. ويعلو صدرها ويهبط والدموع تنساب على خديها وتقشعر جبهتها في اسى وهي تنتصت عبر التليفون لامها هما تظل بالساعات تتحدث في التليفون مع خطيبها بينما "مريم" تتظاهر أنها لا تنتبه وتنشغل في مذاكراتها متجاهلة ما يحدث وتخرج مرات في الأُسبوع في خطيبها لم تنتبه ولا تريد أن تتوقف أمَام ماجد على اختها ولكنها تفرح من رؤيتها سعيدة وتحتضنها في فرح وزهو أنها سعيدة وفرحة بخطيبها و"ريم" توقن من هذا وتخبرها أنها صغيرة ولا تعي بعض الأمور لأنها صغيرة حتى أنها أخبرتها لما لم تخبر امها قبل مجيء العريس عللت ذلك إلى أن أبيها لن يختار لها عريس لا يناسبها كما أنها لم تَرُد أن تكون محط صراع اراء

الاب والام حول مصير ابنتهم هي لا تحب ذلك وهي تثق في اختيار أبيها لم تراجعها "مريم" في ذلك وأُنصتت لها هي و"كريم" الّذي كان يرى كل ما تفعله "ريم" خطأ كان قليل الثقة في اختياراتها أو تفكيرها وكان هذا يفجر الشجارات ويجددها فيما بينهم وبعدما قد اوصته ماما بأن يحترم "ريم" واختيارها ولا يدخل في جدًال معها فهي قد كبرت لم يقتنع "كريم" بما اوصته به ماما ولكنه طبق ونفذ ولكن أنا التمس لـ"ريم" العذر أقنعني وجهة نظرها بالفعل كانت ماما ليكون لها رايا آخَر في العريس هو ثرى ويهدى "ريم" الكثير من الهدايا واهله أيْضًا عندما يجيئون الينا في المناسبات يقدمون الهدايا الرمزية وتكون ثمينة بالفعل واراها سعيدة ومرحة وراضية يجب أن تفرح لكُلّ هذا أمي ولما تحاول أن تبدي رأيًا يختلف عن راي أبي في ذلك الموضوع حتى لا تجد "ريم" نفسها في حيرة إلى أيّ راي تنحاز وتعمل فكان الأفضل أن يكون هناك رايا واحد بخصوص هذا وكما نرى هي سعيدة وخطيبها سعيدة بها أنهما يتحدثان مطولا احاديثهم لا تكاد تنتهي يخرجان سويا مرة كل أُسبوع وتعد طنط "سحر" اطيب الطعام كلما جاء ويخرجان للتنزه وتناول الغداء وأحيانًا العشاء في المطاعم أبي لن يختار لنا شيء يعكر سعادتنا هو أيْضًا يعمل لأجلنا ولأجل راحتنا بالأمس كان فرحا ومزهوا بنفسه لقد كسب عشرات الألاف في قطعة ارضة كبيرة باعها وقد اشترى

بيت قديم على مساحة ارض كبيرة في مكان مميز سيقوم بهدمه وبناء عدد من الابراج السكينة مكانه ويتاجر فيها وثمن الشقة كما أخبرتني "ريم" اذ كان يتحدث أمَامها تبلغ مئات الالوف من الجنيهات أنا مزهوة بنجاحات أبي وبأن حياتنا مستقرة وهادئة كل شيء فيها يسير في نظام وأيْضًا أمي تعيش بين أهلها سعيدة ومبسوطة أنها تصغر في العمر مع الوقت نحن نكبر وهي تصغر تبدو كأخت كبرى لنا جميلة ونضرة ومشرقة ومضية دايما هي اختارت أن تكمل حياتها بين أهلها ونحن مع أبي ومعها بينهما حياتنا مثالية ومستقرة

لا أقوُل هذا لأسكت ضمير يوخزنني، وللكن لمَ يوخزنني؟ لم نقصر في حقها ولم نلغِ حضورها فهي تعلم عنا كل شيء ، نحن نخبرها به "كريم" وحده الّذي يخبرها بالأمر مجرد التفكير فيه هو الاقرب إليها منذ الصغر هو يحب هذا ويناسب طبيعته هذا

تتمدد "سحر" في فراشها وبيديها دفترها المزركش مستغرقة في الكتابة تغطى خصلات شعرها الكثيف وجهها وهي مستغرقة بالكتابة تتنهد وهي تكتب تبتسم تارة وتارة يمتقع وجهها تميل يسارا وهي تكتب تتوقف برهة ومن ثمة تنهمر الاحرف على الورق تقلب صفحة وأخرى تتنهد وتستند للخلف وهي تزفر بارتياح وتغرق في الشرود بعيدا تضع القلب في منتصف الدفتر وتقوم بغلقه وتقوم بهدوء واعتيادية متجهة إلى الدولاب تفتح

الضلفة ثم الدرج وتضع الدفتر اسفل رفع دهبي من المطاط ومن فوقه بعض الملابس من فوقه وتغلق الدرج ثم الضلفة تتجه إلى الجانب وتسير باتجاه المطبخ تفتح الثلاجة وتعود بكوب عصير

وبينما تجلس "مريم" و"كريم" مستغرقان في مشاهدة التيليفزيون على فيلم فنتازيا وأصوات الموسيقى تعلو وتهدا وإيقاع الاحداث سريع والصور خاطفة وهما يحبان انفاسهما فَجْأةً يتناهى صوت صراخ "ريم" تصرخ في التليفون يلتفت "كريم" إلى "مريم" بدهشة وفي حوار خاطف وسلوك متبع مع "ريم" يتجاهلا ما يسمعا ويواصلا مشاهدة أحداث الفيلم "كريم" يتلفت إلى "مريم" وهو يشير بسبابته بدائرية في اشارة إلى تكرار ما يحدث من "ريم" فتبتسم "ريم" بجدية وتشير بكفها ناحية الغرفة ناحية "ريم" في اشارة إلى لا يعنياني في شيء يأسا منها، وتظهر "ريم" بَعدَ لحظات على باب الغرفة تنظر لأخويها فتجدهما مستغرقان في مشاهدة الفيلم ولا أحد يلتفت ناحيتها وتقف لبرهة مترددة خجلة وبهدوء تتجه ناحية باب الشقة تفتحه وتخرج فيلتفتا عليها في لوم ويتجنبان النظر لبعضهما ويواصلا المشاهدة وهو يمتعضان بلا تعقيب

وتعود "ريم" في لحظتها وتغلق باب الشقة خلفها وتتجه إلى غرفتها

"كريم": لم تلحق؟!

"مريم": طنط "سحر" ليست هنا؟

"كريم": لذا عادت في لحظتها

"مريم": كانت تنتظرها أمَام الباب إلى أن تعود

فيضحك "كريم" مقهقها وتضحك "مريم" وهي تكتم صوت ضحكاتها وهي تنظر على الغرفة حيث "ريم" بالداخل

لم يكد يمر وقت حتى سمعا صوت البوابة الخارجية يفتح وصوت توقف سيارة "فؤاد" فيقوم "كريم" من مكانه ويخرج وتظهر "ريم" مرتكبة وتتجنب "مريم" الالتفات ناحيتها وهي تنظر أمَامها ممتقعة الملامح و"ريم" تنظر عليها بحيرة وارتباك

عاد "كريم" بينما صوت الشقة الكبرى فتح وعلى الفور أغلق "كريم" دخل وأغلق باب الشقة وهو يقول وهو يجلس لقد عاد وينظر ناحية غرفة "ريم" وهو يقول بابا وطنط "سحر" عادا من الخارج فتجذب "مريم" ذراعه وهي تكتم ضحكها في نهي وزجر ممزوج بالمرح بينما هو يتكلم بِنَبْرةٍ ساخرة في جدية وهو ينظر ناحية غرفة نوم "مريم" و"ريم"!

ويظهر فاصل اعلان ينتهزه "كريم" فرصة فيلتفت لاستجدًاء ومرح لـ"مريم" قائلا "كريم":

- لقد جعت حضري لنا سندوتشات وأعدّي كوبين من النسكافيه.

فتوافقه "مريم" الرأي فتهب على الفور في حيوية وبحماس متجهة إلى المطبخ وفَجْأةً يتناهى إلى أسماعهم صوت صراخ من خارج الشقة وصوت أبيهم غاضب وصوت "سحر" يتخلله صراخ غاضب فتخرج "ريم" مسرعة بينما "كريم" يظل جالسا وهو يلتفت خلفه يستطلع الأمر في دهشة وترقب وينادي بصوت خفيض وهو ينظر باتجاه المطبخ على "مريم"

"كريم": "مريم" "مريم" فلم تَرُد ويتجاهل وجود "ريم" تمامًا التي تقترب من باب الشقة وتنصت والصراخ مازال يتردد على أسماعهم فتحاول فتح باب الشقة لتخرج ويتسنى لها السمع فيهبَّ "كريم" من مكانه ويمنعها من فتحه وهو يقبض على يدها بقوة وغضب فتنظر له بضيق وتميل بأذنها لتسمع والباب موصد ويظل واقِفًا قبالتها لمنعها من تكرار محاولة فتح الباب والصراخ يعلو وصوت أبيهم يعلو وتأتي "مريم" مهرولة متوترة من ناحية المطبخ لتخبر إخوتها بينما تجدهم في ذلك الوضع والحال فتنضم لهم وتقترب من كتف "كريم" وتسمع ولكن لم يتسنَ لهم سماع الكلام فقط صوت الصراخ وصدى نبرات صوت أبيهم الغاضبة والعالية.

"مريم": ماذا يحدث

"كريم" يبدو أنهما يتشاجران.

"ريم": ياترى لماذا؟!

"مريم": أصواتهم عالية بشدة

"كريم": غريب؟!

"ريم": يا "كريم" سأسمع وأخبركم أُريدُ أن أعرف ما يجري

"كريم": لا نُريدُ هذا الباب لا يفتح نحن اقتربنا من الثانية عشرة من منتصف الليل كيف نفتح الباب

اخره موعد له وأنت تعلمين العاشرة فقط

"ريم": ولكن

"مريم": في الصباح سنعرف

بتهكم من "ريم" ترمقها بتهكم قائلة من سيخبرك بابا أم طنط "سحر"

"مريم": أن لم يخبرونا لا نُريدُ أن نعرف وبِنَبْرةٍ جادّة

"كريم" ارفع صوت الفيلم سأذهب لإحضار السندوتشات والنسكافية ونتابع مشاهدة الفيلم

تنظر لها "ريم" بغيظ وضيق وتحاول الاقتراب من الباب لتنصت ثانية وتسمع خاصة والشجار مازال مستمر ولكن "كريم" يرفع من صوت التليفزيون فتنظر لهم بحنق وتظل واقفة مكانها حائرة يلح فضولها في معرفة ما يجري خلف الجدًار الذ يفصل بينهما وبابين من الخشب!

ومر أُسبوع على أصوات صريخ وغضب "فؤاد" ولم يدري بهما أحد يتناول الإفطار معًا ولا يبدو على أيّا منهما شيء وسط

فضول كبير من "ريم" لتعرف ما جرى ولم يهتم "كريم" ولا "مريم" في معرفة ما حدث تنتبه "سحر" إلى دفترها المزركش على حافة الطرابيزة مفتوحا فتهرول مهي قادمة من ناحية المطبخ تحمل العصير تضع العصير جانِبًا وترفع الدفتر وتدخله في الدرج وتغلق الضلفة ومن ثم تجلس في مكانها باسترخاء تتناول العصير بتلذذ وهي تهُزّ رجلها الموضوعة على الأخرى بتوعد وضيق وهي ترشف من العصير رشفة أخرى

في عصر اليوم بينما "ريم" عائدة من كليتها تحمل بعض الكتب وتبدو مهمومة تدلف إلى الحديقة تبدو مرهقة متعبة تتجه مباشرة إلى الداخل تتردد أمَام باب الشقة الكبرى وتتوقف وتهم برن الجرس ولكنها تتردد وهي تتأمل الباب المؤد باستجدًاء وتأمل في شيء ولكنها تتراجع وتَمْضِي مباشرة إلى الشقة الأخرى

ترفع التليفون وتجرى مكالمة في اصرار وجدية وتجلس على حافة سريرها تبتسم ولا تجد ردا بينما تنظر فتهب واقفة وتسير في الغرفة وتكرر الاتصال وتنتظر الرد وهي تسير جِيئةً وذهابًا في الغرفة . تهرول "سحر" باتجاه الباب لتفتح فيظهر "فؤاد" وهو يتأملها مبتسمًا ويدخل فتميل على كتفه فيطوقها بذراعه ويدلفا إلى الغرفة وهي تتدلل عليه فيُلقي بنفسه على الأريكة وهو يتنهد تتأمله وهي تقف في مكانها وتسأله أحضر الغداء الان؟

"فؤاد" يتأملها برغبة ويهم بالوقوف بصعوبة فتلقى بنفسها عليه وهي تضحك فينفجر ضاحكا هو الاخر!

في الثامنة جلسنا نتناول العشاء وقد تخلف "كريم" بينما كانت "ريم" ترمق طنط "سحر" بنظرات من الضيق لا أعلم السبب وقد انتبهت هي لتلك النظرات ولم تنظر إليها فقد التفت الجهة وهي تواصل تناول طعامها في تأني وببطء وكان أبي شهيته مفتوحة يأكل بنهم وبشهية لم يسأل أبي عن "كريم" ففي المرات التي يكون فيها لدى ماما يتجنب السؤال أمَام طنط "سحر" بل يظهر أنه لا يهتم تعودنا هذا منه وهذا يروق لنا لأنه يتعمد أن يظهر أمَامها تصرف معين في بعض الأمور ليظهر لها مدى الحزم والجدية في التعامل مع أن أبي ينسى الكثير مما يهمنا ليسأل ويهتم به! وواصلت تناول طعامي وبعدها قدمت لنا طبق من الحلويات الشامية المنوعة لقد صارت تصنع انواع جديدة من الحلويات الشهية التي تجيد صنعها اكلت منها قطعة واحدة وامتدحت جودة صنعتها وسط ابتسامة أبي ولا أدري لما نظري لي "ريم" بضيق ولكني تجاهلتها على كل

بعدها توجّهت إلى غرفتي مباشرة فلقد لاستذكار الدروس واستغرقت في المذاكرة ولم انتبه إلى عودة "كريم" ولا إلى وجود "ريم" في الصالة ولما عمدت إلى أخذ جزء من الراحة وجدت "ريم" تتضاحك مع "أيمن" في التليفون فابتسمت مستغربة

ومضيت إلى المطبخ أعدَّ نسكافيه فوجدت ضوء غرفة "كريم" مضاء فطرقت الباب ودخلت سالته عن ماما فأخبرني أنها بخير والجميع يرسلون السلام لي ولـ"ريم" فقد مَرَّ أُسبوعين لم اذهب لماما فيهم بناءً على رغبتها اذا قالت امكثي في البيت واستذكري دروسك جَيِّدًا مع إن الامتحانات بقي عليها شهران الا أن كلام أمي والحاحها جعلني استشعر وأدخل في حالة أن الامتحان يزحف ويقترب ولا وقت انفقه في شيء سوى المذاكرة حتى الذهاب إليها.

وأثناء المذاكرة وأنا ارشف من النسكافيه طرأت على ذهني فكرة كيف أن "أيمن" و"ريم" يتصالحا بتلك السرعة وتذوب خلافاتهم بالأمس كانت تصرخ واليوم معه تضحك؟! كما كيف تكون تعاملهم يتخلله الانفعال الشديد والغضب المفرط في الخلاف كيف يتصافيان كليا على هذا النحو بَعدَ كل تجاوز منهما في حَقّ الاخر؟! ولكنها يتصافيان ويتنزهان ويعاودون الحديث لساعات حتى الصباح في التليفون يتحدثا كثيرًا ويضحكان كثيرًا وأيْضًا يتشاجران كثيرًا هل تلك العلاقة بين الرجل والمرأة

لما أنا عندما اختلف مع عز يطول فترة خصامنا وتتأثّر علاقتنا لِمَ لا يذوب خلافنا بتلك السرعة كما مع "ريم" وايمن؟!

في الحقيقة يجب أن أزور أمي واجلس معها هي تستطيع أن توقف سيل الاسئلة الّذي يجري في خاطري ويشق تفكيري

سأذهب وأعود في نفس اليوم أن هذا يؤثر على تركيزي في المذاكرة

ولكن ماذا سأقوُل لأمي هل أ قُولُ لَها أنّي أحب؟ أنها تعلم هل أقوُل أنّي في خصام مع من أحب وكيف أتَصَرَّف؟! ستنهرن كما أنّي اخجل أن أخبرها بتلك التفاصيل

اود أن أعرف كيف يتعامل الرجل والمرأة أنا لست امرأة ولكني بنت كبيرة وهو رجل بالفعل هو رجل شاب ورجل والرجل شاب عز يطل الخصام ويريد أن اصالحه أنا في كل مرة نختلف بها لن أخبرها بالطبع باي تفاصيل ولكنني أُريدُ أن أعرف الطريقة المثلي في التعامل بين حبيبين

لم اسأل "ريم" رغم أنها تجيب ولكني لا أثق كلية في آرائها أو بالأحرى بت لا أثق في آرائها لن أخبرها ولن اسألها ولن اذهب لأمي ولن اصالح عز سأتَصَرَّف بما أراه يناسبني وأنّه صحيح سأتركه هكذا هو من اثار غضبى

لن أفعلها أنا كل مرة واصالحه فليفعلها هو ولو مرة؟! وما الصحيح هل أنا من الحرص والتقدير له أن ابادر أنا وأن الذي يحب الآخَر ويقدره أكثَر عليه أن يستوعبه أكثَر ويقدم أكثَر حتى لا يفقده؟! عقلي ينفجر من التفكير تتنهد بضيق وتزفر قائلة لن اصالحه لن اصالحه وتخرج مندفعة من الغرفة تاركة كتبها على المكتب وفي الوقت الّذي كنت انوى وتراجعت عن زيارة أمي

لأنهاء ووضع حد لثورة خواطري اجتمعنا في على غير موعد وذهبنا جميعا إلى تيتا كاملة جدتي لبابا كانت مريضة هناك وجدت أعمامي وعمتي وابنائهم اطمأننا عليها وجلستُ طيلة النهار مع بنات أعمامي قضينا كالعادة وقت ممتع وشيق وتعرفنا على آخَر أخبارنا التي نعرفها عن بعض اول باول فنحن نتقابل يوميا في المدرسة وسهام ابنة عمى زميلة لـ"ريم" في المدرسة ولكن "ريم" وهي لاتتفقان في الغداء تناولنا الغداء البنات معًا والرجال معًا ونسوة أعمامي معًا لهم نظام غريب بعض الشيء ولكنه ساري منذ كنت طفلة قبل أن تذهب أمي من هنا كانت تحبب الينا هذا الجمع وترحب به ولكن أبي كان ينهي اليوم بتوجيه الاهانات المتعمدة إليها كان يصرخ على طبق أو كوب من الشاي! كانت ترتبك بشدة وتنسحب بنا من المكان مبتسمة في انكسار لم نكن نفهم شيئًا كنت وقتها صغيرة أعرف أنه غاضب وانها تبكي ولكن لا أدرك وقتها كما فيما بَعدَ تيتا كاملة كانت تقدر أمي بشدة حتى أنها لتخطئ في اسم "ريم" وأمي والطريف أن هذا حدث مرات أمَام طنط "سحر" التي كانت ترتبك بشدة وتلعن تيتا في سرها كانت عينها تفيض بالغضب لعل هذا اول سبب دفع طنط "سحر" لكره مجيء تيتا عندنا كانت زيارتها لنا مقتضبة وقصيرة واشعر أنها غير مرتاحة ملثما كانت أيام أمي كانت تلك من الأشياء المعدودة التي تفقد طنط "سحر"

فيها هدوؤها وقدرتها على السيطرة على اعصابها كنت تثور في وجه تيتا في غياب أبي ولم نكن لنخبره كما قالت ماما التي كانت تضحك ساخرة وهي تسمع لما نسرد من مواقف بين طنط "سحر" وتيتا "أنوار" كانت تتعصب وتنفعل عليها بشدة وترمقها بنظرات غضب كما كانت طنط "سحر" لا تبذل ادنى مجهود لكسبها فمنذ اليوم الاول الّذي وقع نظر تيتا والتي جاءت بَعدَ أُسبوعين من زواج أبي بها لزيارتنا

وهي تزمّ شفتيها وتتأمل قوامها بامتعاض وكل شيء تفعله التفاتتها ضحكاتها لقد بالغت تيتا في التعبير عن رأيها في زوجة ابنها وتجاهل أبي ما يحدث بينهما مع أنه لم يكن ليتجاهل هفوة تصدر من ماما كان يبالغ الحقيقة في رد فعله لا أدري ربما يرجع السبب لأمي كما تقول "ريم" ولكن اليوم لاحظت تحسن ملحوظ في معاملة تيتا "أنوار" وطنط "سحر" كانت تمسك بكفها برقة وهي تجلس بجوار سريرها على الكرسي وذلك بعدما خرج أعمامي ليجلسوا معًا في الصالون

جلست على ركبتي أمَام سريرها وأنا أتأملها بحب وتأثّر كانت شاحبة وواهنة مسحت على شعرى وجذبتني لتقبلني كانت شفتيها ترتعش خشيت عليها أن تموت برغم معاملتها السيئة لأمي الا أنّي أحبها وللحق لم تحاول أمي أن تغير من عاطفتنا تجاه تيتا "أنوار" قضينا اليوم بأكمله هناك وعدنا في وقت متأخر

كنت مرهقة ولم انتبه من نومي إلى قبيل الظهر وفاتني موعد الإفطار و"كريم" قد سبقني إلى الإفطار هو و"ريم" وتركوني نائمة وقد خرج لملاقاة اصدقائه في النادي القريب من بيتنا بينما "ريم" ممسكة التليفون على اغلب تقدير من ساعتين مضوا كالعادة فتلك جرعة قبل الظهر إلى أن تأتي اربع أخرى ولا أدري فيما تتحدث كل هذا الوقت مع "أيمن" خطيبها؟!

لم اذاكر أمس واليوم أنا مرهقة رأيت أن أطلب من أبي أن اذهب لرؤية أمي والمبيت عندها فقد مَرَّ أُسبوعان وأكثَر ولم ارها وبالفعل اكلت سندوتش وتوجّهت إلى أبي لأخبره ظل الجرس يرن ولن تفتح طنط "سحر" فعدت إلى الشقة وفتحت التليفزيون أخذت اقلب بالريموت في القنوات ولكن مزاجي لا يريد مشاهدة التليفزيون الآن فعاودت الذهاب إلى أبي بَعدَ مرور نص ساعة وقمت بالضغط على الجرس وعندما لم أجِد فعدت ثانية وجلست أمَام التليفزيون وحاولت أن احول مزاجي لانشغل في المشاهدة حتى يأتي أبي وأخبره ولكن لن اظل مكاني هنا فقامت وخرجت من الباب إلى الحديقة مباشرة مارة بباب الشقة الكبيرة ولم تعاود رنين الجرس فضلت أن تنتظره في الحديقة أن كان بالداخل فانه سيخرج عليها وأن كان بالخارج فهو سيمر عليها سارت "مريم" في الحديقة بخطى بطيئة تتجول متلفتة حولها تدور في المكان فضلا أن تنتظره جالسة وبينما هي تسير متجولة وقع نظرها

على "سحر" تطل من النافذة المطلة على الحديقة وتسألت لما لم تفتح لي حتى وأن كان أبي ليس بالداخل ولما هي شاردة هكذا ربما لم تسمعني ومضت في طريقها تسير مبتعدة ولم تبالى لما لم تفتح أن كان أبيها بالداخل لكانت فتحت له بالتأكيد تناهي لها وهي تتجول صوت "ريم" من الداخل تنادي عليها فتمهلت ربما ستخرج هي إليها وبالفعل خرجت "ريم" ممسكة التليفون وهي مازالت تنادي على "مريم"

"ريم": "مريم"؟ "مريم"؟

"مريم" من مكانها في الحديقة رد بِنَبْرةٍ هادئة ثابتة فاتجهت "ريم" تداهها مباشرة وهي تقول

"ريم": متى ستذهبين إلى ماما؟

استغربت "مريم" ولم تَرُد فابتسمت "ريم" على استحياء وقالت اود أن اذهب إلى هناك مع "أيمن" فهو يريد أن يذهب معي إليها

"مريم": لِمَ؟!

باستنكار تأملها "ريم" ولم تعقب

"مريم": أخبريني لمَ؟!

ريم يريد أن يتعرف عليها

"مريم": وأن علم بابا الم تقولي لي هذا من قبل

"ريم": لن أخبره

فرمقتها "ريم" بضيق بالغ وقالت لعلمك أُمَّك قالت لا أُريدُ أن أرَى أيّا منكما

"ريم": هل قالت هذا

"مريم": وقالت إنك محقة في أن تخافي من غضب أبي في حال علم أنكم ذهبتم إليها مع "أيمن".

"ريم": لمَ تقول ماما هذا؟

"مريم": لا أعلم هي دائما تظلمك يا "ريم"!

"ريم": لا أحتمل تلميحاتك السخيفة

"مريم": أليس هذا أسلوبك تنتقين ما تفعلين وتتجنبين ما يغضب أبيك؟

"ريم": وهل هذا خطأ

"مريم": ماما قالتها ليس بخطأ، ولكنها لا تريد أن تذهبا إليها وقالت استأذني من أبيك مسبقًا

"ريم": سنذهب ولن أخبره وإياك أن تخبريه أنت يا "مريم"

"مريم": هل هذا تهديد أم أمر؟

"ريم": حتى لا يغضب فقط

"مريم": أنت

"ريم": قوليها أنت الأخرى مثل أخيك

"مريم": لا لن أقوُل شيء تفضلي افعلي ما تشائين، فأنتِ عقل مدبر كبير تفهمين كل شيء بينما أنا ساذجة لا أفهم شيئًا وأتعثر في شئؤنى

"ريم": لم أقلّ هذا وليس هذا مناسب للحديث في كل ما تقولين

"مريم": تفضلي حضرتك!

"ريم": حضرتي! "مريم" إن علم "كريم" أخبريه ألا يخبر أبي رجاءً

"مريم": حاضر

تميل "ريم" وتقبل خد "مريم" وهي تبتسم برضى واستجدًاء بينما "مريم" يملأ عينيها السخط المكتوم والاستنكار وتنظر لـ"ريم" وهي تنطلق مندفعة إلى الداخل ثانية بضيق واستياء

تواصل "مريم" السير في الحديقة بخطى أكثَر بطئا وهي تتدحرج على أفكار ثقيلة تساقطت على خاطرها وهي تسبح في حيرتها مُجَدَّدًا وتنتبه على إثر خاطر مفاجئ وعلى إثره تلتفت باتجاه النافذة التي كانت تطل منها "سحر" لترى هل مازالت في مكانها واقفة تطل منها ولكنها لم تجدها واقفة فتلتفت ثانية وتواصل سيرها متأملة ارجاء المكان حولها وهي ترمق كل شيء حولها بحيرة أقرب إلى التشكك وتغرق في شرودها وهي تسير على غير هدى في أرجاء الحديقة بمفردها

"ريم" تلبس ملابسها على عجالة وتضع الميك اب وتمطر ملابس بالعطر وترفع حقيبة يدها وترفع التليفون وتتصل برقم وفَجْأةً تَرُد

"ريم": بابا أنا ذاهبة لرؤيا ماما ولن أتأخر ساعتين واكون هنا وتنصت قالت كلامها دفعة واحدة كمن يلقن لا من يطلب وقفزت في مكانها بَعدَ الرد مباشرة وانطلقت خارجة من الغرفة تحكم تعليق حقيبتها في كتفها وفي اليد الآخَر التليفون وتطلب رقم آخَر

وصائحة مُجَدَّدًا "ريم": "أيمن" أنا جاهزة الآن انتظرني بأول الطريق بجوار الكافيه المؤدي إلى شارعنا، أنا خارجة من البيت الآن. وتندفع خارجة من باب الشقة تاركة الباب مفتوحا وتهرول خارجة على عجالة. تمر "ريم" ب"مريم" وهي تبتسم مبتهجة تتبختر في مشيتها وهي عينها تملاها نظرات الانتصار بينما "مريم" تنظر لها بترقب صامتة وقد أدركت أن أبيها وافق على أن تذهب إلى زيارة امها بينما هي من كانت تريد أن تطلب منّي أن يسمح لها بالذهاب إلى هناك ولكن سبقتها "ريم" ومع خطيبها دون علمه تنهدت "مريم" بضيق وبلا حيلة فلا جدوى من الضيق وإن أصرّت على الذهاب كيف ستذهب معهما إلى هناك وهي تتوقع أن امها ستكون مستاءة بتلك الزيارة الغير متوقعة والمفاجئة التفتت "مريم" لتدخل فقد وجدت أن انتظار

أبيها كان بلا جدوى من البداية فهي لن تذهب إلى امها فتوجّهت إلى الداخل لتدخل مباشرة إلى غرفتها بَعدَ لحظات تناهي إلى سمعها صوت "سحر" فقامت من مكانها مباشرة متوجّهة إلى خارج الغرفة لم تجدها فوقفت مكانها لعلها تعود وتجدد النداء فلما لم تأتي ذهبت "مريم" باتجاه باب الشقة الكبير ونادت من الخارج طنط "سحر" فلم تجبها ولمحتها من فتحة الباب متواجدة في الحديقة فلما لم تكن في مزاج يسمح بأن تتساءل أو تنتظرها فالتفت ودخلت إلى الشقة ومنها إلى غرفتها مباشرة وظلت تترقب مجيئها ثانية ولكنها لم تأتي فاطمأنت في جلستها وحاولت استذكار دروسها لاستثمار ما تبقى في يومها من وقت ولكنها كانت ساخطة وتشعر بالضجر

وتناهي صوت "سحر" من جديد

"سحر": "مريم"؟ الغداء نادى "كريم" وتعالوا

فقامت "مريم" من مكانها متململة كنت تود لو لم تأتي ثانية ولكنها قامت وتوجّهت إلى هناك وجلست إلى الطاولة بغير شهية لتتناول الطعام مع "سحر" بمفردهما بعدما علمت أن أبيها يتناول الغداء بالخارج مع عملاء و"كريم" لم يعد من الخارج بَعدَ فأكلت بغير شهية ونقدت من غدائي وقمت من مكاني فبادرتني طنط "سحر" بسؤال وقلما ما توجّه لي تساؤل هي تجيد الانصات ولا تقوم بتوجيه الاسئلة كثيرًا

سألتني عن قريبة بابا التي دعت بابا والاسرة إلى حضور حفل زفاف ابنها واستغربت لان "سحر" قد حضرت الحفل بصحبة بابا وكان هذا تقريبا ليلة سماع الصراخ والشجار الّذي تناهي إلى سمعنا يومها

فارتبكت وقلت لها أنها ابنة عم أبي فهزت رأسها قائلة هل هي سيدة طيبة؟

فلم افهم فسالت كيف

فقالت هل هي امرأة جيدة وقريبة الصلة بأبيك وبكم والاسرة فيما بينهم يعتادون على توجيه الدعوات في مناسباتهم العائلية

فاستشعرت أنها ربما تغار على أبي ففعلت كما كانت تفعل أمي وحاولت بكل امكان أن ازيل تلك الفكرة عنها حتى تطمئن فما جدوى أن تشتعل نار الغيرة بداخلها لا جدوى لاي اجابة ولو عفوية أن تزيد حالتها سوءا فلقد لمسحت أنها حائرة ومضطربة من الداخل وبالفعل طمأنتها قائلة أن أبي يقدر اقربائه ولأنه خدوم ويسدد الخدمات والمجاملات فأكثَرهم يودون أن يردوا مجاملاته فابتسمت "سحر" وشعرت أنها قد أطمأنت وهدئت استأذنتها لأذهب ولكنها طلبت أن تحضر لي العصير من الداخل فابتسمت أنها تعاملني كطفلة وتود مكافأتي على ما قولت ربما هذا! فانتظرت وسمعتها تعد طازجا بالداخل ولما تناهي صوت ورأيت أن اجلس حتى لا اظل واقفة ونشربه معًا ونحن جالسون

سويا وقبل أن اجلس لمحت دفتر بنى اللون بغلاف مزركش على الطرابيزة اسفل الأريكة الملاصقة للنافذة المطلة على الحديقة هممت بإبعاده لإفساح مجال لصينية العصير ولكني تراجعت كما أنّي تذكرت أن على أن اشرب في الشقة حتى لا تطيل الجلسة وتوجّه لي اسئلة جديدة فعدت إلى مكاني وتناولت كوب عصير المانجو ومضيت خارجة من شقتها وضحكت على تقيمها بكوب عصير لي لم أخبرها أن تلك القريبة كائن ثرثار لأقلق منه وكنت راضية عن ما تركت طنط "سحر" عليه وجلست اتناول العصير أمَام التيليفزيون وسمعت صوت بوابة الحديقة يفتح محدثا صوت فأدركت أن "كريم" قد عاد فسررت اذن سنقضي الوقت سويا فضلا عن أن اقضيه بمفردي كما أنّي سأخبره عن ذهاب "ريم" مع "أيمن" إلى ماما وهو بدوره لن يخبر أبي ولكن أنا لا افهم ما تقصده "ريم" بالا تخبر أبي ولما يغضب أبي ولِمَ لا تريد أمي ولما أنا منشغلة بكل هذا ورغم أنه يشغلني لا أجِد اجابة وأُريدُ لو يشاركني أحد في حيرتي ودائرة تساؤلاتي فمن أفضل من "كريم"

"كريم": سلامه عليكم

"مريم": وعليكم السلام

أأحضر لك الغداء

"كريم" لا تناولت الغداء مع بابا وعملاء معه في المعرض

"مريم": هل كنت في المعرض كنت اظنك في الملعب

"كريم": بَعدَ الملعب توجّهت إلى المعرض لم أمضِ وقت طويل هناك ولكنك كنت نائمة عندما خرجت لما نمتى كل هذا

"مريم": كنت مرهقة

اجلس يا "كريم"

"كريم": سأخذ شاور وأعود اليك على أن ترتبي أفكارك ومن أيها سنبدأ. فضحكت "مريم"، لقد أدرك "كريم" أنها تود الحديث معه ودخل "كريم" إلى غرفته وهو يقهقه وسال بلا اهتمام

"كريم": "ريم" اين هي؟!

"مريم" ب تردد ذهبت إلى ماما

"كريم" ملتفتا وعاد من مكانه ولِمَ؟

"مريم" لقد سألتها نفس السؤال

فضحكا الاثنان

"كريم": معك حَقّ تسألينها

أختك هذه أمرها عجيب ماذا تتوقعين من بنت تتخذ زوجة أبيها قدوة لها

"مريم": "كريم"!

"كريم": أليست هذه الحقيقة؟!

"مريم": هل يعجبها سمات في؟ فيثور "كريم" وساخرا ويقاطعها

"كريم": الحديث بخصوصها لا يجدي ولا يسمن من جوع سأخذ شور وأعود

"مريم": طيب ابتلعت "مريم" ريقها بصعوبة وهي تسترجع جملة "كريم"

وهي تقشعر جبهتها غير مستوعبة لان تكون هي الحقيقة بالفعل وترنحها ايذاء الاقتناع بأسبَاب وتبريرات "ريم" ولكن ليس هذا هو العنوان لما تنتهجه "ريم" في تصرفاتها تغرق "مريم" مُجَدَّدًا في لجة الحيرة والتساؤلات هي تهرب من العنوان الّذي يرسم معنى أن تعجب وتقلد وتقنع بآراء "سحر" وتطبقها وتجدها "مريم" هي الأخرى منطقية خاصة في كل علاقة حب لا تكتمل معها تعود إلى اراء "ريم" التي تقلل من قيمة وقدر الحب والّذي بالفعل لم ترى منه "مريم" الا الخيبة والخذلان بخلاف ما تخبرها به امها أن كل ما نمر به وأن كان مؤقتا فهو مكسب لن واضافة تجد "مريم" نفسها في حالة الحيرة المتجددة بين ما هو ردا يريحها ايذاء ما يخصها وبين ما تقوله امها وسط انهيار علاقتها بأبيها ايهما تهتدى بما تكرره على مسامعها "ريم" والتي تتبنى فيه وجهات نظر "سحر" والّذي قد يقلل خيباتها ومرات الخذلان التي تتجرعها ايهما تتبع بأيهم تطبق من هي تمتلك الحلول الأكثَر عملية ونجاحا بينما كلمة "كريم" قد ضايقتها اذ أن معنى أن تلتمس الحل لما تعاني يعد اقتداء بغير امها وهي

تجد هي ثقيلا على نفسها قد تود أن تعمل به ولا يعد عملا بوجهة نظر أخرى غير الام وهذا جزء مما يدفعها في مركز الحيرة من وقت إلى اخر

أمي نفسها عندما أخبرناها بَعدَ مرور فترة من تركها لأبي أنه ستزوج تنفست الصعداء وابتسمت وصممت من جديد هكذا تفعلها لعبة الصمت! واردفت قائلة كأنها ارتدت ثوب واعظ عليك بمعاملتها معاملة طيبة فنظرت لها "ريم" ساخرة لم تنتبه لذلك أمي كانت تنظر لها كمن يقول حتى يقول الناس أنك أحسنت التربية! اتضح لنا وسط استغرابنا واولنا "ريم" أن هذا من اجل أن تسير الحياة في البيت هادئة وسيتسنى لنا مواصلة دروسنا وحياتنا بلا صغب ولا شجار مضيفة أنه سيتزوج هذه أو غيرها لابد له أن يتزوج ولما لمحت على وجه "كريم" الحنق وجهت كلامها مباشرة ناحيته قائلة خير له أن يتزوج ويعرف الجميع أن لديه زوجة عن أن يتهامسوا أنه يعرف امرأة الزواج كان مؤجل كان يهدف إلى أن افكر وأعود ولكنني لن أعود فاستسلم واتخذ قرار الزواج عليكم أن تتعاملوا معهم كما تتعاملون بلطف وتَهَذُّب هي جاءت لأبيكم ليس من اجلكم معاملة طيبة في اضيق الحدود انتم كبار لن تراعاكم أو تحضر رضعاتكم أنا من قمت بتربيتكم هي جاءت له وبِنَبْرةٍ حزم من مصلحتكم الا يكون هناك شجار معها أو معاملة سيئة من اجلكم انتم أنت في مرحلة

تحتاجون إلى تفرغ في جو هادئ لدروسكم وتعليمكم كما وأنّه ولأنكم قد كبرتم فلكم انشغالاتكم وطبيعة سنكم وهي سترحب بهذا أيْضًا لا أحد يحب اثارة المشكلات من حوله نظرت "ريم" لأمي بتفحص ولم ترمش أنا كنت اتابعها جَيِّدًا وأنا أُنصت لكلام أمي الّذي لا أكاد انساه كلما شب بوادر شجار وسرعان ما اطفئه واخمده لتذكري كلماتها أنه من الأفضل أن نوفر جو أفضل للجميع فما من فائدة للشجار بالفعل وكما رسمت لنا أمي الطريقة في معاملة زوجة أبي سرنا جميعًا حتى "ريم" التي ظننت أنها لن تطبق هذا فهي تحمل سخط كبير على أمي وتحاول دائما أن تشرد عنا! ولعل هذا ما قربها إلى طنط "سحر" تجالسها كثيرًا كان على أمي التي استقبلت الأمر بمثالية وبلامبالاة هكذا أن تتسامح في أيّ تقارب بيننا وتأثّر وتأثير كان عليها أن تستعد لهذا كما على الا اراجع نفسي واؤنبها على أيّ تفهم لوجهة نظر عن طنط "سحر" أن ماما بَعدَ تركنا بلورت حياتها ووجهتها حيث توفر لها الراحة والامان فهي أحيانًا تقول أنها الآن أكثَر راحة وامان كيف وهي بعيدة عنا لا أدري لعلها تقصد بانفصالها عن أبي كان يؤذيها بشدة ولكن لما شملت الراحلة والامان كل جوانب حياتها بلا وجودنا فنحن هنا وهي هناك كلما مررت بضيق والتفت هنا ولا أجِدها تمتلئ نفسي بالمرارة والسخط عليها وأحيانًا التمس العذر لـ"ريم" التي تصف أمي بالأنَانية

والساذجة وتقارنها ب"سحر" كثيرًا لأتجرأ على أن تفعلها أمَام "كريم" ولا أدري استغرب له لما تلك الحماسة والغضبة لأمي وهي التي تركته هو الآخَر هل نسى ما يقوله أبي مرارا ماذا ستقول لزوجتك وأولادك عندما تكبر اين أُمَّك أمي مطلقة؟! ينظر له "كريم" مستهجنا أيْضًا هو لا يدرك أن أبي محق أنها وضعتنا في ماذق لتريح نفسها من معاملة أبي لها أن تقدم معز لخطبتي ماذا سأقوُل لأهله عفوا أمي ليست هنا لترحب بك وبأهلك فأمي مطلقة تستقر في بيت أهلها! الصداع يكاد ينسف رأسي

لو كانت موجودة لسالتها الآن وفي اللحظة لما تفشل قصص حبي يا أمّي يا حالمة؟ ليس ذنبها ولكني أكره من نفسي ذلك الجانب الّذي يشبهها

ماذا سأفعل أن تركني معز وابتعد وولى وهرب منّي

تلك الام الأنَانية الباردة: أخبريني؛ أن قصدت طنط "سحر" في أمر هل ستغضبين؟!

لن اهتم بغضبها هي تحيا هناك كما تريد هي اختارت راحتها على راحتنا أحيانًا يملأني الكره لها ولنفسي ولمعز، أكره الجميع..

تدفع "ريم" الباب وتدخل متعجبة وهي تحمل تلفونها وباليد الأخرى ترفع شعرها

"ريم": هل جننت؟! تتحدثين مع نفسك؟

"مريم": نعم جننت

"ريم": لا أقصد! ولكن ما بك؟

وتجلس "ريم" قبالتها في هدوء وعينها على وجه "مريم" الممتقع وهي تحثها على البوح والحديث وهي تتفحص وجهها بينما "ريم" تبلع ريقها بضيق ولا تَرُد التحدث فتميل "ريم" يمنةً ويسرة برأسها وتبتسم باقضاب

"ريم": ولِمَ لا يأتي لخطبتك؟!

ترفع "مريم" رأسها مباشرة في وجه "ريم" مشدوهة وتهم بالرد ولكن الكلام لا يخرج من فمها ويتحشرج في فمها

"ريم": أن كان يريدك بحق فليأتِ إلى هنا كما يفعل الجميع

"مريم": يقول إنه لا يستطيع إخبار أهله قبل أن يتخرج بأنّه يريد يخطب

"ريم": كاذب لو كان يريد سيتصرف.

تتأملها "مريم" بانتباه وتأثّر

"ريم": اتركيه لا يمن فتهب "مريم" في مكانها ساخطة وغاضبة وتقاطعها

لا تعيدها ثانية قلت لك لن أتزوج بتلك الطريقة

"ريم": حبيب قلبك لن يأتي ولا تغضبي منّي أهله مقتدرون ولكنه لا يريد والا لما يتردد هكذا في خطبتها

"مريم": "ريم" لو سمحت!

"ريم": هل تريدين أن اخدعك وأسمعك ما تريدين لم أقصد أن أُغضبك ولكنه ثالث شاب يهرب فتقاطعها "مريم" بصوت متهدج وتخرج من الغرفة صارخة

"مريم": صه

تتأملها "ريم" بتأثّر وتوتر وتخرج خلفها مباشرة

"مريم" متكورة على الكنبة في الصالة تهبط "ريم" بجوارها وهي تهم بوضع ذراعها على كتفها فتدفعها "مريم" في لوم وعينها ممتلئة بالدموعِ وهي تقول بصوت متهدج

"مريم": كلامك يضايقني لا تتحدثين لا أدري لما أتحدّث معك

تترك مقبض الباب وهو مازال مغلق

"ريم" تصرخ على "مريم" بتأثّر وبِنَبْرةٍ حرص

"ريم": أنّي اخاف عليك الا تنظرين لوجهك وهيئتك وجهك شاحب وتنقطعين عن المذاكرة وتستسلمين للنوم كلما فر منك كلب

"مريم" صارخة اسكتي.. اسكتي

"ريم": حبيبتي، أنا أختك لن يخاف عليك أحدٌ أكثَر منّي أنا أنصحك وأحرص عليك، لمِ تتضايقين من كلامي؟

أنتِ لا تتعلمين من أخطائك أبدًا، وأنا اخاف عليكِ!

"مريم" تجهش بالبكاء.

ينفتح الباب وتظهر "سحر" وعيونها مفتوحة تفيض بالفضول وشفاهها مقفلة، على ما يبدو أنها سمعت حديث الأختين؛

فتنظر مباشرة إلى "مريم" التي تبكي وهيئتها تثير الشفقة وما إن تظهر "سحر" حتى تهُزّ "ريم" قدمي "مريم" لتتوقف عن البكاء وتهِبَّ واقفةً وهي وتتحدث إلى "سحر":طنط "سحر" اتفضلي.

"سحر": ناديت عليكم لم تَرُدوا فجئت أخبركم أن الغداء جاهز

وتتظاهر بأنها لم تنتبه لبكاء "مريم" فتنظر جانِبًا نحوها وتقوُلُ بِنَبْرةٍ متأثّرة وفاحصة كل خصلات شعرها التي تغطى وجهها والدموع التي تبلل وجنتيها:ما بك يا "مريم"؟ خير يابنات؟

"ريم":إنها خائفة من... فتقاطعها "سحر" بسرعة وتقوُلُ:خائفة ممَ؟! "ريم":من الامتحانات.

بينما "مريم" تحاول الرد فلا تقوى وتسعل لتصفي صوتها من أثر البكاء وترفع بكفيها شعرها للخلف وتتوقف عن البكاء وهي تبلع ريقها وتحاول استعادة هدوءها، بينما "سحر" تجلس قبالتها لتجعلها تتحدث وتخبرها ولكن "ريم" تباغتها وتقوم من مكانها وهي تضع كفها على بطنها وتقوُلُ:أنا جائعة بالفعل، –وتنظر لـ"مريم"– ادخلي اغسلي وجهك واتبعينا يا "مريم".

وتتجه إلى الباب وتخرج منه فتجد "سحر" أنه لا مفر من أن تقوم هي الأخرى وتذهب مع "ريم" إلى الشقة الأخرى، تتبع "سحر" "ريم" بضيق وعيناها مليئة بالتساؤلات والشكوك وتخفي كل هذا بابتسامة لامبالية

"مريم" تنظر عليهم وتقوم من مكانها بتثاقل وهي تقشعر جبهتها على إثر استرجاع كلام "ريم" فتمتلئ عينيها بالدموعِ ولكنها تقاومها وتمسح على رقبتها بكفها وهي تحاول دفع الخواطر الحزينة عنها بعيون مليئة بالأسى والضيق والحيرة.

تتشمم "ريم" رائحة الطعام وهي تتجه إلى السفرة وتجلس قُبَالَةَ "فؤاد" الّذي ذي يتحدث في التليفون بينما "سحر" تتجه إلى المطبخ لتجلب باقي الطعام وهي تهُزّ رأسها بضيق وحيرة وتعود بَعدَ دقائق وهي تحمل طبقا كبيرا من اللحم المشوي يتصاعد منه البخار وتضعه اوسط الطرابيزة وتجلس بجوار "فؤاد" تضع اللحم أمَام "فؤاد" ثم "ريم" التي تتجنب النظر في عيني "سحر" مما يجدد فضولها من جديد ويتناولون الطعام بتلذذ تنظر "سحر" لـ"فؤاد" الّذي ما أن ينهي المكالمة يضع التليفون جانِبًا ويتجه إلى السفرة مباشرة ويأكل بنهم

"سحر" تأكل "فؤاد" بغيظ مكتوم و"ريم" بحيرة وغيظ أيْضًا بينما "ريم" و"فؤاد" يتناولان الطعام بشهية بَعدَ لحظات تتفاجأ "سحر" بقدوم "مريم" وتنضم إلى السفرة وتأكل مباشرة وهي تنظر عليها بحيرة وقد تبدد إثر البكاء عن وجهها وهي الآخَر تأكل بشهية مما اثار ضيق وتعجب "سحر"

تتلفت "ريم" إلى "مريم" وتبتسم وترفع قطعة لحم أخرى وفؤاد مستغرق في تناول الطعام شارد الذهن

وفَجْأةً يرن الهاتف يرد "فؤاد"

"فؤاد": "كريم"

وينصت بينما "مريم" و"ريم" تنظران باتجاهه وهما تأكلان ينتظران ما في المكالمة

يبتسم "فؤاد" ويتحرك في مكانه بنشوة وبحرارة:

ادخل واصطحبهم معك. فتلتفت "ريم" و"مريم" على إثر قوله وهما مندهشتان.

"سحر" تسأل "فؤاد" فيشير لها بالانتظار ويكمل كلامه لـ"كريم"

"كريم" أدخلهم معَك تعالوا

"فؤاد" يهبّ واقِفًا وهو يتأهب للخروج بينما يلتف وينظر على هيئة "سحر" ويهز رأسه بترقب وكأنه يتمم على هيئتها قائلا لا وقت لتبدلي ملابسك هما سيدات مثلك قريبات لي سيتناولوا الغداء معنا، أحضري طعامًا إضافيا ليكفي الجميع.

تتسمر "سحر" في مكانها وتبتسم بهدوء ولا تَرُد ثم تقوم من مكانها بهدوء وهي تنظر لملابسها وتنظر لـ"فؤاد" بضيق ثم تعاود الابتسام وهي تنظر لـ"ريم" و"مريم"

ما أن تدخل "سحر" إلى الداخل باتجاه المطبخ حتى يتناهى صوت صخب في المكان من الخارج و"ريم" و"مريم" تنظران

لبعضهما وتضحكان بسخرية ويظهر "فؤاد" مُجَدَّدًا ويقول بضيق وخيبة لم توافقا على الدخول أعدَّي لنا عصيرًا واجلبيه إلى الحديقة سنجلس هناك، فضلا البقاء فيها، فتنظر له "سحر" بإنصات ولا تعقب ويخرج هو وتدخل هي إلى المطبخ ثم يعود وينادي عليها ويقترب منها ويهمس في اذنها بكلام بينما هي ترمقه بضيق ولا تَرُد ويخرج مُجَدَّدًا من الباب و"سحر" تدخل وتنفجر "مريم" و"ريم" في الضحك وتحاولان مقاومة الرغبة في الضحك وهما تدركان ما يحدث

ويسمعا من ناحية المطبخ صوت اصطكاك الاكواب وغلق الدلف بقوة فتضحكان في سرهما

شمس الظهيرة تعكس الوهج على أوراق الشجر والمكان يلف المكان هدوء كبير تدفع "مريم" البوابة وتدخل بزيها المدرسي وبيدها مقلمة وبالأخرى منديل تمسح به جبينها وتجفف حبات العرق وبلوزتها البيضاء ملتصقة بذراعها وتبدو متوترة مرهقة متململة تَمْضِي من البوابة الكبيرة وهي تدفعها بكفها تلسع يدها الحرارة فترفع كفها بضيق وتتركها على حالتها وتهرول إلى الداخل بخطى متثاقلة. ترن الجرس فتجد الباب فُتح ولا أحد بينما تسمع صوت "ريم" تتشاجر وهي تتحدث بصوت مرتفع في التليفون فتومئ "مريم" برأسها وتدخل وهي تجر قدميها مباشرة باتجاه غرفتها تضع المقلمة على سطح المكتب وتقف أمَام

المراية تلمح وجهها أمَام المرأة فتتوقف في مكانها تتأمل وتنظر لهيئتها الحائرة المتوترة وعيونها المرهقة، تزم شفتيها وتلقي بجسدها على السرير وتتنفس بعمق وهي تتنهد وهي تفتح ذراعيها على سريرها تظهر "ريم" داخلة من الباب. "ريم" متسائلة بترقب: أجبت جَيِّدًا؟ كيف الامتحان؟

"مريم": وهي تتقلب على السرير بتعب وتمَلمُل يأتي صوتها وهي تتقلب مكتوما: كان معقولا

تزم "ريم" شفتيها وتبتسم، إذن كان جَيِّدًا وإلا لكنتِ قُلتِ زفتًا!

فتضحك "مريم" وقد التفّت وأصبح وجهها لوجه "ريم" وتجلس في اهتمام متسائلة لـ"ريم":مضى شهور على خطبتكم وشجاراتكم لاتهدأ، كان صوتك عالِيًا وأنتِ تتشاجرين مع ايمن!"ريم" تزفر بضيق:إنه غبيٌّ ولم أعد أحتمله. "مريم" بنبرة تهدئة: هو اعتاد على ذلك، وأنت أيْضًا. ريم: ولكنني تعبت منه

لا تَرُد "مريم" وتنصت بلامبالاة اعتيادية.

"ريم": عندما يعود أبي سأخبره أنّي لن أكمل الخطبة تلك

"مريم" تَهِبُّ جالسة وباستنكار: ستتركينه!

ويجاول في خاطرها وتعكس عينها خواطر شتى أكبر من رد فعل عل ما قالته في التو اختها أن الأمر ابعد من ذلك بالنسبة إلى "مريم" على ما يبدور

"ريم": بتململ وحنق تعبت منه ومن الشجار من وقت للثاني معه

"مريم" ببراءة وبتلقائية كفي عن الشجار اذن

"ريم": يفعل ما يضايقني.

"مريم": أخبريه أن هذا يضايقك، أخبريه.

تهُزّ "ريم" رأسها بنفاد صبر وبغير أمل في فهم "مريم" وتقوُلُ:قبل أن يفعل ما يغضبني أقوُل، هل أعلق قائمة بما يضايقني؟ أخطاؤه كثيرة ولم أعد أحتمله البتة.

وفي محاولة لتهدئتها ولعلم مسبق أن ما يجري معتاد ومتكرر فتقول بِنَبْرةٍ صوت هادئة لا تتناسب وثورة "ريم" تلك المرة

"مريم": أنتِ أيْضًا تفعلين ما يضايقه، أم لا تفعلين ما يضايقه؟

تتأملها "ريم" ولا تَرُد وتشرُد بعيدًا ثم تقول بصوت متوتر:أقوُل لماما؟

فتفاجىء "مريم" مما قالتها وتتلقفه ما قالته "ريم" بتعجب ودهشة وتذوب الكلمات على شفتيها وتحملق في وجه "ريم" التي تغيبت بعيدًا في خواطرها وتتحدث كأنها تحدث نفسها" لا أحب آرائها ولاتفكيرها، ولكن هي أمي ويجب أن تقف بجواري وتخبرني ماذا أفعل. تتأملها "مريم" بدهشة وترقب.

"ريم": إلى متى تظل هكذا؟ عليها أن تغير من نفسها، إنها مقصرة معي، هي تريد أن تريح بالها وترفع عن نفسها

المسؤولية أنها أنَانية كالعادة، وبثورة ونفاد صبر: غدا سيخذلها إخوتها كما خذلها زوجها، هي تستحق ما جرى لها، أخذت تهاتي وتعطي وتسند إلى أن أغراها صمتها وصبرها وعطاءها في أن كسرها ومرر حياتها وكاد يدمرها لا أُريدُ أن أكون مثلها أعطي وأصبر وأصبر وأعطي، لا أُريدُ أن أتحول لروز أخرى، كل هذا وتنزل الكلمات على سمع "مريم" كالصاعقة وترمقه اختها بتعجب وتحبس انفاس بين الدهشة وبين الفضول في معرفة المزيد!

تلتفت "ريم" والدموع تنساب على وجهها وتمتلئ عيناها بالمرارة والندم بينما "مريم" نظرها ثابتة على وجه "ريم" ولا تتكلم وجبهتها مقشعرة لا تتراجع "ريم" وتواصل حديثها وهي مدركة لدهشة وذهول "مريم" وتجلس بهدوء وتململ وانكسار بجوارها على طرف السرير وهي تقول وهي تنظر أمَامها بانحناءة وبصوت متهدج.

"ريم": لا أُريدُ أن أكون مثل أمي أتزوج رجل كذاب وأنَاني، – "مريم" تجحظ عيناها وتنصت بذهول ولم تستغرب نوعية الشتائم وما تقول بحق أبيهما فهي تعتاد على ما يبدو من أُختها هذا–، أقدم باليمين فيضربني بالشمال، يغادرني مبتهجا ليعود بَعدَ دقائق ليكومني على الأرض بَعدَ لقاء مع ام أو اخت أو اخ

وصارخة لا أُريدُ أن ألهث خلف تعثره وادفع فيه وهو يتململ منّي ويوبخني بأفظع الشتائم والسباب، لن أحتمل أن أصبر على حياة أُهان فيها ومن حولي يعاملونني ما بين شامت ومشفق، لن أقبل أن أتعثر في أبنائي وأبيهم يلهث خلف وهو يضربني.

تضع "مريم" كفها على وجهها وتضم شفتيها وهي تهُزّ رأسها لا تَوَدُّ أن تسمع المزيد، بصوت متهدج متأثّر بالبكاء تكمل "ريم": لا أُريدُ أن أتجرع الذل من رجل حقير وقاسي يتباهى أمَام أهله أنه يضربني ويسبني ويخلف الضرب آثارًا على جسدي، ويستعمل أولادي من أجل الضغط عليّ، يذلني لأني أُريدُ أن أحتمل لأجلهم، يركلني لأن غدًا العيد وأُريدُ أن يفرح أبنائي بالعيد وبملابس العيد كباقي الأطفال وأنا أُداري جُرحًا في جبهتي وآخر في ركبتي وآخر مستور تحت الملابس. "مريم": بصوت متحشرج: كفاية اصمتي.. اصمتي.. وصارخة: كفاية

"ريم" وهي تبكي ساخرة: وأنكفئ لأجمع الطعام المتناثر أرضًا بَعدَ قذفه له على الأرض بسبب مزحة لم تعجبه وهي تثني على كلمات أغنية عاطفية وهتاف الجمهور.

ولا أن يختار من يوجه لي السباب أمَامهم لكسرى وإذلالي، ذلك الحقير كان يضحك بهستيريا مثل تيتا الخبيثة التي كانت هي الأخرى تشاركه الضحك وهي تتظاهر بأنها تنصحه أن يكون هادئًا من أجل أعصابه في التعامل مع أمي كانا يضحكان كان

يروي لها ما يفعل وهي تبتسم بمكر، كنت أُراقبهما وأنا جالسة أتذكر جَيِّدًا، لم أكُن أستوعِب حينها، لقد كان يتكرر هذا كثيرًا بأغلب مرات تطاوله عليها وعمل حفلة إهانة وتجريح يسمعها الجميع الضيوف وأعمامي وزوجاتهم كان يضحك وكانت امه تضحك! وأمي تبكي وأنا مذهولة لا أدري لما يحدث كل هذا هل كل هذا كان يتكرر بسبب وجودنا هل لو لم تنجب لكانت انهت تلك الصلة معه كانت اشبه بعبدة يفعل بها ما يشاء كان وغدا وحقيرا تسمح دموعها المتساقطة تباعا بدون أن تتوقف عن الحديث

هل هذا هو الحب؟! الحقير يعشقها وهي كانت تبتز باسم الحب اجترت مشاعرها باحتراف من قبل الخبيث لم تجنبي شيء ذهبت كما جاءت بطولها كما دخلت ولكن على ظهرها اثقال من الانكسارات والشروخ والكثير من الذكريات المحزنة

بينما تلتفت "مريم" لـ"ريم" زاجرة تجدها تبكي والدموع تبلل وجهها وعينها تلونت بلون الدم فتجهش "مريم" وهي تخفي وجهها بكفيها وتهُزّ رأسها بغضب وانفعال وتحاول بكفها أن تشير لـ"ريم" أن تصمت ويتهدج صوت "ريم" وتكرر قائلة بغضة وتأثّر بالغ بصوت مرتعش

لن أكون مثل أمي ولو حتى من أجل أطفالي

وبادرك وحنق لقد استهلكت نفسها واذلت نفسها قبل أن يقهرها هو ويذلها هو لو كانت اذكى من هذا لعلمت كيف تعيش أفضل مما كانت معه لا أُريدُ أن اكون مثلها في أيّ شيء في أيّ شيء

التفت "مريم" لأختها التي تتكلم بعزم وانتباه بكامل وعيها وعزمها الّذي تعكس نظرات قوة واصرار وتحدى وهي تمسح دموعها برفق عن خدها انا أكره فيها ضعفها وهزيمتها ورضوخها أنا لا أملك أن اكفائها على احتمالها من أجلي لا احتمل أن اشعر أن تلك الام أنا مدينة لها أكثَر من اللازم لأنها احتملت بالفعل من أجلي أكثَر من اللازم لا أطيق القيود أو الامتنان الممزوج بالمداينة والتذكير كلما نظرت في وجهها هنا كنت اطمئن أنها باقية وقابلة أن تتدفع وتنفق من اعصابها لأجل أن أعود فأجدها واجد كل ما أريد، كرهت انسحابها المفاجئ في الوقت الّذي كنت أولى به أن اهتم بنفسي. كنت مرتكبة كنت اشعر بالضياع والحيرة والتخبط كانت هي السبب هي قررت أن تحتمل من البداية لما الآن تنسحبي بكل أنَانية لما انسحبت فَجْأةً

"مريم" تنظر لـ "ريم" باستنكار وضيق تتجاهل "ريم" ذلك وتوصل بكل اصرار وقد هدأت قليلا هي من قبلت لما رفضت فَجْأةً أنه كان من اجلنا لما لم تواصل من اجلنا أيْضًا هي السبب في كل ما حدث لها أنا غير مدينة لها بشيء هي أمي ولكني لن

اعوضها عما لاقته منه هي كانت تريد أن تكمل لما انسحبت أن كان من اجلنا حقا فنحن ما زلنا في حياتهم وبينهم انسحابها غير مقبول! أنا لا أحب أن اذهب إليها واراها بين أهلها تبتسم بغباء ودعة ووداعة أنها مثله كاذبة أنها تغلى من الداخل وتبكي كثيرًا أنا أعرفها

"مريم" تنظر لـ "ريم" بضيق ولا تَرُد "ريم" تقترب من وجهها وتسألها مباشرة وهي مدركة أن كلامها لا يعجبها

"ريم": الا تبكي أُمَّك بمفردها؟!

"مريم" صارخة لا تبكي هي أكثَر راحة هناك وهناء من هنا

فتضحك "ريم" بسخرية وحنق وبإصْرَارٍ: لا بل تبكي هي نادمة

"مريم" تَهِبُّ واقفة: ليست نادمة، أنتِ متناقضة، لا أدري ما الّذي تودين الوصول إليه؟ تلقين باللائمة على أُمَّك أنها كانت ضعيفة مع أبيك وتكرهين منها أنها ذهبت عندما نفد صبرها وكنت تريدين أن تظل في الوقت الّذي تكرهين فيه ضعفها وتقوُلُين إنها هي الأنَانية والكاذبة أيْضًا! أنتِ الكاذبة والأنَانية يا "ريم" لقد بدأتُ أفهمك يا أختي، أنت تتقمصين شخصية أبيك وأمك معًا، تريدين أنت تكوني مستقرة في حياتك مثله كما هو الآن.

تقاطعها "ريم": طبعًا فهو نجح بينما هي قابعة في بيت أهلها

"مريم" باستنكار: انتقي كلماتك و"ريم" تواصل حديثها متجاهلة ما سمعت : وهي الخاسرة، هي دائما خاسرة لم تكسب شيئًا وهو الفائز. بسخرية واستنكار وتهكم "مريم":فائز؟!وهي خاسرة؟!

"ريم":أيّ أنه كان على صواب وهي حساباتها كلها خاطئة.

بتهكم وسخرية وحنق قالت "مريم": أنت! تلقين باللوم عليهم من البداية للنهاية وتصفينها بالخاسرة وهو الفائز. فهمتك!

"ريم" ترتبك وتتشكك في أن تكون بالفعل "مريم" تدرك ما تعني "ريم" وما خلف كلامها فتنظر لها بترقب وتشكك

"مريم" وهي تهُزّ رأسها وبغصّة في كلامها: أنت تكرهين نموذج أُمَّك وتفضلين عليه.... أنا مشفقة عليها، -"ريم" مقاطعة وكأنها لا تَوَدُّ أن تسمع ما ستقول- أنا مشفقة عليها يا "مريم".

بمرارة "مريم": وطنط "سحر" تعجبك؟!

في تلك اللحظة يدخل "كريم" وهو منشرح الصدر يبتسم ابتسامةً عريضة وعيونه تلمع بالفرحة والانتشاء مبتهجا عائدا من الخارج: وعليكم السلام أخواتي

ولكن يتعجب من هيئة اخواته ونظراتهم لبعضهم البعض ويظل يتفحص وجوههم بفضول بينما تفضل "ريم" أن تغير دفة الحديث فتهمهم بكلام غير مفهوم محاولة أن تنبه "مريم" بالا تكمل حديثهم بينما "مريم" تلتفت منسحبة من المكان وهي تجر قدميها باتجاه باب الغرفة في صمت متأثّرة ومتململة بينما "كريم" يقف

بين الاثنين لا يدري ماذا يفعل ينظر لـ "ريم" تارة ولـ "مريم" أخرى وهو متعجب ينتظر لو يشرح له أيّا منهما ما بهم و"مريم" تخرج من الغرفة واجمة رأسها مثقل تكاد رفع رأسها بعناء وعيونها مليئة بالاسى والضيق وتحملق أمَامها في الفراغ باسى يهرول خلفها "كريم" ويمسك ذراعيها ويهم بسؤاله عما بها يتناهى إلى أسماعهم فَجْأةً صوت ضحكات أبيهم وزوجته يعقبه صوت انصفاق باب الشقة وصوت أقدامهم يتباعد عن المكان يتبعه صوت آخَر لموتور سيارة تدار يتناهى صوتها من بعيد فيلتفتا لبعضهما البعض ولا يعقبان "كريم" يرفع حاجبيه بلامبالاة بينما "مريم" تخفض نظرها وهي تسترجع امرا لم يكد يبعد وتبلع ريقها وهي تطلق زفرة بخيبة امل وتسير إلى الداخل "كريم" ينادي عليها بلوم فتلتف وبِنَبْرةٍ حانية سأعود حالا يا "كريم" فيومئ برأسه متفهما ويُلقي بجسده على الأريكة مسترخيا وهو يستعيد حالة الانشراح التي دخل بها ويبتسم بابتهاج ثم ينتبه إلى "ريم" بالداخل فينادي عليها هي الأخرى قائلا

"كريم": ريمو؟

يأتي صوت "ريم" من الغرفة يداخله تململ وحزم "ريم": اتركني الآن يا "كريم"

"كريم" مستغربا: أوك براحتك!

وينظر باتجاه دخول "مريم" بفضول واستنكار معًا وهو يضرب كفا بكف ويبتسم مازحا وقد راق له على ما يَبْدو أنه بات عدم الاطلاع كما في السابق على مشاجرات اخواته أولًا باول فيبتسم باستياء ولامبالاة ومه وقع اقدام "مريم" مقتربة من الصالة ينتبه لقدوم "مريم" من الداخل فيرسم الجدية على وجهه ويترقب مجيئها ويصطنع حديثا فيميل للخلف وهو يقول

"كريم": النتيجة قربت تظهر

"مريم": 37 يوم

ربنا يستر

"كريم": اطمئني ولا تخافي، إن شاء الله ستحصلين على مجموع كبير

وتظهر "مريم" وتظل واقفة في جانب من المكان قُبَالَةَ "كريم" وتبدو بهيئة واهنة مرهقة

"مريم": دعواتك يا "كريم"

"كريم": تعالى مالك؟

سأذهب غدا لماما هل تأتين معي

"مريم": أرجوك

خذنني من هنا

وتظهر "ريم" من جانب الباب تنظر عليهم بلوم فيتجاهلاها

في اليوم التالي توقفت السيارة بجوار سوار حديقة بيت جدي

ذهبنا إلى أمي بالفعل وما إن توقف "كريم" بالسيارة حتى هبطت منها وانا أحمل حقيبة صغيرة من الملابس وتبعتني "ريم" وجدنا تيتا "أنوار" تجلس في جانب من الحديقة بصحبة خالي صالح و"إبراهيم" جلسنا معهم قليلا "كريم" ربما من سيظل معهم كعادته! صعدت السلم أُسابق الوقت والهواء المار بجواري والّذي أتنفسه، وما إن وصلت إلى الباب حتى وجدت وجه أمي فارتميت في حضنها وتماسكت لكيلا أبكي؛ فربتت على كتفي وهي تقبلني وعانقت "ريم" بشوق وأغلقت الباب في برهة تبادلنا أنا و"ريم" نظرات اللوم والاتفاق على الا نخبرها فابتسمت "ريم" وارخت أسارير وجهها المتوتر وبدأت تداعب ماما كعادتها بامتداح جمالها وشياكتها بينما أنا ظللت صامتة ارسم الابتسامة على وجهي عنوة حتى لا تلمح أمي ما بداخلي ولكنها تحس بي جَيِّدًا وبريم وبـ"كريم" فهي مفرطة في رقتها واحساسها بمن حولها ارخت نظرها وابتسمت علمت أنها أدركت أن شجار وقع بيني وبين "ريم" أعرف تلك النظرة وتلك اللزمة فبادرت بسؤالنا وهي تنظر لوجهي مباشرة أنا و"ريم" هل من أكلة معينة تودون تناولها اليوم؟! سؤالها المعتاد أدركنا على الفور أنها لن تتحدث في أسبَاب الشجار رحبت بذلك "ريم" بشدة وقفرت في مكانها وهي تتجه إلى غرفة نومنا وهي تقول سأبدل ملابسي

وبقيت أنا بمفردي مع أمي وجودها يعيد ترتيب كل شيء بداخلي وجدتها تتأملني بحنو بالغ فاقتربت منها وارتميت في احضانها ومن ثمة هبت قائمة وهي تقول سأعد لي قهوة ولك عصير؟ فقلت لا سأشرب نسكافية فضحكت بصوت مرتفع وقالت في هذا الجو الحار يا "مريم"؟ فأومأت مؤكدة وأنا أبتسم واتجهت إلى المطبخ وتبعتها أنا بدوري.

ضحكت بصوت عال حتى تسمع "ريم" أنّنا لا نستثنيها بأي حديث في غير وجودها، أمي شديدة الحساسية والذكاء واللطف والرقة، صفاتها تلك جلبت إليها المعاناة لم يقدرها حتى أختي التي تبدل ملابسها داخل غرفة نومنا في بيت أمي، أمي التي تعيش هنا ملكة بين أهلها الجميع يقدرونها بينما أختي تصف حياتها هنا بأنّها تقبع في بيت أهلها! وأن إخوتها سيخذلونها مثلما فعل بها الزوج السابق الّذي هو أبي وذلك لأنها متسامحة وحنونة وعواطفها جياشة!

ولكن هل لم تفكر أمي لما يقابل صنيع طابعها بالنكران والاساءة لِمَ لا تقلل منها وتنزل إلى نهج غالبية البشر! أنا مقتنعة أنا الارق والأفضل ولكن معاناتها ونكران فضلها يهزني بشدة ويصيبني بالخيبة والخوف عليها ومن الناس ارتبك ولكني لا أرَى أحد أفضل منها كما هو الحال مع أختي!

هل سيخذلها إخوتها كيف ستتصرف أن حدث ذلك معها؟ لن يحدث أو ربما يحدث أن اولى بي أن أهتم وأفكر في كيف علينا الا يخذلها أنا وإخوتي

ريم قد خذلتها كما لا أتصور أن أمي لا تعرف وتحس بما تفكر فيه "ريم" وتزن به الأمور الآن

الكارثة أن تدرك أن "ريم" ترى زوجة أبي نجحت بينما هي فشلت في الاحتفاظ ببيتها وزوجها؟!

انها صدمة كبيرة أعرف أمي أن شعرت بهذا أو تأكدت ستصمت لن تتكلم

قطع سيل خواطر "مريم" صوت "ريم" من داخل غرفة النوم

صوت "ريم": أخرجي من حقيبة الملابس البنطلون الأحمر

"مريم" بتململ وضيق: نسيت أن أضعه

صوت "ريم": إنه بالحقيبة فقط افتحيها وأحضريه!

"مريم": وهي تلتفت إلى المطبخ على أمها "حاضر"، وهي تهم بفتح الحقيبة ببطء. تعبر نسمة هواء فواحة تحمل مزيجًا من روائح الزهور وأوراق الشجر، فتحات النوافذ المشرعة على الحديقة وبدت الجدران بدرجة لون أفتح يميل إلى الكريمي منه للبيج الدافئ تهتز الستائر الشفافة وتتماوج أوراق الزهور في إصيص بجوار زاوية عمود قريب من باب الشقة جانب ويتحرك اغلفة الكتب بالرف الأعلى من المكتبة المواجهة للنافذة من

يسار المكان تميل "مريم" وتضع صينية عليها كوبان من الصيني الملون بيد محنية بنصف قوس تعلوهم رغوة كثيفة من الكريمة، ينتبه "كريم" المسترخي على الأريكة وهو مستغرق تصفح النت من على تلفونه بين يديه

"مريم" وهي تجلس في الكرسي المواجه للأريكة

"مريم": اللاتيه يا "كريم"

"كريم" وهو يرشف: تسلم ايدك

"مريم": تعالى نجلس ونتناوله في الحديقة

"كريم": لما اقارب طنط "سحر" يغادوا

"مريم" مردفة وقد تذكرت وباستدراك:

معقول؟! مازالوا هنا

"كريم": نعم

"مريم": أنا من فتحت لهم في الصباح قد أتوا مبكرًا، أمها وابنها "إبراهيم".

"كريم": عادي نجلس هنا

"مريم": لا شيء فيها، تعالي نخرج إلى الحديقة، هم بالداخل في الشقة الكبيرة ونحن بعيدًا، ثم هل نحن صغار سنزعجهم؟!

"كريم": لا ولكن لا أُريدُ أن أُثير غضب أبيك، أنا محتاجٌ لمبلغ من المال، وتقريبا كالعادة عليّ أن أتجنب ثورته وغضبه، وكما تعرفين نوافذ الشقة مطلة بالكاملة على واجهة الحديقة من

ناحية الشارع الثاني كله. "مريم" باستدراك وهي تبتسم:ماذا ستفعل بالنقود؟! انتظر حتى تظهر نتيجتي لأني طلبت منه عدة جديدة. "كريم": آيفون! قلت لك لا يناسبك ولن يريحك عن تجربة صدقي!

"مريم": ولكن شكله أنيقٌ وعندما أدخل الجامعة أحتاج له لزوم المظهرة، وتضحك مازحة ويبادلها "كريم" الابتسامة بترقب وفي جدية. "كريم": لعبة المظاهر لا تنتهي، ما أن تبدأين تجدين نفسك تتطلعين إلى آخَر وآخر وصولا إلى السيارة ثم على قضاء إجازة الصيف خارج البلاد أم داخلها مثل عامة الشعب!

تضحك "مريم" بشدة وهي تكرر ما قاله بإعجابٍ ودهشة: عامة الشعب! "كريم": هناك الكثير ممن جنى عليهم حب المظاهر، البعض اضطر للكذب والبعض الآخر كلفوا أنفسهم ما لا يطيقون ليظهروا كما تمنوا أو أخبروا به. وتسببت في عقد لاخرين

"مريم": عقد؟!

"كريم": نعم، وحقد وسخط نقمة على ظروفهم وطبيعة معيشتهم ومستواهم، لعبه قذرة.

"مريم": ليست لعبة كما تصف، هي رغبة في الظهور بمظهر مُرضٍ للشخص ذاته وأن يبدون في عيون من حولهم في صورة جيدة ولامعة.

"كريم": ارهاق على الفاضي

كل واحد يجب أن يكون نفسه وفي النهاية ما عليه كل منا هو الّذي ينكشف ويبقى لينكشف ويعرف أمَام من حوله فلما التحايل ولما التعب وبِنَبْرةٍ نصح عندما لمح الاهتمام والانصات الكبير من "مريم" والاقتناع في عينيها اللامعة التي تتأمله بإكبار وتصديق

"كريم": قدمي نفسك وعلى الآخرين أن يتقبلوك كما أنت أو يرحلوا لا تحاولي أن تلفتي انتباه أحد لك ببساطة قد تنجين ثم ينصرفوا لأخرى تبذل مجهول أكبر في لفت انتباههم وهكذا ولن ينتهي السباق المزيف والمرهق من قبلك كما أنت اتخذيهم أصدقاء ومنهم، اختاري الأنسب لك والأفضل والبقية زملاء دراسة، ما إن تدخلي في تلك الدائرة فستتعبين وتخسرين وقتك وجهدك وتركيزك ثم أنت طالبة في الاول والاخر

فتبتسم وهي تؤمئ برأسها في تصديق واقتناع وبدعابة تقول هايلة تلك المحاضرة في اشارة إلى أنه ينصحها

فيبتسم وهو قائلا: احنا بندردش، ثم من كان سيخبرك؟ أنا من جربت، ثم ألا تدرين أن من هو أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة؟ ما بالك وأنا أكبر منك بثلاث سنين؟ فتضحك – ويردف "كريم": ادخلي أحضري الآلة واحسبي؟!

ويضحكان ويقطع حديثهم الودي صوت ضحكة صاخبة قادمة من ناحية غرفة نوم "ريم" و"مريم" فينظرا لبعضهما البعض

باستياء ودهشة معًا فيهب "كريم" و"مريم" تحاول أن تثنيه ويتجه مباشرة إلى غرفة "ريم" و"مريم" وينظر بداخلها في اتجاه الصوت الّذي تستمر "ريم" في التحدث في التليفون ويتخلله ضحكاته متقطعة ومتلاحقة وبدون كلام منه ينظر لها غاضبا و"مريم" تتابعه بترقب وقلق وهي تزمّ شفتيها وتهُزّ رأسها بقلق تتابع ما يجري بحذر ويعود "كريم" ويجلس من جديد وهو ينظر باستياء ويرفع الكوب مُجَدَّدًا ويرشف منه قليلا في محاولة لاستعادة هدوئه ويأتي صوت "ريم" من الداخل وقد اتخذ صوته نبرة جادّة وهادئة فينظر "كريم" لـ"مريم" بتعجب ولوم على "ريم" فتبتسم "مريم" متعجبة هي الأخرى وترفع كوبها

وهو يشير بإصبعه على الغرفة قاصدا "ريم"

"كريم": انهم يمثلون الحب كلام بالساعات

وشجارات لا تنتهي ومعرفة قريبة لم يمضي عليها أيام وتمت الخطبة وتلاها الحديث بالساعات في التليفون؟!

انهم يمثلون الحب على بعضهم البعض

"مريم" تنصت بترقب وتتظاهر أنها تتلذذ باللاتيه ومستغرقة في تناوله وقد اصابت كلماته وصادفت شيء بداخلها فتتظاهر بأنّها لا يعنيها

"كريم": الصادق فقط في تعاملهم مع بعض انهم يتشاجرون

انما الحديث والاشواق والحنين والآهات فكلها مزيفة

"مريم" تحملق في وجه "كريم" فيتراجع في حديثه وهو يقول هذا رأيه

ويحاول أن يقول ما يظن أنه ثناء على العلاقة بين "ريم" وايمن خطيبها ولكنه يقول بحزم وجزم ولكن هذا ليس الحب

"مريم" تبادره بالسؤال متظاهرة أنها غير مهتمة

وما الحب؟!

فيرد بتلقائية

"كريم": الحب يسبقه المعرفة هل يحب أحدنا شخص لا يعرفه

"مريم": هذا حدث ويحدث

"كريم": ويبدأ مشتعلا وكبيرا في بدايته؟

"مريم": ماذا؟!

"كريم": الحب يولد صغيرا ويكبر

اي أثنين مخطوبين هذه الأيام الحب يولد قبل قراءة الفاتحة

"مريم" وهي تبتسم مازحة بينما "كريم" يتكلم بجدية وحنق واستنكار

قد يكونا قد أحبا بعضهما البعض بالفعل

"كريم": لا أظن هذا

"مريم": أن لم يكن يحبها لما اتى ليخطبها

"كريم" ضاحكا المحبين لا يتزوجون

"مريم" يسئها ما سمعت فتبتلع ريقها بصدمة وتأثّر وتخفض نظرها وتدور الأفكار في رأسها بينما "كريم" يواصل حديثه بِنَبْرةٍ المحلل للموضوع

"كريم": للأسف طبعًا الحب لا يصل لأبواب البيوت

اغلب من يشرعون في الزواج الآن اسراب تتدافع في موسم التزاوج لتلحق دورها لا أكثَر وزيجات غير متكافئة ولا ناجحة، شبه حياة وشبه حب، ولكنهم والمثير للدهشة والملفت للانتباه أنهم يعرفون كيف يواصلون عملية التمثيل، انهم سعداء ويغرقون في حب بعضهم البعض. انهم يتقمصون دور المحبين هروبا من الحقيقة انهم تسرعوا أو لان بعضهم ترك من يحب وفضل أن يتبع سياسة القطيع يتقدم لبنت أن تم الموافقة يتفقوا على متطلبات الزواج وخلافه ويتزوجوا ظنا منهم أن هذا الانجح فأغلبهم يستقر بداخلهم أن هذا هو الاقرب إلى النجاح والامن

"مريم": واين هم من يحبون؟!

"كريم": موجودون

"مريم": لِمَ لا يتزوجون من يحبون

"كريم": الظروف أكيد في أسبَاب مثل الظروف التي لا تسمح

"مريم": ولما تسمح الظروف دايما لمن لا يحبون بأن يتزوجوا

"كريم": ظروفهم تسمح

"مريم" محتدة وبمرارة كذب وخداع من يحب أحد سيفعل ما باستطاعته ليرتبط به لا يحبه لوقت ويختفي ليذهب ويتزوج أخرى لا يعرفها ولا يحبها ويمثل هو وهي كلا أمَام أهله والمحطين بأنّهم غارقين في غرام بعضهم البعض

انهم مرضى وحقيرون

"كريم" ينصت لـ "مريم" بدهشة وتأثّر وفضول

"مريم" تحاول تهدئة نبرة صوتها وحدتها وهي تراقب عيون "كريم" التي تتفحصها بقلق وترقب وتحاول أن تبتسم لإضفاء مسحة من أنه ابداء للراي لا أكثَر ولكن "كريم" يتفحصها بترقب وينصت باهتمام غير ما كان يتكلم بهدوء وبترتيب

"كريم": أحيانًا البنت تكون السبب في أن ينصرف الشاب عنها ويخطب أخرى

"مريم" وتستلم لطبيعة النقاش وتبادل الآراء وتتجاهل أن يسيء "كريم" فهمها ويرحب هو من نظرات عينه بذلك وتتبدل نظراته إلى الحوار المتبادل والقبول منها حدتها وثورتها

"مريم": لا خطأ

"كريم": أنا شاب وأقوُل لك هذا عن تجربة أصدقاء كثيرين

"مريم" باستنكار: كثيرين؟!

"كريم": هذا ما حدث ويحدث

"مريم": ولما يترك الشاب من يحب ويخطب أخرى لا يحبها ولا يعرفها

"كريم": البعض يخاف من الحب

"مريم": وهل هناك أحد يخاف من الحب، وهل الحب يخيف؟!

"كريم": الحب طوق حول عنق الرجل لا يحب أن يكون موجودا يلزمه ويقلق ويوجهه وهو كثقل عليه يرغمه على فعل الكثير مما يود لو يتصرف على حريته

"مريم": لا أفهم

"كريم": الحب يقيد البعض ويشعره أنه ملك للتي يحبها

"مريم": ألا يرضيه أنه قد امتلكها وتحب منه أن يمتلكها هل هذا الشعور لو لم يوجد ألا يغضبه؟

"كريم": يحبه ويحرص عليه عندما يكون له أمَّا منه فيوجد من لا يريد هذا ويهرب منه

"مريم": ويرتبط بمن لا يحب؟!

"كريم": للأسف

"مريم": وهل يكون سعيدا معها

"كريم": الحب عندنا مختلف عنه لديكم يا "مريم"

"مريم" بحنق وضيق ولمَ يا "كريم"؟!

"كريم": لعلمك هناك بنات لا تفضل الزواج من الشاب الّذي تحب أيْضًا

"مريم": انهم قلة

"كريم": قلة موجودة قد يحب شاب ما واحدة من تلك القلة وتجعل حياته جحيم عندما يحبها ويجدها ترفضه وتتهرب منه وتذهب لآخر لأسبَاب متعلقة بها هي، أخبريني ما هو شعور هذا الشاب؟!

وتتلاقى عينا "كريم" و"مريم"، ويبدو من تلك اللحظة التي تلاقت أعينهم فيها أن كل واحد منهما قد علم أن موقفه تجاه الحب يمثل تجربته هو. بصوت متحشرج تَرُد "مريم":

كلنا نسيىء إلى الحب عن قصد ودون، فيقاطعها "كريم" بحزم وتأثّر وتأكيد "كريم": لا، كل ما يتم يكون بقصد؛ فما من أحد يعيش مشاعر الحب ويتخلص منها ويدير لها ظهره عن عدم قصد وعن علم وتخطيط مسبق، كل منا يعرف ماذا يفعل. "ريم" تعرف ماذا تفعل ولكن الّذي لاتعرفه أنها على خطأ ولن تجد السعادة التي تتقمصها الان. "مريم" تحملق في وجه "كريم" مشدوهة!

"فؤاد" يتكئ على الأريكة مسترخيا في بيجامته القطنية فاتحة اللون ويعتدل في جلسته ببطء ووهن والأدوية متناثرة على الطرابيزة أمَامه بجوارهم كوب من الماء به بعض الماء المتبقي منه وبجوارهم تلفونه الّذي يرمقه بترقب ولامبالاة معًا بينما "مريم" تدخل شرائط الدواء إلى علبها مُجَدَّدًا و"سحر" قادمة من

الداخل تجفف يديها بمنديل وتنحني جانِبًا وتلقى به في السلة وهو يرمق التليفون وبعدما تنفد "مريم" من ترتيب العلب المبعثرة والاشراط إلى علبها ثانية تنتصب "مريم" في مكانها وهي تتأمل وجه أبيها وهيئتها بتأثّر وود قائلة بِنَبْرةٍ تَهَذُّب جم مرم: بابا؟ وهي تحاول مساعدته ليعتدل مرتاحا في مكانه فيدفع نفسه ويعتدل معتمدا على نفسه فيقشعر جبهته متألما فتنظر "مريم" مرتبكة إلى الجوار في التماس لمساعدة تبادر بها "سحر" لا جدوى وتلمح الضيق على وجه أبيها والانزعاج فترتبك وتسرع بالانصراف لتتركه ليرتاح

مُجَدَّدًا "مريم": بابا؟

بضيق وحنق "فؤاد": ماذا؟!

"مريم": ألف سلامة يا بابا عن إذنكم.

تصبحون على خير

لا يرد "فؤاد" ومازال منزعجا ينظر أمَامه بنفاد صبر ويزفر بضيق مكتوم تسارع "مريم" بالانصراف

وتكرر وهي تتلعثم "مريم":

تصبحون على خير

"فؤاد" يؤمئ برأسه ولا يرد

"سحر" وأنت من أهله

تخرج "مريم" وتغلق الباب خلفها في هدوء متجهة مباشرة إلى الشقة المقابلة ويتناهى إلى سمعها صوت ضحكات مكتومة لـ "كريم" و"ريم" فتغلق الباب بسرعة وقد ساورها الفضول والترقب وما أن تدخل تنظر لهم بدهشة وتعجب بينمها "كريم" و"ريم" ينبتها لانغلاق الباب فينفجرا في الضحك فتبتسم "مريم" وهي تنظر لهم متسائلة ومستنكرة

"كريم": أنا استغربت أيْضًا

"ريم": أشفقت عليه بشدة وهي تحاول استعادة شيء من الجدية ولكنها تضحك

وهو يضحك "كريم": كاد طبق الشوربة يسقط على ملابسه!

"مريم" تكتم ابتسامة وتنتبه لما يتحدثون عنه فتهُزّ رأسها في استنكار وهي تنظر لوجه "كريم" و"ريم" بلوم فيضحكان من جديد فتستسلم هي الأخرى محاولة كتم ضحكاتها

"مريم": صه صه وهي تنظر لـ "كريم" تارة وثانية لـ "ريم" وهما يتجاهلاه أمَام سيطرة الضحك عليهم

"كريم": احرجته

"ريم": هو مخطئ أنه يفرط في الدلال ويحب المبالغة

"كريم": هي عملية ويضحك وهو و"ريم"

"مريم" تتأملهم وهي تضحك تتمنى لو يتوقفا لكن بلا جدوى

"ريم": بابا يفكرني بعبد الحليم

"كريم" و"مريم" يضحكان

خاصة لما كان يظهر في ادوار يؤدى دور البائس المسكين يقشعر جبهته ويهز يديه ويرخى جفنيه وينظر بعيون نصف مفتوحة

"كريم": بينما هي تتصرف كالآلة وضعت الطعام أمَامه وتركته لتصرف كأنها تقول دبر أمره

"ريم": حتى قطعة الفراخ لما سقطت من يده وقعت مباشرة في طبق الشوربة لم تهتز

"كريم": كفاية اهتزازه هو

"مريم" و"ريم" تضحكان

"ريم": كان في غاية الحرج مننا لو كنت هممت أنا وساعدته في تناول الطعام لثار

"كريم": وهاج وماج كالعادة عندما كنا لدى الدكتور كاد يصفعني أمَامه وبمرارة وضيق

عادته المفضلة توبيخ واهانة أمَام الجميع! الدكتور نظر إليه مذهولا

"مريم" و"ريم" ينظرا لبعضهما البعض بتأثّر ومن ثم تحاول "ريم" استعادة دفة الحديث قائلة و"مريم" هي الأخرى تشجعها بنظرات التشجيع وتبتسم

قائلة "ريم": طنط "سحر" ضبطت كفتى الميزان

"كريم": فعلا ولكن كان يجب عليها أن تساعده!

رغم أن ما يعاني منه حسب الطبيب هو اضطرابات معوية بسبب اسرافه في تناول طواجن اللحوم والخضار كثيرة الدهون

"مريم": طيب وماذا سيأكل

"ريم": كل حاجة ماعدا هؤلاء

"كريم": ولكن طنط "سحر" لا تحب كافة انواع الشوربات

"ريم": والعمل؟!

"كريم": يأكل ما تجود به

"مريم": ليس لها حق!

"كريم": أعدَّت شوربة بالفعل له ولملابسه

ثلاثتهم يغرقون في الضحك

"كريم": تدهشني بكونها عملية ولا تعترف بحركات العندليب

"مريم": عندليب؟!

"ريم": بابا يقصد

"كريم": كان يظن أنه سيظل يتدلل للنهاية من كانت تحتوي لزجته ذهبت

"مريم": لزجته!

"ريم": هل تحتاجين شرح أنه يقصد؟! أجيبي؟

فينفجروا ضاحكين

تقدم الغروب وأخذ ضياء الشمس في الرحيل يلملم اضوائه ويدلف نسيم خفيف تهتز على إثره أوراق الشجر في الحديقة التي تكشفها النافذة بينما "سحر" منكفئة على دفترها المزركش مستغرقة في الكتابة وهي مددة على الاريكة تتنهد وهي تكتب ثم تتوقف على إثر تداخل الحروف فقد ضعف الضوء في المكان فتضع الدفتر وهي تنظر مباشرة لمفتاح النور تقوم متململة وتجلس ثانية على إثر دوار الم بها فتسترخى في مكانها وتتنهد وهي تزفر بوهن وتفتح عينها بصعوبة وثقل وتبتلع ريقها بمرارة وغصة وتحاول أن تسعل لتبدل مذاق اللعاب في فمها جاهدة تسعل وتبتلع ريقها وهي تحاول القيام مُجَدَّدًا

تنتبه على طرقات على الباب تقوم بوهن من مكانها تجد "مريم" فتبتسم في وجهها وتفتح الباب تدخل "مريم"

"سحر": تعالي يا "مريم"

"مريم": طنط "سحر"، ممكن دورق العصير؟

"سحر": عايزاه حالا؟

"مريم": يعنى لو جاهز يا ريت. بارتباك وتبتسم "سحر": طيب ثواني. "مريم": حاضر. وتومئ برأسها.

تظل واقفة مكانها تتجول بعينيها في المكان بمرح وأثناء ما تلتفت باتجاه النافذة تلمح اسفل منها على الطرابيزة دفتر الدفتر المزركش الّذي سبق ورأته فتبلع ريقها ويساورها الفضول

فتلتفت حيث دخلت "سحر" ناحية المطبخ لتتأكد أنها لن تعود وما طمأنها صوت الخلاط وهي تعد العصير وحركاتها المتلاحقة في فتح وغلق الدورق وتشغيل الخلاط وصوته وهو دائر فتهرول مسرعة على أطراف قدميها بحرص وترفع الدفتر وتفتحه بسرعة وتقلب ورقاته بتعجل وهي متوترة تنظر تارة باتجاه المطبخ حيث دخلت "سحر" وتارة في الصفحات التي تقلبها بسرعة وتلتقط عينها بعض الكلمات وتبطئ من حركة عينها وتتوقف أمَام السطور سريعا وتنظر له بريبة وفضول وتلتقط عينها كلمات متفرقة من كل صفحة، الصفحة التي فتحتها أولًا كلمة "فؤاد" فتقلب الصفحة مسرعة فتلمح يوم السبت الماضي وتقلب فتلمح كلمه "ريم" وتقلب فتجد صفحة بيضاء خالية من الحروف تغلق الدفتر بسرعة وتضعه بحرص في مكانه وبنفس الوضعية وتجري على أطراف أصابعها وتجلس بجوار الباب وهي تتظاهر بأنّها تعبث في زخرفة إطار برواز خشبي قريب من الباب حتى أن "سحر" عندما عادت لم تلتفت وظنتها "سحر" مستغرقة فاقتربت منها وسألتها باهتمام: هل به شيء؟ شرخ؟

"مريم": لا ولكن

فتقترب "سحر" وتنظر عن قرب فتومئ برأسها قائلة:

لقد سقط بعضا من لونه الذهبي؟

فلم تلتفت "مريم" وظلت تمسح على الإطار باهتمام وهي تَرُد

فقد قليلا ظننته أخذ اللون الابيض ولكنه سليم والإضاءة هيئت لي أنه كسر لكنه فقد درجة من لونه الذهبي اللامع

"سحر": غير ظاهرة جليا فقط تكون واضحة لمن يتأمل فيه عن قرب

"مريم": فعلا

"سحر" لا تشغلي بالك، العصير ها هو

"مريم" شكرا ياطنط وتخرج "مريم" مسرعة في الية وتغلق "سحر" الباب بتلقائية وهدوء

"مريم" تهرول باتجاه المطبخ غير عابئة بإخوتها في الصالة وتدخل مباشرة إلى المطبخ تضع العصير على رخامة المطبخ وتنظر أمَامها مشدوهة يملا الفضول والتوجس عينها وهي تمتم مذكرات؟ أنها تكتب خواطرها في هذا الدفتر الّذي رأيته على الطرابيزة من قبل وتحت النافذة وكثيرًا ما رايتها تطل منها هي تجلس عليها وتطل من النافذة ذلك الركن مكانها المفضل اذن ماذا يكون في تلك المذكرات اسم أبي و"ريم" ويوم السبت الماضي!

انها تدون أيْضًا خواطرها بالتواريخ! ماذا هي كاتبة فيه؟

تلمع عينها بالأفكار وهي تحاول دفعها ولكن باستسلام وعزم تهمس قائلة

"مريم": أُريدُ أن أقرأ ما كتبت؟!

تناهي إلى سمع "مريم" صوت "كريم" و"ريم" من الصالة فتقوم بصب العصير في عجالة وهي تَرُد "مريم": حالا حالا!

صوت "كريم": هل تفككين الذرة؟!

صوت "ريم": بطيئة لدرجة الملل والغيظ أنت ستقومين بصبه فقط "مريم" من مكانها لا تَرُد وتنظر باتجاههم بتوتر وبلامبالاة ترفع الدورق وتصب كوبان لمنتصفهم من العصير وتضيف أكثَر حتى يمتلئ وتهم بالخروج من المطبخ وتهرول باتجاه الصالة تقرب العصير تضعه أمَام "كريم" و"ريم" على الطرابيزة وتجلس متكومة في مكانها وسط نظرات السخرية والضيق منها ويرفع "كريم" كوبه و"ريم" أيْضًا ويحتسيان العصير ويعاودا مشاهدة التيليفزيون بينما "ريم" تغرق في فكرها وتنظر لأخيها واختها بترقب وكأنها لأول مرة تراهما وتلتفت إلى التيليفزيون، تثبت نظرها عليه متظاهرة أنها منشغلة في المشاهدة ومسيطرة عليها فكرة واحدة؛ أن تجلب الدفتر وتقرأه. ترمق "ريم" بطرفها قد تود لو أن تخبرها ولكنها تلتفت نحو شاشة التيليفزيون بحزم وتتنهد بتوتر وتتقافز في رأسها الأفكار تقوم من مكانها متجهةً إلى غرفتها بينما "ريم" و"كريم" مستغرقان في التعقيب على إحداث الفيلم الّذي تتردد الخلفية الموسيقية للأحداث وتتداخل بين فواصل الحوار بين الممثلين

"مريم" تقفز على سريرها وتحضن ركبتيها بذراعيها وعينها تفيض أفكار وخواطر في جو من الحيرة والتوتر تفرك جبهتها وهي تحاول دفع الأفكار واسكات صوت ما ربما ينهاها وتغرق في الشرود والأفكار ثانية

تفرد "مريم" قدميها وتستند للخلف وتقوم بشبك ذراعيها معًا وقد هدأت أسارير وجهها وأخذت تهُزّ رأسها وهي تحاول ترتيب أفكارها وبداخلها عزم على الاطلاع على ما في الدفتر.

أثناء ذلك يرن هاتفها ترفعه فورا وهي تَرُد "ندى" أهلا ندنودة وتنصت ثم تَرُد غدا! ... اوك تنوري سأنتظرك، وإياك أن تتخلفي مثل المرة السابقة.....اوك باي

وتهمهم "مريم" بضيق ما كان وقته أبدًا يا"ندى"! وتعبث في التليفون برتابة

تظهر "ريم" داخلة من باب الغرفة تنظر لـ "مريم" ساخرة وهي تضحك وتقول: لن اقطع خلوتك مع ذاتك وأشواقك! فقط جئت لآخذ تلفوني، وتكتم "ريم" ضحكها فترمقها "مريم" باستنكار متعجبة وتقول: أشواقي؟!

فتومئ "ريم" برأسها بتأكيد وتنظر في عينيها نظرة ذات معنى تدركها "مريم" فتَرُد عليها بلوم ساخرة

"مريم": تركنا الأشواق لكِ اشبعي بها

"ريم": لذلك جئت أأخذ تلفوني لأجدك تتحدثين في التليفون!

"مريم": كنت أردّ على "ندى"

"ريم" تتأملها بتشكك مداعبة ولكن "مريم" تتجاهل نظراتها وتزفر بضيق واستياء

"ريم": اتصل بكِ؟

"مريم": كل يوم تفتحين هذا الموضوع؟! قلت لك انتهيتُ منه.

"ريم": لما ياغشيمة؟!

"مريم": شكرا

"ريم": رني وأغلقي الخط ستجدينه هو يتصل.

"مريم" بسخرية وهي تضحك باستياء: تقصدين أذكره بي؟!

"ريم": ممكن. "مريم":

ريم"! لا تثيري غضبي وأغلقي الحديث في هذا الموضوع تمامًا

"ريم": وآخرتها يا "مريم"؟ لمَ تعاقبين نفسك وتعذبينها؟!

"مريم": أنا؟ وبحزم من يريد أحدًا هو الّذي يذهب إليه ولا يحتاج إلى تذكير، وهل بالمرة سأعلمه كيف يهتم بي ويحافظ على شعوري ولا يهملني وألا يثير غيرتي لابتزاز الاهتمام منّي بينما هو لا يكلف نفسه بأن يهتم؟!

وأن أتقبل عيوبه بفخر وفرح وهو يحاسبني على الكلمة؟!

"ريم" تنصت بترقب ولا تَرُد

"مريم" سأغلق قلبي أفضل رحمة بقلبي وكرامتي

"ريم": الحب ليس حرب بين أثنين يا "مريم"!

"مريم" ولا هو معمل وحقل تجارب للعواطف وينقلب من حيث لا تدري أن اعترضت على ما لا يروقك سلخانة للقلوب لتركيعك وابتزازك وسلب اراداتك

"ريم": من قال هذا؟! وترتبك قليلا ربما ثمة ما استرجعت من امور ما

وفي محاولة للتأثير عليها تبتسم بدلال قائلة

لو كان هو الّذي أتصل بك وليس "ندى" ما كان هو شعورك اذن؟

تنظر لها "مريم" مشدوهة وتطوف اللهفة بحدقتي عينها ولا تَرُد

"ريم" تشعر بها وتتفهم ما تقول فتبتسم بِوِدٍّ وتخرج بتأودة متجهة إلى باب الغرفة بينما "مريم" تقاوم الانزلاق لخاطر تقاومه وتعاود التفكير فيما بات مسيطرا عليها كيف تحصل على الدفتر!

تنبهت "مريم" إلى أن "سحر" تقوم بكتابة خواطرها في الوقت الواقع بين العصر والمغرب لقد لمحتها مرات في الحديقة في هذا التوقيت تراءى إلى ذهنها أنه انسب وقت لتفتعل سبب لتدخل هناك ومن ثمة تأخذه ولكن كيف ستأخذه منها هل تجذبه من بين يديها؟! أخذت تفكر كيف لها أن تحصل على دفتر المذكرات

اندفعت وتراجعت كيف ستحصل عليه منها وهي لا تعرف مكان اخفائه هل ستذهب إلى الشقة في غياب "سحر" وتبحث عنه وتأخذه؟! تهُزّ رأسها بضيق واستنكار قائلة

"مريم": أنا لست حرامية لأدخل مكانها وأفتش فيه

ويوقفها خاطر وصوت داخلي يرد عليها ولما تحاولين أخذه من الاساس

ف تَرُد وعينه تمتلئ جدية وحزم لقد قرأت أنها تكتب عنّي أنا وإخوتي وبابا أيْضًا! تقولها بغير اهتمام يبدو أن ما يهمها مضمون المذكرات وما تكتبه عنها هي وإخوتها فتطرد على إثره أيّ خاطر يثنيها عن أن تأخذ الدفتر وتستغرق في التفكير كيف ستحصل عليه من الشقة وبدون أن تفتش أو أن يكون هذا في غياب "سحر"

تستند للخلف في سريرها وهي تدبر كيف تنفذ هذا وبتلك الكيفية تلتفت يمينا وتنظر في ساعة الحائط المعلقة على جانب الغرفة الساعة الحادية عشرة مساءً تَرُد وهي تنظر لقرص الساعة سأحاول غدا وسوف أأخذه وهي بالمكان ولن أفتش عنه لن أفتش عنه لا أقبل هذا أنا لست لصة وأمَام الخاطر والصوت لداخلي المتجدد في هذا الصدد تقول على استحياء وبِنَبْرةٍ حازمة سأقرأ ما تكتبه عنا فقط.

أصبح شغل "مريم" الشاغل هو الحصول على دفتر المذكرات كما رسمت ورأت!

تجلس مع إخوتها وتخرج قليلا تقضي وقت مع "ندى" وتتحدث في آخَر بالتليفون مع باقي صديقاتها تتجول في الحديقة وتشتاق إلى معتز وتنتظر الفرصة المناسبة لأخذ دفتر مذكرات زوجة أبيها!

مر أُسبوعين وهي تدخل عند "سحر" مرات في اليوم ولكنها لم تعد تلمح الدفتر كما لم تفكر في الدخول والبحث عنه خاصة وقد تغيب "سحر" ثلاث مرات خلال هذا الأُسبوعين عن البيت

"مريم" قد اتخذت قرارها لن تأخذه الا في حضور "سحر"!

"ريم" تتجول في الحديقة وهي تتحدث في التليفون وتشيح بذراعها يمينا ويسارا يتخلل حديثها الضحك في التليفون قائلة بجدية في دلال

"مريم": لا إياك أن تأتي

بابا مسافر في شغل من يومين

تنتصت وتَرُد مازحة بتأكيد

يوم الخميس

تتظاهر بأنها قادمة من الداخل متململة تسير باتجاه الاستراحة وتمر بجوار "ريم" التي تداعبها وهي تربت على كتفها مازحة كأنها تتخذ من كتفها عكازًا مستندة على كتفها بالحديث فتتوقف

"مريم" قليلا إلى أن تفلتها "ريم" لتمر متجهة مباشرة إلى الاستراحة وقبل أن تستقر على الكرسي وتجلس تقع عينها على نوافذ الشقة الكبيرة المفتوحة على الحديقة فتنصت واقفة وتعود أدراجها وتدخل وعيناها مليئة بالعزم على أمر لم تنتبه لها "ريم" المستغرقة بالحديث في التليفون

"مريم" توقف في الردهة مرتبكة تفكر وهي تفرك في أصابعها وتعض على شفتيها بارتباك ثم تتقدم خطوات وتقف أمَام الباب مباشرة وتخفض نظرها بعيدًا عن عدسة الباب وتقف في مكانها متظاهرة بالثبات، لم ينفتح الباب ترتبك "مريم" وتبتلع توترها وتخفيه بإيماءة عن اليمين وتضُم شفتيها بنصف ابتسامة وتعاود رن الجرس من جديد وتنتظر دقيقة كاملة وتقرر الذهاب وفي عينيها ضيق، وقبل أن تستدير لتمشي تسمع صوت فتح الباب وتظهر "سحر" وتلتفت "مريم" مبتسمة: "مريم"! تعالي.

"مريم" تدخل مباشرة وكأنها وجدتها فرصة للدخول بينما يبدو على "سحر" بعض التوتر تخفيه بابتسامة خفيفة وتستسلم لدخول "مريم" وتدلف "مريم" إلى الداخل مباشرة وتتفاجأ بالدفتر وقد ظهر فترتبك وتبتلع ريقها مرتبكةً ومن خلفها "سحر" تنظر نحوها متسائلة لما أتت، "مريم" تلتفت مبتسمة وهي لا تدري ماذا تقول، كيف تُخلي المكان من "سحر" لتكون هي بمفردها مع

الدفتر كيف ترفعه وتذهب به، تتلعثم وهي تحاول التحدث:طنط "سحر"؟ جئت أسألك متى سيأتي بابا؟

"سحر": يوم الخميس

"مريم": يوم الخميس! "سحر" تنظر لها بترقب وتنتظر أن تذهب.

"مريم" لا تجد ما تقوله وترى أن عليها أن تنسحب، ويرن جرس باب الشقة الكبرى فتهرول "سحر" لتفتح الباب وهي متململة مضجرة، تلمع عينا "مريم" وتجدها فرصة ذهبية أُهديت إليها، فبينما "سحر" ذهبت لتفتح تتقدم "مريم" إلى الطاولة المجاورة للأريكة أسفل النافذة وتغلق دفتي الدفتر وبسرعة تحمله ويتراءى إلى سمعها في مكانها صوت "سحر" وهي ترحب ب"إبراهيم" فتبتسم "مريم" وتظهر فرحة في عينيها وتبادر بالاستئذان لتذهب وهي تخفي الدفتر خلفها بينما "سحر" قد انشغلت باستقبال ابنها.

صوت "سحر": "إبراهيم" اهلا يا حبيبي تعال أدخل

صوت "إبراهيم": كيفك يا ماما؟

"سحر": الحمدُ لله. تعالى لك وحشة كبيرة.

وهي تدخل بصحبة "إبراهيم" تسير بجواره مبتسمة وهما يدخلان إلى الداخل فيقول "إبراهيم": اهلا "مريم" أخبارك ايه؟

"مريم": أهلا يا "إبراهيم" الحمد لله بخير

استأذنكم وتتجه مباشرة إلى الباب لتخرج بينما "سحر" منشغلة بالترحيب بابنها وقد دخلت بصحبته إلى جانب في المكان وهي ترحب به

"مريم" تمسك الدفتر جَيِّدًا وتهرول به داخلة من باب الشقة تتجه مباشرة إلى غرفتها وتغلق الباب خلفها بإحكام وتجلس على السرير ودقات قلبها تتقافز في صدرها وتبتلع ريقها بتوتر وصعوبة وتتحسس الدفتر بين يديها غير مصدقة أنها أخيرًا قد حصلت عليه وأصبح بين يديها تضع كفها على الغلاف والخواطر تتدافع في رأسها بين فتحه والتفكير الّذي يدور برأسها وهي تقول هل رأتني؟ لا أظن فهي انشغلت بـ "إبراهيم"

ماذا أفعل الآن؟! وتفتح الدفتر وتمر على أوراقه فتجده ممتلئًا بالصفحات المكتوبة والتي يتجاوز عددها منتصفه، فتغلقه ثانية وهي تتساءل في نفسها كيف سأستطيع أن أقرأ كل هذا اليوم ولأنني يجب أن أرجعه ثانية قبل أن تكتشف الأمر، أأنقله لديّ في أوراق؟! أم أقوم بتصويره؟!

تُمسك "مريم" الدفتر بين يديها وعيناها تعمش، توتر وأفكار متضاربة في رأسها ويبدو أنها استقرت على فكرةٍ ما، فتنظر في الساعة ثم تزمّ شفتيها وتعاود الاستغراق في التفكير، يمضي الوقت ثقيلًا والأفكار كثيرة تستقر على أن تقوم بتصويره فتنهض من مكانها حيث رأت أنها لم تستطِع قراءة صفحاته المكتوبة في

يوم على أن تقوم بتصويره لاحقا، ولكن إلى متى ستبقيه معها؟ يجب أن أقوم بتصويره غدًا.

لقد جاء الصباح أخيرًا، نهضتُ وارتديت ملابسي ووضعت الدفتر في حقيبة يدي وأخذت بعضَ النقود من "ريم" وخرجت مندفعة إلى الشارع أفكر في مكتبة من بين ما أعرفهم، فكرت في أن أتوجّه إلى مكتبة بعيدة عن هنا تمامًا فلا أضمن من يقوم بتصويرها يلمح عبارة أو معلومة أو يكون فضوليا ويثب نظره على سطر أو ما شابه فيكتشف الأمر ويمكن أن يسألني أو يحاول معرفة لمن الدفتر هذا، لا أظن كل هذا ولكن قد يحدث واحدٌ منهم، دخلت المكتبة ومددت يدي بكل حزم إلى البنت الواقفة في المكتبة كانت دون الخامسة عشرة وكان هذا جَيِّدًا كانت متعجلة ككل البائعات في محال الملابس والمكتبات وسترات بيع الميك اب تود لو تنفد من العمل قبل القيام به! كما وأنها لم تهتم لتفتح أو تمر بنظرها على الكلمات وقد اخترت أنا مكتبة بعيدة عن بيتنا كثيرًا، لقد اجتزت مسافة لأختار أبعد مكتبة عن سكننا، وقد اهتديت لتلك المكتبة، صورت الفتاة كشكول طنط "سحر" المزركش، وطلبت من فتاة المكتبة أن تقوم بتدبيس الأوراق المصورة عن الكشكول لتصبح أقرب إلى ملزمة من عشرات الأوراق، كبدتني بعض النقود ولكن فضولي لا يهدأ.

أخذت الكشكول وضعته في حقيبتي بعناية ومعه وضعت النسخة المصورة واستقلّيْتُ الباص وعدت إلى البيت مسرعة وكأني أحمل ممنوعات، هي فعلا ممنوعات عن القراءة والتناول، كان يوخزني ضميري، فبحوزتي ما ليس لي ولا يخصني ولكن هو معي الآن تلفت جَيِّدًا وأنا ادلف إلى البيت عبرت الحديقة مباشرة إلى البوابة الصغيرة ثم الردهة وتجنبتُ تمامًا أن ألتفت عن يساري إلى جهة الشقة الكبرى، فوراء الجدران بالداخل "سحر"، لا أظنها ستدون خواطر جديدة في الكشكول، فهي نائمة الآن، وسأحرص على أن أُعيد الكشكول إلى مكانه قبل العصر إلى المغرب فهما موعدها المعتاد غالبًا حسب مذكراتها في تدوين خواطرها.

دخلت مسرعة إلى غرفتي لم أجِد أحدًا من إخوتي متيقظًا، و"ريم" نائمة في سريرها، ففتحت الباب ودخلت، وضعتُ المذكرات في كتبي في الدرج الاوسط بين كتبي وضعته بين الكتب وأغلقت الدرج وجلست أفكر كيف أُعيد دفتر مذكرات طنط "سحر" إلى مكانه من جديد؟ وأنا أتساءَل هل اكتشفت عدم وجوده بالأمس بعدما ذهب ابنها وعادت لتواصل وتستأنف ما كانت تكتب؟!

لا أدري ولكنني سأعيده.

الفتاة ثنت الغلاف من الظهر لتتمكن من تصوير الأوراق جميعها ولكن الثنية غير ظاهرة تركت خط طولى مائل بوسطه فهي قد

تقوم بذلك هي الأخرى أثناء البدء في فتحه للكتابة! لن تنتبه، ولكن هل إن اكتشفت أنه غير موجود ستخبر أبي؟! لا أظن أنه يعرف أن لديها دفتر مذكرات في الأصل، أتوقع إن لم تجده ستبحث عنه، حينها أكون قد أعدتُه لمكانه، ولكني أخذته من على الأريكة وهي لاتتركه عليها غالبًا، فمؤكد ستكتشف أنه أُخذ، هل ما فيه سيجعلها تسكت؟! لا أدري كيف ستتصرف حيال عدم وجوده؟

على كل حال سأعيده إلى مكانه.

أنا لم أقرأ ما كتبت في دفتر مذكراتها بَعدَ؟! ولكن على أن أُعيد الدفتر أولًا، كيف تعيدينه وقطعًا اكتشفت اختفاءه؟ ماذا أفعل إذن؟!

أُريدُ أن أُرجع الدفتر إلى مكانه؟! مكانه كيف؟!

مؤكد أنها قد اكتشفت أنه غير موجود ويمكن أنها تشك فيّ أنا.

هل يمكن أن تشك في ابنها؟!

أنا وهو من دخلنا عندها عندما كان الدفتر على الطرابيزة، لا أظن أنها ستشك فيه، أكيد وهي تودعه لم ترَ في يديه الدفتر كما وأنهما كانا جالسيْن معًا، فمتى مدَّ يده وأخذه؟ وقد تنتبه لعدم وجوده قبل أن يجلسا على الأريكة، فهو مكانها المفضل، ولو لم يكن وجلسا في مكانٍ آخَر في الصالون أو على السفرة

أو غيره، الدفتر كان على طرابيزة الانتريه أسفل النافذة المطلة على الحديقة، مؤكد أنها ستشك بي أنا!

كيف أتَصَرَّف؟ هل ستواجهنى أم ستخبر أبي؟

"مريم" تهُزّ رأسها بسخط وهي تحاول إبعاد كل الخواطر عنها وهي متوترة ومتعصبة، لقد أخذتُ الدفتر وقمت بتصويره ومعي نسخة وسأقرأها وهي مؤكد قد اكتشفت الأمر أنا سأعيده على كل حال وسأقرأ ما كتبته عنا وتتصرف كيفما تشاء ويفعل ما يشاء أنا لا أتوقع منه أيّ تصرف كما لا أستبعد أن تقلبه على فيلكن دفترها سيعود إليها لتكمل ما تكتبه عنا وأنا سأقرأ الآن ما كتبت! لن ادع الأفكار تمزقني وتحيرني وتربكني لا بل سأقرأ ما كتبته زوجة أبي عنّي أنا وإخوتي.

أمامي ساعتين حتى يأتي إخوتي من الخارج، "كريم" ذهب إلى النادي و"ريم" ذهبت لشراء لوازم لها من سنتر بيع مستحضرات التجميل وقد تستغرق وقتًا حتى تنتهي وتأتي، وبابا مسافر فمن سيطرق الباب؟ غيرها سأتظاهر أنّي نائمة وإن عاد "كريم" أو "ريم" مبكرًا سأكون قد قطعتُ شوط في القراءة.

تعاود الخواطر رأس "مريم" فتهبُّ واقفةً بإصْرَارٍ، قلت سأعيده إليها ولكن سأقرأ ما كتبته عنا والان وتفتح الدرج بحزم وتنظر على دفتر "سحر" المزركش مستقرًا بين الكتب في الدرج وتخرج النسخة المصورة وتعيد الكتب فوق دفتر "سحر" ثانية وتغلق

الدرجة بإحكام وتحمل الدفتر تجذب الكرسي وتجلس إلى المكتب تفتح ترفع الغلاف وتلمع في رأسها فكرة وتفتح الدرج وتخرج دفتر "سحر" ويبدو أنها فضلت أن تقرا منه فتغلق النسخة المصورة وتنحيها جانِبًا وتضع الدفتر بين يديها وترفع الغلاف وتظهر الصفحة الأولى أمَامها مكتوب عليها "سحر" بحروف مزخرفة، تقلب "مريم" الصفحة الثانية مدون بها تواريخ بغير أحداث بجوارها مكتوب 5تواريخ كلهم جروا خلال 5سنوات، الأول يرجع لخمس سنوات مرت وبعده تاريخ بعده بشهر ثم بعام ثم تاريخين وقعا في ثلاثة أشهر فقط، قلبت "مريم" الصفحات في عجالة وهي تحتار بأيهم تبدأ فعادت لتقرأ من الصفحة الأولى فقلبت صفحة التواريخ بلا إحداث، الصفحة التالية مكتوب فيها تاريخ في أعلى الصفحة وأسفله كتبت بخط القلم نقطتين وعلامة استفهام قلبت "مريم" الصفحة بها علامة استفهام كبيرة مكتوبة بقلم حبر ومجسمة كأنها مرسومة وحوافها محددة بسن القلم تملأ الصفحة في المنتصف، قلبت الصفحة مكتوب بأعلاها علامة استفهام وعلامة خطأ كبير بنصف الصفحة أيْضًا فتضحك "مريم" وهي متعجلة لتقرأ الصفحات المكتوبة فتقرر القراءة من بَعدَ صفحات وتختار المكتوبة والممتلئة بالسطور المكتوبة فتمرر أوراق وتتجاهل أخرى وتبدأ من اول الصفحات المكتوبة وتبدأ في القراءة كما هو مكتوب تستند تأهبا للقراءة بلا توقف وبفضول

وبجدية تغريها بدء الصفحات المكتوبة جميعها تمسك الدفتر جَيِّدًا وتبدأ في القراءة تسعل وهي تصفي صوتها لبدء القراءة

عصر اليوم:

"استغربتُ له جدًا وجدته بَعدَ أن ارتديت الفستان الّذي اختاره لي أن ارتديه حتى أنه طلب منّي أن أضع ميكاب بألوان معينة لم أعارضه، فمن اليوم الأول وأنا أطبق توصية أمي، المهم حمل 3 صناديق هدايا ملونة صغيرة الحجم اتى بهم من الداخل وأخبرني أنه عليّ أن أُقدمهم لأولاده على اعتبار أنّي من قمت باختيارهم وشرائهم لأقدمهم إليهم، لم أفهم شيئًا ولكن أسعدني نظرة الفرحة والامتنان في عيون أولاده، ولكن لمَ فعل هذا؟! مسألة تقديم الهدايا هذا أعطاني فكرة عن نوعية التربية التي تلقوها كما كان تعاملهم معي بالغ التهذيب عكس ما صورهم لي؟! "مريم" بدهشة وحنقفي نفسها: "لمَ يا بابا ماذا قلت لها عنا؟! ولمَ أفهمنا أن هي ما قامت بجلب الهدايا الينا؟!" وقلبت "مريم" الصفحة

صباح اليوم:

"بعد الإفطار أخبرني أنّنا سنذهب لنقضي يوما عند أهله ولكي يقدمني إليهم، كما أنهم يريدون أن يتعرفوا إليَّ، وجهزت نفسي وتمم على هندامي بعناية وطلب منّي أن أرتدي كل المجوهرات التي اشتراها لي، وبالفعل ارتديتها كلها وما أن وصلنا إلى هناك

حتى وجدت أمه تتفحصني بريبة، لم أتوقف أمَام نظراتها ورحب بي إخوته الرجال وأخته الوحيدة كانت لطيفة معي وفرحة لنا بشدة ولم ألتفت إلى أمه، لا أدري لمَ تتأملني بضيق بهذا الشكل! تقمصتْ دور الحماة من أول مقابلة ومارسته عليّ، لم أُلقِ لها بالا وطوال الوقت كنت أتجاهل ما تقول وكل ما يصدر عنها، وكان "فؤاد" فخورًا بي وقضينا يوما جميلًا وعدنا، فرحتُ جدًا في هذا اليوم، شعرت أنّي ملكة بالفعل وسط كل الموجودين."

"مريم": دعوت العائلة لتعرفها على زوجتك أم لكي يروا المجوهرات التي اشتريتها لها؟ لم يخبرنا أحد بهذا...!

مساء الأحد:

"كان يتحدث مع صديقه المقرب في التليفون وسمعته يقول من بين ما قاله أنه الآن فقط يشعر أنه قد تزوج وأنّه لم يكن يعرف ما هو الزواج من قبل وأنّه قد منَّ الله عليه بزوجة تستحقه وتعتني به وهو سعيدٌ معها. فرحت جدًا لعلمي أنه سعيد معي

صوت "مريم": اوك يا بابا؟!!

عصر الاربعاء:

"معاملة "فؤاد" مع أولاده حازمة وبها شدة وبعض الغلظة وهم يهابونه، ذكرني "فؤاد" بعمي "عبد المجيد"، لقد كان حازمًا مُهابًا كبيرَ عائلته كما "فؤاد" بالضبط، ولكني أكره انفلات لسانه عليهم

وحدته في معاملتهم، أخاف أن يتحول في معاملته معي في يوم من الأيام، ولكن للان هو يعاملني بحب! هل يحبني بالفعل؟! مؤكد." صوت "مريم" ساخرة: سنرى!!

مساء اليوم

"فور أن أخبرني "فؤاد" أن أولاده يحبون تناول الحلويات فقمت بعمل عدة أصناف وقد نالت إعجابهم، فلقد أخبرني أنهم محرومون منها وأنّه كان يقوم بشرائها لهم من المحلات لأن أمهم كانت خائبة ولا تجيد صنعها، وأنه كان ينهرها كثيرًا على فشلها المتكرر في عمل الحلويات خاصة وأنّه يحب الحلويات ويطلبها منها، فرحت لأنها أعجبتهم وقد أكل منها معهم أمامي وخاصة "مريم" التي تعشق تناول الحلويات، لقد أشفقت عليها وأخبرتها أن تطلببها منّي متى أردات! معقول؟! امرأة لاتعرف كيف تصنع الحلويات لزوجها وأولادها؟!"

صوت "مريم" وتردد ما قرأت: وخاصة "مريم" التي تعشق تناول الحلويات!

ولكن أول مرة أعرف أن أبي يحب تناول الحلويات وأنّه كان يتشاجر مع أمي لتصنعها؟!

بضيق تقلب "مريم" الصفحات تارة للأمام وتارة للخلف وتتجاهل التي قد قرأتها وتعاود كر الأوراق وتستقر على صفحة جديدة لم تُقرأ... مساء السبت:

"فؤاد" يمتن لي لتوفير الهدوء في بيته، أخبرني أنها كانت غير طبيعية، لم تسعَ لتحقيقه، كانت تنكش وتفتش وتفعل الخلافات والمشاكل قائلا انه: بدوري كان يضيق صدري وأقوم بضربها لتسكت، معذور يا "فؤاد"، سأظل أوفر الهدوء والسلام في بيتنا يا حياتي.

صوت "مريم": معقول تبحثين عن أوهام لتصدقيها يا زوجة أبي؟!

وبحنق لمَ تخبرها بهذا الأكاذيب يا أبي؟!

وتفلت "مريم" بعض الصفحات من النصف وتعود لقراءة صفحات من البداية.... مساء الأحد:

"كيف أنت الآن يا "إبراهيم"؟ لقد أوحشتني يا حبيبي؟! أشعر بألم ومرارة في حلقي، أولاد "فؤاد" يصل صوت ضحكاتهم إليَّ وأنا هنا بينما ابني وحيدًا يجلس بمفرده الآن، كنا نقضي أوقاتنا معنا قبل أن أجئ إلى هنا، اجتماعهم المستمر بصحبة بعضهم البعض يثير ضيقي وغضبي، ثرثارون يضحكون كالبلهاء، يحدثون الصخب في الأجواء، "فؤاد" أيْضًا يكره حالات هياجهم هذا ولكن لمَ يضيق "فؤاد" بلم شمل أبنائه؟ أنا أحب هذا لهم ولكن ابني وحيدٌ بينما أبناء زَوْجِي يفصلُ بيننا حائط ويجتمع الثلاثة معًا، باستمرار أسمع أصوات ضحكهم والموسيقى التي يسمعون، حتى في الحديقة معًا وإن ذهب أيٌّ منهم إلى مكان

فالباقون يعلمون، اشتقت إليك يا "إبراهيم"، ربنا يرعاك ويحفظك يا وحيدي يا حبيبي."

صوت "مريم": اجتماعنا يزعج أبي ويضايقه؟! لمَ يا أبي لِمَ؟!

مساء الثلاثاء:

"من فرط الزهو وشعور الفرحة الّذي أشعر بها أود لو نخرج كل يوم، كل يوم بلا توقف، إنه يدللني بشدة أمَام أقاربه وأهله باستثناء أصدقائه لا أدري لِمَ؟! لا يهم فأنا يهمني عائلته فقط.

صوت "مريم": برافو يا بابا؟! فعلا أهله وأقاربه العائلة هي الأهم ياطنط "سحر"!

مساء الجمعة:

"أوشكت على مواجهته ولكني فضلت الصمت، أصبح يستفزني هذا التصرف منه، يبالغ في التهريج وإطلاق النكات البايخة عليّ فيضحك ويريدني أن أضحك! ففي كل مرة يكون أبناؤه عائدين من عند أمهم يبالغ في إظهار حالة من السرور والفرح! بات يستفزني هذا السلوك منه، يوما سأجبره على التوقف، شاركته مرات فيكفي، أظنها لا يفرق معها في شيء، هو يريد أن يخبرها أولادها أن أبيهم سعيد معي في حياته أحيانًا أضحك على خبله ويكون مجاراتي له وسيلة لطلب ما أرغب ولكنني بدأت أختنق من هذا التصرف... لم أعد أحتمل!

صوت "مريم": يا بابا! لقد أعييت المنطق والفيزياء!!

وهي تزمّ شفتيها بامتعاض ممزوج بالشفقة وتقلب الصفحة في هدوء وبآلية وهي تهُزّ رأسها متعجبة مصدومة.

عصر الأحد:

"تشاجرنا اليوم وكنت ثائرة ولم أهدأ إلا بعدما نفثت عما في صدري ولم أهتم بأن يسمع أولاده صوت شجارنا، كان هذا يحرجه وهذا ما اكتشفته، اكتشفت اليوم له نقطة ضعف جديدة، فهو يتحرج أن يرانا أولاده على غير وفاق، أراه يفتعل الابتسامة كلما كان معنا الأبناء مهما كان به، كان ينتبه لكي يظهر أمَامهم فرحا منتشيًا، أظن أنه يفعل هذا لأن الأولاد ربما أو أكيد انهم يبلغون امهم بأحواله وانها تريد أن تراه أو تود أن تعرف هل هو سعيد معي نحن سعداء معًا بالفعل ولكني لم الحظ هذا الشيء سوى اليوم فقط وأصبحت انتبه لتعبيرات وجهي في حضورهم."

بمرارة واستخفاف: "مريم": لا برافو!!

عصر الاثنين:

"بعد الغداء مباشرة وقد فرغ الأولاد بَعدَ تناول الطعام معنا ثم ذهبوا وجدت "فؤاد" يهمس لي ويخبرني أن "مريم" و"ريم" تحتاجان إلى أُم؛ فأمهم حادة الطباع وجافة ولا تقترب منهما خاصة بَعدَ الطلاق، وقد اشتكى البنات له من أمهما، أشفقت عليهما، بيني وبين نفسي سأحاول كسبهم والتقرب إليهم، وقد

أكسب "ريم" فهي مرحة وحبوبة بينما "مريم" غامضة ولا أفهمها ولكنني سأحاول. صوت "مريم": أمهم حادة الطباع؟! يتكلم عمن هذا؟!

وقد كسبتِ "ريم" بالفعل للأسف!

عصر الأربعاء

صوت "مريم": يوم الثلاثاء كان إجازة؟!

وبتململ تقوم بتقليب الصفحات وهي تمسك بإصبعها كعلامة بين الأوراق عند الصفحة التي تقرأ منها في محاولة لقراءة والاطلاع على الآتي فيما بعده بصفحات وهي مازالت ممسكة وتضع إصبعها بين الصفحات التي توقفت عندها، وتظهر صفحة جديدة متقدمة بين الصفحات تمرر "مريم" بصرها عليها

وتقرأ بصوت متململ:

"بكيت اليوم كثيرًا، أشفقت على نفسي واتصلت بأمي وظللنا نتحدث أكثَر من ساعة، هدأتني؛ ولولاها ما استمريتُ معه، إنه للمرة الثالثة يخطئ في اسمي وينادِني بـ "روز"، لم أكُن أعرف أن هذا هو اسم طليقته، –صوت "مريم" اسم أمي؟!– لمَ تخطئ وتقوُلُ اسم أمي وأنت تنادي زوجتك يا أبي؟!

وتمرر "مريم" صفحة أخرى وتتوقف وهي تعتدل في جلستها.

عصر الاثنين:

صوت "مريم": ما سر العصر في كتابة مذكراتك؟!

"صحوت من نومي منتشية وأشعر بالارتياح وسأظل أعيش بذلك الفكر وهذا الخاطر، "محمود" الحياة معه بتفاصيلها لها متعة كبيرة، تتجدد كل مرة أستحضره فيها!

صوت "مريم" من "محمود"؟

وتنكب على السطور تقرأها وتعيد ما قرأت

""محمود" الحياة معه بتفاصيلها لها متعة كبيرة تتجدد كل مرة أستحضره فيها، عشت معه أجمل أيام حياتي"

صوت "مريم": من "محمود" هذا؟!

وتستأنف القراءة هو معي في كل أوقاتي، صارت الحياة أكثَر روعة وتقبل بَعدَ أزمتي الأخيرة، هذا أفضل من أن أترك "فؤاد" أن يتركني هو، كان عليّ أن أستمر، لا أُريدُ أن أعود لبيت أهلي، لا أُريدُ، كما وأنّه لا يقضي وقتا كبيرا هنا، الحياة معه فوضوية وبلا طعم، لا أراه إلا وقت تناول الطعام والوقت الثقيل كوزنه وروحه، عندما يتراءى لي "محمود" فكل شيء يمر ممتعا ومحببا ورائعا، الله يرحمك يا "محمود" صوت "مريم": "محمود"؟! هل هو زوجها الراحل نعم تقول الله يرحمك يا "محمود" اذن "محمود" متوفى! هل هي تستحضر طيف زوجها الراحل وهي تعيش مع أبي؟! هذا مربك ومعقد ما هذا ياطنط "سحر"؟!

مساء الاثنين

صوت "مريم" في نفس اليوم كتبتِ للمرة الثانية؟!

"بالصدفة علمت أن "فؤاد" حاول للمرة الخامسة رد طلقيته، لم أواجهه كما في كل مرة، أعرف ولكني تضايقت بشدة منه وبت لم أعد أُطيقه، لا الحديث معه ولا النظر في وجهه، وهدأت لأني علمت أن أُم الأولاد رافضة أن تعود إليه، ولكني غضبت منه، لمَ يريد أن يرجعها؟! هل من أجل أولاده؟! مؤكد، خاصة وأن ابنته الكبرى على وشك أن تخطب، فيريد أن يحافظ على الشكل الاجتماعي؟ أو لتفادي الحرج أمَام أهل خطيبها المنتظر، لا أدري ولكني أعرف أنها رفضت، إنه وغد على كل حال، لم أعد أغضب أو أثور مثل أول مرة عرفت فيها كبدته اليوم عقدًا ذهبيًا يزن 67 من الجرامات، هذا يطفئ غضبي قليلًا."

صوت "مريم": برافو يا "سحر"؟! برافو، هذا العقد الّذي جئت لتعرفينا أنه جلبه لك يومها! كان ذوقه سيئا ولم يكن جميلا ولا شيء

مساء الاربعاء:

تمرر "مريم" بعينها على الكلام وهي تزمّ شفتيها ولا تقرأ وتهبِط بنظرها إلى آخَر الصفحة وإلى المواجهة لها وتقلب الصفحة وتمر سريعا على السطور وهي تقول باستنكار:

ما هذا يا زوجة أبي؟ ألا تعلمين أنّي قد أقرأ ما تكتبين يومًا هل أحد يكتب تلك الأمور الفاضحة؟ ولكن لمَ تظلين معه وأنت تشمئزين من عشرته في الأمور الخاصة بينكم؟!

وتهُزّ "مريم" رأسها وهي تسترجع شيئًا وتقوُلُ باستنكار في استياء تلجأ لطيف "محمود" وتقوُلُ بمرارة مازحة الله يرحمه! وتمرر صفحات وتتوقف لدى صفحة وتستأنف القراءة

صباح الاثنين:

صوت "مريم": صباح! جديدة هذه كل الأوقات كانت بين عصر ومساء، ولكن هذا جيد ربما من باب التغير ولدفع الملل!

"عدنا من الخارج أمس في وقت متأخر وكنت بقمة الفرح، حضرنا حفل زواج ابن أحد أقاربه في فندق كبير وفخم واستمتعنا بالحف، أجواءه كانت ممتعة وأصوات الاغاني والموسيقى ورقص العروسين على أنغام الموسيقى وسط تصفيق الحاضرين، "فؤاد" قال لي أنّي كنت أشيك واحدة في الحفل واقتربت منا قريبة له وصافحتني وانحنت على وقبلتني ثم نظرت لـ "فؤاد" وقالت له لم أكُن أعرف أن زوجتك جميلة إلى هذا الحد!

صوت "مريم" مازحة في استياء: إن جمالك يا زوجة أبي من النوع النادر! وتضحك مقهقهة باقتضاب وتقلب في الأوراق وصولا إلى الصفحة الاخيرة بفضول وتفحص.

عصر الثلاثاء:

"اليوم شدد عليّ "فؤاد" ألا أخبر أولاده بخبر حملي، أخافني الحقيقة، أخبرني أنهم قد يؤذونني، لا أظن ولكن كلامه أقلقني وأخافني فلم أخبرهم، حتى أنه قال لي أن أتظاهر بأيِّ شيء

حتى أنه عندما عدنا من عند الطبيبة في متابعة لم أردّ على ابنته الكبرى عندما سألتني ما بك وجهك شاحب، ولما دخلنا قال "فؤاد" كما قُلت لا تخبري أحدًا حتى تسلمي من اذى امهم مؤكد ستجن عندما تعلم أنّي حامل؟! لم أخبرهم ولكن حز في نفسي أنّي لم أخبر ابني هو الآخَر ولكن السبب هنا مختلف نهائيا فأنا في حرج أن أخبره، سأمهد للأمر معه، أمَّا أولاد "فؤاد" فهو سيخبرهم عندما يظهر عليَّ الحمل، يا رب سترك."

صوت "مريم": حامل؟! يا رب سترك! وبسخرية مريرة:

أفهمك أنّنا زومبي؟ شكرا يا أبي؟!

مساء الاثنين:

"تأكدت اليوم من إلهام قريبته أن أم الأولاد لن تعود له أبدًا؛ ففرحت بشدة واطمأننت، حمدا لله. كيف علمت إلهام؟ مؤكد لأنها من العائلة فهي تعرفها وقد تكون علمت بطريقة أو بأخرى وقد أخبرتني حمدا لله.

صوت "مريم": إلهام ناقلة الأخبار وذائعة الأسرار الشهيرة وتضحك "مريم" مازحة وتقوُلُ: ياله من لقب!

ومردفة: وهل أمي أيْضًا تشكر الله؟!

عصر الاربعاء:

صوت "مريم": عصر وراء عصر! مازحة بخصوص توالي الكتابة في عصر يومين متتالين

"بعد أن مَرَّ يومان وأنا أتجاهل ما يجري، لا أفهم سبب ثورته على أبسط الأمور وصمته وتغيبه عن البيت واجهته اليوم بشكوكي فنفى أنه كاذب ولكن ماذا أفعل؟ عليّ أن أتجاهل ظنوني، وإن تأكدت! ماذا أفعل؟ لا أدري فبعد أن تخلصت من إمكانية عودة طلقيته يذهب ليعرف أخرى عليَّ لست متأكدة! أود لو أنّي أظلمه، هو أنكر ولكن إحساسي يخبرني بأن ثمة شيء هناك يجري؟! تعبت."

صوت "مريم": امرأة أخرى؟!

أبي يعرف أخرى على زوجة أبي يا للهول؟! ولكن لا أظن هذا يحدث ليست أخلاقيات أبي لا تظلمي أبي يا طنط!

قلبت "مريم" بآلية الصفحة، مساء الأحد:

"تعبت اليوم بشدة كل جسدي يؤلمني والدوار لا يفارقني حتى فرحة الحمل خفتت، أظنني تعجلت في مسألة الحمل، مرات إجهاضي أخذت من عافيتي، لو كانت تكمل ربما كان لديّ عدد من الاطفال "إبراهيم" كان مقدرا أن يكون ابني الأكبر والوحيد، وها أنا سأنجب لك أخًا، ولكني بالفعل متعبة بشدة."

صوت "مريم": مرات إجهاض!

أنا أيْضًا كنت اتسأل لديها ابن واحد فقط؟!

افرح يا "إبراهيم" مامتك ستنجب لك أخًا!

وتقهقه "مريم" مازحة

عصر الثلاثاء:

وتقلب "مريم" صفحات الدفتر بضيق وانزعاج وتأثّر تمر عيناها على السطور المكتوبة بغير انتباه، تبلع ريقها بغصة وتعاود الانتباه وتنظر في السطور تتفحصها وتقرأ من جديد، تنتبه على جرس باب الشقة وتسمع صوت "سحر" تتحدث إلى "ريم" فترتبك "مريم" في مكانها وتضم على الفور دفتي الدفتر وتضمه لصدرها وتهِبُّ واقفةً مكانها وبسرعة تفتح الدرج وتدخل الدفتر مكانه وتلمع في رأسها فكرة وتتجه مباشرة إلى باب الغرفة وتفتح القفل السحري (التربـاس) للباب في هدوء متجنبة أن يصدر عنه صوت، وتخرج منتصبة الظهر إلى خارج الغرفة، وما أن تخرج "مريم" حتى تتلاقى عيناها بعيني "سحر" مباشرة والتي تقف قُبَالَةَ "ريم" فتلتفت "ريم" على "مريم" بترقب بينما "سحر" تنظر مباشرة لوجه "مريم" التي تنظر لها هي الأخرى بترقب في ثبات وتظل واقفة مكانها. "ريم" تبتسم لـ"سحر" قائلة:

"كريم" في النادي لم يعد بعد

"سحر" وقد ارتبكت قليلا: كنت سأطلب منه أن يحضر لي بعض الأشياء من السوبر ماركت.

"مريم" تنصت لما تقول "سحر" ولا تَرُد وتتفحص وتحلل نبرات صوتها وبدأ الهدوء يتسرب إلى جوارحها، "سحر" ترمق "مريم" بنظرات تعجب وضيق مكتوم، وريم كعادتها مبتسمة بمرح:

سأتصل به أخبره بما تريدين، أخبريني بما تودين شرائه من السوبرماركيت وأنا أخبره في التليفون.

"سحر" بتردد وارتباك؛ وقد بدا لها وتيقنت أن "مريم" لم تخبر "ريم" بأمر الدفتر فتبتسم قائلة، دعيه يأتي وقتما يريد وسأنتظر ربما يأتي من تلقاء نفسه بَعدَ قليل. ريم بإلحاح: لا أخبريني، هو في النادي من ساعات.

"مريم" تجلس في اول كرسي بجوارها و"سحر" تنظر مباشرة إلى "مريم" بينما "مريم" لا تنظر لها وتنصت في صمت مردفة وتَرُد على "ريم ": بل سأنتظر حتى يعود أو أوجلها لغدٍ

"ريم" تبتسم بدهشة من ترددها المفاجئ بَعدَ إلحاح وجدية ولا تَرُد، "سحر" تتراجع للخلف وتخرج وتبتسم لـ"ريم" بِودٍّ

"ريم": اوك ياطنط

وتبتعد "سحر" عن الباب و"ريم" تقف لدى الباب تنظر نحوها وتغلق الباب في هدوء وببطء وهي تقول متعجبة

"ريم": ظننتها محتاجة الآن! هي أدرى!

"مريم" تنظر لـ"ريم" بترقب ولا تَرُد، عيناها مليئة بالأفكار.

"ريم" تجلس بجوارها في استرخاء

"ريم": "مروة" تسلم عليكِ.

"مريم" مردفة من شرودها وتوترها: كيف هي؟!

"ريم": بخير

بالمناسبة أنا توًا عُدت قُبيل أن ترن طنط "سحر" الجرس، فقط دخلت الحمام غسلتُ يدي فوجدتها ترن الجرس. "مريم" تؤمىء برأسها مردفة وتنبسط أسارير وجهها.

"ريم": هل "كريم" تأخر؟!

"مريم": لا أظن

"ريم": ولكن أنا أظن أن طنط "سحر" جاءت الآن لترى من هنا وهل عدنا أنا و"كريم" من الخارج أم لا.

"مريم" تنصت بإمعان في ترقب

وبحزم: لم تتأخروا

"ريم" تومئ مؤكدةً وهي ترفع كتِفَيها في تعجب وتتجه إلى غرفة نومها هي و"مريم"، بينما "مريم" تنظر لها بترقب وعيناها مليئة بالأفكار وتستند على كرسيها وتشرد وعيناها تعكس توتر وقلق وتبتلع ريقها بغصة وتنظر لباب الشقة والفضاء من حولها بخيبة وغصّة على إثر استرجاع ما قرأت، وتهُزّ رأسها بحيرة وتململ وأسى، "سحر" تتوقف لدى الباب مترددة في الدخول وهي تضع قبضة يدها أسفل ذقنها وعيناها مليئة بالغضب والحنق غارقة في أفكارها تحاصرها حالة من الحيرة والقلق والخوف، تستشعر غصَّةً في حلقها فتزمّ شفتيها باستنكار ولوم وتلتفت وهي تفكر في فتح الباب ثانية ومن ثمة العودة إلى "مريم"!

تزفر بغيظ وتوتر وتتجه مباشرة بخطى ثقيلة باتجاه الدولاب وتفتح الدرج وتتحسس بكفها ظهر الدفتر وسط الملابس وعيناها مليئة بالسخط والغضب، تنكفئ عليه وهي تثني ركبتيها وتظل في مكانها تتقاذف رأسها الأفكار والخواطر تغمض عينها في أسى وتزمّ شفتيها في ندم.

الظلام يلف أرجاء الغرفة إلا من شعاع خافت يصدر من الأباجورة على كومود يتوسط سريرا "ريم" و"مريم"، جسدها غارق في ظلام الغرفة إلا من رأسها يتسلط عليه شعاع خافت من الأباجورة تمتلئ عيناها بالأفكار والخواطر قلقة متوترة، "مريم" تتقلب في سريرها غير قادرة على النوم، وهي تلتفت وتتحرك بهدوء خشية أن تحسَّ بحركتها "ريم" فتسألها وتحاصرها بالسؤال: ما بك؟!

فتستدير "مريم" ببطء وفي هدوء لتستقر على جانبها الأيسر وظهرها لـ "ريم" المستغرقة في نوم عميق، "مريم" تدفع الغطاء عنها في ضيق وتتململ مستشعرة حرارة غضبٍ تغزو جسدها النحيل، يوقفها تذكر ثمة ما قرأت في المذكرات وتهيمن على خاطرها فتسترجعه في نفسها، صوت "مريم" ويمتلئ بالأسى والغيظ معا:

عصر الجمعة:

"فؤاد" قام بضرب ابنه "كريم" اليوم ضربًا شديدًا أمَام أصدقائه كما عاقب البنات بعدم الذهاب إلى أمهم، أخبرني أنها توسط من يرجعها إليه وأنها نادمة وهو لا يحتمل سماع شيء عنها فأفرغ غضبه في أولادها، أشفقت على الولد فقد نزف دمًا من فكه وشفته فتحت وكانت الدماء تتناثر على قميصه.

كان "فؤاد" ثائرا بشدة، ولتهدئته خرجنا لتناول العشاء، وبغصة وأسى وتمتلئ عيناها بالدموعِ وهي تهُزّ رأسها باستياء؛ لقد اكتشفتُ أن وراء تحريضه عليهم في ذلك اليوم هي.

"مريم": قلبك طيب يازوجة أبي

تبتلع ريقها بضيق ومرارة ويقفز إلى ذهنها شيء آخَر كتبته "سحر" وتسترجعه على مهل وعيناها منتبهةٌ تحاول تحليله وتفسيره.

صوت "مريم":

مساء الأحد:

"لم أعد أحتمل الحياة مع هذا الخسيس! صوت "مريم" باستنكار ممزوج بالسخرية خسيس! وتسترجع ما تذكرت صوت "مريم" أنه يحاول رد طليقته أنه من يحاول ردَّها لا هي من تريد، إنها كرهته أنا أعلم هذا، هي من تركته، لقد كرهت إيهام نفسي أن ما يخبرني به هو الحقيقة، لم أعُد أطيقه! كما لا أُريدُ هذا الجنين.

ليتني ما حملت، أُمُّ أولاده على كل حال لن تعود؛ فلمَ كنت أشعر أنّي مهددة؟! مما يقوله ويخبرني به من أكاذيب.

تغمض "مريم" عينيها في أسى وتفر دمعتان منهما وتسقطان على خديها ويعلو صدرها بالنحيب على إثر البكاء المكتوم الّذي تنفجر به غير قادرةٍ على منعه ومقاومته، ثم تضع يدها على فمها فور أن تسمع صوت سرير "ريم" يُصدر صوتًا وتغلق عينيها بسرعة وهي تعضُّ على شفتيها بينما الدموع تتنساب حارة على خديها، تجذب "سحر" ستارة النافذة بتوتر ويظهر ضوء الصباح جليا من فتحات النافذة عيناها ذابلة ووجهها شاحب، يبدو أنها لم تنم ولم تغمض عيناها، تذهب جيئةً وذهابًا في المكان وهي تضم شفتيها في توتر وقلق بالغ، تقاوم فكرة تلح على ذهنها وتعكس عيناها حالة ثورة داخلية وتوعُّد وضيق وغضب كبير، وتزفر بضيق وهي تتأمل المكان في سخط وضجر وحيرة، وتهوي على الأريكة بوهن وتسند رأسها خشية السقوط بذراعها، وعيناها مهمومة.

تندفع المياه من فتحة الصنبور و"مريم" أمَام الحوض منحنية توجّه الماء بكفيها إلى وجهها ويهاجمها خاطرٌ مفاجىء فتجهش بالبكاء فَجْأةً. يأتي صوت "ريم" من الردهة أمَام الحمام وهي تنادي على "مريم":

صوت "ريم": سأسبقك، الحقي بنا.

تنتبه "مريم" لما قالته "ريم" دون أن تلتفت ويعلو وجهها نظرة غضب مكتوم.

"كريم" يجلس بجوار "ريم" وقبالتهم تجلس "سحر" والإفطار معد على السفرة ينتظرون مجيء "مريم" التي تدخل بخطى ثقيلة تجر قدميها وتتظاهر بالحيوية فترفع رأسها وتتقدم منهم وتقوُلُ باقتضاب وتجلس مباشرة في مكانها:

"مريم": صباح الخي، أنا آسفة تأخرت عليكم

"كريم" مازحًا: جدًا!

"ريم" تتفحص وجه "ريم" وتنظر لـ "كريم" ليتوقف عن المزاح فينتبه لوجه "مريم" مشدوهًا ويتفحصه وهو يأكل بينما "سحر" لا ترفَع عينيها من طبقها وهي تضع أطباق الإفطار وتتظاهر بأنها لم تنتبه لشيء. "ريم" تنظر لـ "مريم" وتود لو ترفع عينيها لتسألها ما بها ولو بالإشارة. "كريم" يتناول طعامه في جدية، ولا تزال عيناها مليئة بالأفكار والقلق.

يمر الوقت ثقيلا، الكل يرفعُ الطعام إلى فمه وعينه مليئة بالقلق

"كريم" مردفا: بابًا عائد غدا أن شاء الله

ترتبك "سحر" وتهِبُّ واقفةً وهي ترفع طبق به بقايا الطعام وتدخل مباشرة إلى المطبخ وتتولى الرد عليه ريم

وهي تومئ برأسها مؤكدةً ما قال "ريم": آه إن شاء الله

"كريم": متى؟ تحديدًا هل تعرفين؟

فتظلّ "ريم" على "سحر" وتودّ لو تسألها فينظر لها "كريم" لتتوقف ويعاودوا تناول الطعام.

"مريم" وهي تُحرِّك الطعام في فمها ببطء وبغير شهية صامتة تمامًا تراقب ما يحدِّق في ترقب وفَجْأةً يسترجع ذهنها ما بعضا مما قرأته فتميل برأسها للأمام وترفع عينها وهي تحتوي بنظرتها أخويها الآن يجلس حولها وتتوسطهم هي مسترجعة صوت "مريم": مساء الاثنين:

"شدد عليَّ بال أخبرأولاده بخبر الحمل وأنّه أيْضًا لن يخبرهم الا في حالة ظهور الحمل عليَّ لأنهم سيغيرون من الطفل القادم وستقلبهم أمّهم عليَّ بدافع الغيرة، وتنظر تارة لوجه "كريم" وتارة لوجه "ريم"، وذهنها مستمر في استرجاع ما كتبت "سحر"

فأمهم امرأة حقودة، تدفع "مريم" الطبق بعيدًا بضيق على غير قصد وتنتبه لذلك "ريم" التي تنظر بطرف عينها على "مريم" بتوجس وقلق، ويستمر عقلها يسترجع وعينها مثقلة بالأسى وفي تلك اللحظة تصادف عيني "مريم" عيني "سحر" التي تنظر مباشرة في عينيها.

صوت "مريم": أعلم أنه مازال يحبها بينما أنا أخبره أنّي أحبه فاجعله يستشعر أنه مقصر في حقي ويشعر بالذنب حيالي وبالغضب والسخط عليها وعلى أولادها فهي قد تركته وذهبت ومع هذا مازال يحبها ولا يقوى على اخراجها من قلبه وأنا التي

تحبه ولا يقدر لها هذا أو يستطيع أن يبادل حبها بحب ويطردها هي من قلبه

"مريم" بأسى واستياء وتعجب تتأمل عينا "سحر" التي عادت وجلست في مكانها وهي ترشف من كوب الشاي متظاهرة بالثبات والهدوء واستياء وسط استغراق "ريم" و"كريم" في تناول الطعام بينما ينتهي من طعام ويقوم من مكانه في عجالة

"كريم": أحضري لي النسكافيه هناك يا "ريم" لو سمحتِ

"ريم": حاضر

"مريم" ذهنها يواصل استرجاع ما قرأتْ وهي تنظر في طبقها وقد توقفت عن تناول الطعام.

"مريم" في نفسها: لا أعرف لمَ يقول لي هذا، فأولاده يحترمونني –وترمقها "مريم" بخيبة – فهو يخبرني أن امهم تقوم بتحريضهم عليه وعليَّ لمْ أرَ ذلك ولكنه ردده لي مرات وترمقها بلوم وحنق و"سحر" تتجنب النظر في عينيها وترشف من كوب الشاي و"ريم" تحاول أن تفهم ما يجري وهي تنظر بطرف عينها إلى "مريم" تارة وباتجاه "سحر" تارةً أخرى!

صوت "مريم": ما دامت تفعل هذا فهي تغار منّي بلا شك، فأنا قد الآن أحل محلها فيختفي الصوت وتضحك "مريم" فَجْأةً بصخب في أشبه بهستيريا وتغادر المكان في هدوء وهي مازالت تضحك يتخلل صوتها الأسى والسخرية

تهب "ريم" على إثر ذلك وهي متعجبة وتنظر مباشرة لوجه "سحر" تجدها تنحني للأمام بأسى واضطراب وتهتز يديها وهي تحاول احكام يدها على كوب الشاي أمَامها

"ريم" تلحق ب"مريم" وهي تقول لـ"سحر"

"ريم": ما بها "مريم"؟! ماذا حدث؟!

وتهرول مغادرة المكان و"سحر" ترفع عينها بثقل وتطل عليها بغصة في انكسار وحيرة

"ريم" تندفع إلى داخل الشقة تتجه مباشرة إلى غرفة نومها هي و"مريم" بينما "كريم" ينادي عليها قائلا:

"كريم": اين النسكافيه؟!

"ريم": لحظة يا "كريم"!

فيصمت وينظر عليها بفضول وترقب

"ريم" تندفع إلى داخل الغرفة تطل في ارجائها لا تجد "مريم" فتتراجع وتدور بعينها في الارجاء

"كريم" متسائلا: ما بك؟

"ريم": اين "مريم"؟!

"كريم" وهو يشير إلى جانب في الداخل: في الحمام

بفضول مستدركا: ما بها "مريم" شكلها مرهق وعلى غير عادتها ما بها يا "ريم"؟!

ريم وهي تتعجل خروج "مريم" وتَرُد على "كريم" باقتضاب وقلق

لا أعرف

باستنكار والحاح "كريم": "ريم"؟!

ريم بقلق: والله لا أعرف

يميل "كريم" وهو ينظر باتجاه الحمام وينادي بحزم

"كريم": "مريم"؟! "مريم"؟!

بحلول المساء قد استعادت "مريم" هدوئها وجلست بين إخوتها وأمَام ملاحقتهم لها بالأسئلة لمعرفة ما بها أخبرتهم أنها خائفة وأعصابها متعبة من فرط القلق فنتيجة امتحانات الثانوية العامة أوشكت على الظهور وأنها تخشى الا تحصل على مجموع يؤهلها للالتحاق بكلية الألسن التي ترغب بدخولها كما يستقر في علمهم عن رغبتها فيما بَعدَ الثانوية

يحاول إخوتها تصديقها وسط قلقهم وأمَام تمسكها بهذا السبب يستسلموا لما أخبرتهم به

تستقر "مريم" في مكانها بين إخوتها وقد استقرت على فكرة في ذهنها تتنهد بارتياح على إثرها تعكسه نظرات عينها التي صارت أصفي وأهدأ

"كريم": "ريم" أحضري لي كوب من العصير ولـ "مريم"

ريم ضاحكة بمزاح: وأنا حرام عليَّ

"كريم" مازحا: أنت أدري بحالك!

تضحك وتقوم من مكانها وتتجه مباشرة إلى الباب وتخرج فتنتبه "مريم" والتي تجدها فرصة فتومئ مبتسمة لـ"كريم" وهي تقوم من مكانها بهدوء وتتجه مباشرة إلى غرفة نومها هي و"ريم" وتدخل وتدفع الباب قليلا خلفها وتدخل إلى المكتب تفتح الدرج وترفع الكتب عن الدفتر المزركش وتظهر اسفل منه النسخة التي قامت بتصويرها في المكتبة تتركها في مكانها وتقوم بإخراجه وتعيد الكتب ثانية في مكانها وتغلق الدرج وتتوقف لحظات في مكانها وهي تعيد فكرة استقرت في رأسها وتمسك الدفتر في يدها إلى جانبها مختبئا في جانب ذراعها الّذي تدفعه للخلف وهي تثبته إلى جانبها وتفتح الباب وتخرج من الغرفة متجهة مباشرة إلى باب الشقة وتمر بسرعة من خلف "كريم" وهي تقول في عجالة لا يتنسى له أن يوقفها قائلة

"مريم": لحظات وسأعود

"كريم" مناديا بدهشة متعجبا: "مريم"؟!

من خارج باب الشقة صوت "مريم":

راجعة يا "كريم"!

فيلتفت أمَامه ثانية بذهول

"كريم" في امتعاض: طيب!

تدخل "مريم" مباشرة من الباب مباشرة إلى داخل الشقة الكبيرة

وتتمهل في خطواتها قليلا في الردهة تميل برأسها وتطرق سمعها تستوضح وتحدد مكان "ريم" و"سحر" وتتأكد من ابتعاد واتجاه الصوت إلى أنهما بالداخل في المطبخ بالفعل فتدخل مباشرة في ثبات وتتجه إلى الأريكة وتجلس بسرعة عليها وتجذب مخدة صغيرة وتضعها فوق الدفتر على حجرها وتستند للخلف وتجعل يديها تستقران على المخدة وهي تبتلع ريقها بصعوبة في قلق وتوتر

بينما صدى صوت "سحر" و"ريم" يقتربان وأنهما قادمتان من ناحية المطبخ وتقف "مريم" على الفور فتحكم "مريم" وضع المخدة فوق الدفتر وتتركها على الأريكة وتهرول باتجاه المطبخ فتلحق بها قبل أن يخرجا إلى الصالة، ويتفاجأ بوجود "مريم" فينظرا لها مشدوهين بتعجب.

"ريم" تحمل بين يديها صينية عليها ثلاثة أكواب من العصير تتقدم "سحر" بخطوة واحدة

بينما "سحر" تتفحص عينا "ريم" وتتوقع شيئًا

متعجبة وبعتاب "ريم": "مريم"؟!

"مريم": تأخرت فجئت أستعجلك

"ريم": معقول؟! لم أتأخر بعد! وتلتفت "ريم" بعيون متسائلة إلى "سحر" التي لا تَرُد، "مريم" تتركهم وتهرول باتجاه الباب وتغادر المكان فترمقها "سحر" بذهول و"ريم" تنادي عليها بدهشة:

"ريم": "مريم"... انتظري!

وتلحق بها وهي تحاول العصير وتخرج من باب الشقة الكبرى و"سحر" تقف مكانها لا تدري ما يجري من حولها

"ريم" تدخل من الباب وهي تحمل صينية العصير وتنظر إلى داخل الشقة بتوجس وتوتر وتجد "مريم" قبالتها تتحدث مع "كريم"

مقاطعة في استنكار وهي تضع الصينية:

"ريم": لم تدخلي الحمام! بتهكم وكانت من نظراتها تتوقع ألا تجدها في الصالة!

أخبريني ما هذا؟ أخبريني على الفور ثمة ما يحدث وأنا لا أفهمه، ما بينك وبين "سحر"؟

"كريم": "سحر"! حدث شيء يا "مريم"؟

"مريم": لم يحدث شيئًا.

"كريم" –"ريم": "مريم"؟!

و"مريم" تنظر لهما في ثبات وفي هدوء تهُزّ رأسها ولا تتكلم وسط نظراتهم المليئة بالتوجس والقلق معًا، ويلتفتا وينظرا لبعضهما البعض بنفاد صبر وحنق.

"مريم" تمد يدها لتتناول العصير وترشف منه فيرمقها "كريم" باستنكار و"ريم" بتوعد وذهول.

قبل انقضاء وقت الظهيرة تدلف "سحر" إلى الشقة الصغيرة وهي تتجه مباشرة صوب غرفة نوم "مريم" و"ريم" وقبل أن تقترب من الباب تجد "مريم" قادمة من الداخل وهي تسعل لتنبهها أنها هنا، وبالفعل تلتفت "سحر" ببطء على صوت سعال "مريم" وتنظر في عينيها بلوم وغضب وتوعد، و"مريم" تتقدم باتجاه "سحر" بخطى ثابتة في هدوء وهي تبادلها نظرات اللوم والاستنكار والاستنفار وتتقدم في استنفار، تستشعر "سحر" أن "مريم" لا تخشى مواجهتها فترتبك قليلا وتتماسك أمَام خاطر مَرَّ في ذهنها وتقوُلُ متخطية بدايات أخرى للحديث:

"سحر": هذه هي التربية التي تتغنوا بها؟!

"مريم" تجدها بداية مختصرة للدخول في متن المواجهة فتبتسم هازئة وبمرارة:"مريم": تخيلي لو كانت تربية أبي، ما كان مصير دفتر مذكراتها حينها؟!

تتراجع "سحر" خطوات للخلف لتكون أقرب لأن تكون في الغرفة منها إلى الصالة قُبَالَةَ "مريم" وتخمن أن "مريم" قد قرأت الكثير لتقول ما قالته فتبتلع ريقها بصعوبة وتنظر لها بتوعد

"سحر": تربيتك تسمح لك بتفتيش وسرقة أغراض الآخرين؟!

"مريم": نعم تسمح!

"سحر": وأين الأساور؟!

تتلقف "مريم" ما قالت بذهول متفاجئة وتحملق غير مصدقة ما تسمع فتستشعر "سحر" الانتصار فتثبت وتعتدل في وقفتها وتدب القوة والثقة فيها.

"سحر": سأخبر أباكِ بما يجري حوله، بنتك "مريم" قد ضحك عليها شاب وخلا بها. "مريم" صارخة: اخرسي يا كاذبة لم يمسسني أحد، أنت كما وصفتيه حقيرة وخسيسة

"سحر": تشتمين زوجة أبيك

"مريم": أتلفقين لي التهم لتشوشي على مذكراتك؟

"سحر": ليست لي.

"مريم": الدفتر أعدته إليك ولكن معي نسخة مصورة

ثم هنا دفتر سجل كل الأحداث بالتواريخ والأسماء والإشارات والدلائل.

"سحر": تودين تخريب بيت أبيك؟!

"مريم": إطلاقًا.

تطمئن "سحر" قليلا وتتأمل عيني "مريم" لتصل لما تنتوي بلا جدوى.

"سحر": ستخبريهم؟! أباك وأخوتك وأمك؟

"مريم": لا أعرف

تنفعل "سحر" وباستنكار واستخفاف: وما هو الّذي تعرفينه؟ أن تشوهي صورتي أمَام زَوْجِي وتخربي بيتي؟!

أنت بنت خبيثة وماكرة وسيئة التربية وأنا سألقنك درسا لن تنسيه أبدًا.

"مريم": لن أردّ عليك

"سحر": لمَ قُلتِ إني.... منذ قليل؟!

"مريم": لأنكِ أنتِ التي تودين تشويه سمعتي! أنسيتي ما قُلتِ؟!

"سحر": ما هذا؟! لمَ كل هذا؟ ألا تستحين من نفسك حقا!؟

اعتدتُ تدوين خواطري اليومية، من سنوات لم ينبش أحدًا خلفي ويفتش في أغراضي.لم أفتش في أغراضك.

"سحر": وكيف حصلتِ عليه إذن؟

مريم : كان على الأريكة وأنتِ تعلمين.

سحر : أنتِ فتاة مهذبة، أنا مصدومة فيكِ بالفعل، لمَ يا "مريم" تأخذين دفتر مذكراتي؟!

"مريم": لم أقصد؟!

سحر : لم تقصدي؟!

مريم : دفعني الفضول لفتحه وعندما لمحت أسماء إخوتي أردتُ أن أعرف ما الّذي كتبتيه عنا. ترتبك "سحر" بشدة وتوتر.

"سحر": كل منا لديه آراء ومواقف تجاه كل من حوله، لا أحد يطلع عليه ولا نخبر بها أحدًا.

تومئ "مريم" برأسها ولا تَرُد

سحر : أبيك سيعود على السادسة مساءً!

مريم :أعلم. دفتر مذاكرت حضرتك لديكِ.

سحر : حضرتي؟! بَعدَ كل ما جرى منك؟

مريم : وماذا جرى؟

سحر : سرقتي.

مريم : لاتقولي سرقت، أم أعجبتك تهمة السرقة والأخرى تلك أن شاب ضحك عليّ.

سحر :لا أقصد، ولكن أنا لا أنام يا "مريم"، أنا مصدومة وخائفة على بيتي وعلى حياتي. أنتِ لا تدرين شيئًا، أنتِ صغيرة.

مريم : صغيرة! وتقوُلين إنك ستخبري أبي أنّي .....

سحر : لا لا، لم أجِد ما أُدافع بي عن نفسي، لم أقصد.

مريم : ولكن كنتِ ستقولين هذا لأبي عنّي إن أخبرته بما في مذكراتك؟! أليس كذلك؟

سحر : أنا أُريدُ البقاء هنا مع أبيكِ، لا أُريدُ العودة إلى بيت أهلي، أنا فقيرة يا "مريم" وأخاف الإحتياج وأخشى الناس، أنا لا أستطيع أن أعول نفسي وابني قد كبر ولكنه يتعلم لا أُريدُ أن أعود لبيت أهلي. الحاجة والخوف هما من يجعلان أيّ امرأة تتقبل حياة لا تجد فيها راحتها ولا تريدها، أنا مضطرة علي للبقاء هنا والإستمرار، أنتِ صغيرة، دفعك فضولك لتطّلعي على ما أكتب، وبعدك عن أُمَّك جعلك تتخبطين في الحكم.

مريم : ولم أقترب منك؟!

تتنبه "سحر" وتتماسك ثانية وتنظر لها بغضب: أعلم أنكِ قرأتِ ما كتبته. "مريم": أغلبه.

سحر : شاطرة!

مريم : جئتِي لتهددينـي! بينما أنا أعدتُ إليكِ دفترك.

سحر :جئتُ لأرى ما في رأسك وما تنوين فعله.

مريم :أنا نادمة أنّي سرتُ خلف فضولي واطَّلعت على ما في مذكراتك.

تظن "سحر" أنها تعتذر فتقوي موقفها وتبتسم باستنكار ولوم.

"مريم": قبل أن أطلع على مذكراتك كنت لا أعرف أبي.

"سحر "ترتبك بشدة وتتوتر ويظهر أسي في عينيها.

"مريم" مردفة: كنت أظن أن أبي سعيد معك وأن أمي فاشلة وأنك امرأة راشدة متحكمة ومتمكنة، –ترمقها "سحر" بضيق وحرج ثم تكمل– وكنتُ أظن أن الحب يأتي ويذهب بإرادتنا وأن الرجل لا يحب كما تحب المرأة وأن حبه مختلف، لم أعرف أن بعض الرجال أقوى في حبهم، وأن الحب لا يغادر القلوب بمغادرة أصحابها المكان أو بألم ولم تكمل "مريم" على إثر ظهور دموع في عيني "سحر" الّتي تنصت مصعوقة وتتيقن أن "مريم" قرأتْ جزئية "محمود" فتميل برأسها جانِبًا إلى الأمام وتسند يدها على الحائط.

وأن الحب هو الحب وأن الزيف ينكشف وأن الحب هو قوام كل حياة بين رجل وامرأة وأن الزيف والوهم قابل للتجدد والتصديق، وأن الآخرين يصدقون، وأن إيهام المرء لنفسه بأمور وتصديقها هي مخدر يعينه على التقدم في الحياة بقليل من الألم، وعلمت أن أمي لم تفشل لأنها عاطفية، بل هزمها أبي لأنه لم يقدر الحب وكانت النتيجة هي في راحة بعيدًا عنه؛ فأخرجته بالكامل من قلبها. "سحر" تنصت في ترقب واطمئنان ورضى.

وأنه يقاسي في بعدها، يتوهم السعادة والنجاح ولكن هي من نجحت، ظاهريا، هو نجح في تكوين أسرة زوجة وابن قادم وأمي هناك بَعدَ الخلاص تستجم وتستعيد نفسها، -"سحر" تتفهم شعور "مريم" ولكن يروق لها ما تسمع- إن البعض لديهم قدرة على خلق ونسج أوهام طويلة الأمد بمعاناة عميقة الأثر، وأن الهدوء في بيتنا كان وهمًا يدفع ثمنه أبي الذي حرص على إظهاره،

وأن الحب ينتصر، وأن الحب لا ينتهي بتلك السرعة التي يجئ بها، وأن الطرف الأقوى في الحب يتألم ولكنه لا يخسر، وأن من لا يُقدِّر من يستحق الحب يعاني فيما بعد، وأن خسارة من يحبوننا خسارة غير قابلة للتعويض.

"سحر" بمرارة: هل أنتِ فرحانة بما اكتشفتِ؟

"مريم": ككل شيء، ساءني بعضه وأرضاني بعضه.

"سحر": ستخبرين أباكِ؟ وإخوتك وأمك؟ ستخبرينهم؟

تظهر "ريم" خلف الباب من جهة الردهة وهي تنصت مصعوقة متحفزة وتظل ثابتة في مكانها.

شيء واحد هو ما أغضبني منك.

تنظر لها متسائلة مترددة وخجلة.

"مريم" بِنَبْرةٍ عاتبة وساخطة: أرجوكِ لاتتلاعبي بعقل أختي.

يظهر وجه "ريم" ملاصقًا للحائط مصدومةً ومضطربةً ونادمة وتلصق ظهرها بالحائط.

"سحر": أختك؟!

"مريم": اتركينا لما تربينا عليه، الوضوح ومواجهة الآخرين وإظهار ما نحن عليه، لانتقمص ولانتظاهر بما لا نرتب أو نخطط.

"سحر" ترمقها بزجر وضيق ولوم.

"مريم": أنتِ لكِ وجهة نظرك في تسيير أمورك.

"سحر": "مريم".

"مريم": لا ألومك يا طنط "سحر"، لا ألومك.

ترق "سحر" وتستقبل منها طنط وأنها تناديها بطنط ثانية برحابة وترحيب وتستشعر بالأمان واستعادة الود فيما بينهما وتبتسم على استحياء في حرج وغصة من الموقف.

"مريم" تتأملها بشيء من الود والتماس العذر، وتلمع الدموع في عينيها.

أعرف أن لديك أسبَابك وأن ظروفك تجعلك تتصرفين هكذا أو ترين أن هذا يناسب تسيير أمور حياتك.

تنتبه "سحر" لدموع "مريم" مستغربة متسائلة بينما "مريم" تواصل.... "ريم" تسند رأسها للحائط ويعلو صدرها ويهبط وهي مغمضةٌ عينيها ولا تتحرك.

"مريم": لا تظني أنّي فرحة بما قرأت! فأحيانًا كنت ألوم على أمي أنها ذهبت!

ويظهر وجه "ريم" وهي تطل إلى الداخل بعيون مليئة بالدموع وترمق دبلة خطوبتها في يدها بحنق وسخط.

كانت تلك الفكرة تريحني أنني ضحية وأنني ذات ظروف خاصة وأستحق الرعاية المفرطة والتعويض وأنهم قصروا وعليهم أن يعوضوني عن اختياراتهم هذه، وبصوت متهدج أقرب إلى الصراخ:

كنت أراها أنَانية، أمي ليست أنَانية؛ هو من كسرها بسبب طباعه وتصرفاته وفي نبرة صافية يغلب عليها البراءة والوادعة

مريم : لا تفعلي مثل أمي ...لا تفعلي مثلها.

تتحرج "سحر".

وتكمل مريم : لا ألومك لا تسيئي فهمي، هو لا يستحق إلا ما تفعلينه

"سحر" تنظر بلوم وتأثّر واستنكار وترتبك.

مريم : أقصد لا تسمحي له أن يهزمك

"سحر" بضيق:أنتِ صغيرة ولا تفهمين الكثير.

مريم : أرجوكِ كُفِّي عن لعب دور المرأة الرشيدة، أنا قرأتُ عقلك وما بداخلك، لقد قرأتُكِ.

"ريم" تنظر في جدية وبإستنكار مؤيدة لإختها بإستدراك وتجد أن "سحر" تعي ما تفعل وتحاول تلميع صورتها وخداع "مريم" لتحسين صورتها فتنتبه لها وتنتبه في حديثها وتتبدل نبرة صوتها إلى العقلانية:

"مريم": لن أكره تلك الصبغة في طبيعتي، أن أكون عاطفية ولكني لن ادعها تغلبني وتمكن الآخرين منّي، لن أسمح لنفسي أن أُهزم كما هُزمت أمي، لا أنقم على تلك اللمحة من شخصيتي

تنصت "سحر" بترقب وبعين غاضبة.

"مريم": لن أخبر أبي بأمر المذكرات.

"سحر": وأن أخبرتيه؟! أو أخبرتِ أحدًا من إخوتك؟

يظهر وجه "ريم" التي تنصت باستخفاف.

"مريم": ماذا سأقوُل له؟!

"سحر" ترمقها بإستنكار.

"مريم": لا أُريدُ أن أقوُل له عنك ولا أن تقولي له عني، ليس حولي ما تقولينه.

"سحر" ترتبك وتَرُد بجزم وحزم: وأنا لا أُريدُ إفساد جو البيت الهادىء

تتلقف "مريم" كلماتها بيقين في أن "سحر" لن تتغير وعليها الحذر منها:

"مريم": لا تجعلينى في يوم من الأيام أخبره.

"سحر": ماذا؟

"مريم": أقوُل لك لن أخبره وأنت لا تصدقين.

"سحر": وكيف أُصدق؟

"مريم": اسألي نفسك؛ لمَ سأخبره؟

"سحر" تنظر لها باستنكار وتشكيك. تتابع "مريم" وتلمع عينها وتقوُلُ في ثبات:

لأنه سيأتي بأخرى غيرك، إن ثار وغضب منك وصدم.

"سحر" مستطرقة وتظنها تقلل منها وتستحف بها فترفع أكتافها بضيق متظاهرة باللامبالاة.

"مريم" مردفة بكل ثبات وعمد:

وما الفائدة التي تعود علينا نحن؟ كل امرأة ستكون هنا هي له ولن ندري ما طباعها وما تحمله لنا، ستظل زوجة أبينا ليست أمنا على أيّ حال.

"سحر" تتلقف ما تسمع بغصة وتقتنع

"مريم" مردفة: فلا جدوى من أن يعرف شيئًا.

"ريم" تنظر بحيرة وفضول من مكانها بجوار الحائط وهي تمسك في يديها شنط الخضار وشنط السوبر ماركت ولا تفهم.

واستفهام "سحر" وهي لا تدري ماذا تقول أمَام ما قالته "مريم"، لقد أثبتت لها أنها لن تقول لأبيها مع ذكر السبب، لقد اكتشفت "سحر" وتيقنت أنها لن تخبره وكأن كل ما جرى كان من أجل كشف ما تكنّه لهم وحقيقتها هي ولن يعرف زوجها ولن يوجد ما يهدد بقاءها فيها، لقد قزَّمتها "مريم" بردودها، أيقنت "سحر" أن "مريم" لن تخبر أبيها فتستشعر الضئالة والضيق والمرارة الممزوجة بالطمأنينة على أن لن يحدث قلق لحياتها واستقرارها في البيت، تنظر لـ"مريم" بألمِ عميقٍ وحيرةٍ بالغةٍ وقد تقزَّمت أمَام الابنة، ولكن تأكدت أنها لن تخبر أحدًا.

"سحر": لم أقصد ما قلت! لم أجِد ما أجعله يجبرك على السكوت وعدم إخبار أبيك.

انا وهي نشعر بالأسف الآن.

"ريم" تطرق بأذنيها جَيِّدًا وهي تنظر بغضب وفضول وتوعد وعيونها مستفهمة عما قد فاتها، فتنظر بنفاد صبر وتود لو تدخل من الباب!

"مريم" تتجاهل ما تقول "سحر" لتبرره وما تقوله "سحر" لتبرر ما جاء في تهديدها وبغصة ويقين وتشفي:إن أبي يعيش الحياة التي يستحق!

"سحر" باستنكار واستياء :ما يستحق!

"مريم": نعم

"سحر" لا تَرُد، وتحاول التظاهر أنها لم تفهم ما تقوله "مريم" وتعنيه وتسود لحظة صمت.

"ريم" تنظر بخيبة وندم وارتباك وتظل في مكانها تحمل وتخشى التحرك وهي تحمل حقائب السوبرماركت وتنحني مبتعدة إلى أول الردهة وهي تسير على أطراف أصابعها جاحظةَ العينين تحرص على ألا تُحدث صوتًا، وعيناها ورأسها مثقلون مما اكتشفت وسمعت وتَمْضِي بشنطها إلى آخَر الردهة.

"سحر" وهي تتحرك في مكانها وقد استعادت قوتها ويملأ عينيها الحيرة والحرج:لا أجِد ما أقوُله لكِ

"مريم": دفتر مذكراتك لديكِ.

"سحر" تؤمئ برأسها، ولكنك قرأتِه، قرأتِيني كما قُلتِ.

لقد قرأتينِي يا "مريم"!

"مريم": اعتبري أنّي لم أقرأه وليتنى ما قرأته، وإن كنت أمتن لما حدث، فقد أجاب على تساؤلات كثيرة بداخلي، وأفاقني بقسوة.

"سحر": وهل نحن سنكون كما كنا قبل؟!

"مريم": طنط "سحر"، لا نية لدي أو لدى إخوتي أن نعاملك معاملةً سيئة، ولا نعمد إلى ذلك، ووجودك لا يضرنا في شيء، ستوجد هنا امرأة سواء أنتِ أو غيرك.لاتكرريها رجاءً، أنتِ تستخفين بي.

لا أقصد، ولكني أحاول أن أؤكد لك أن فكرة أن لدينا زوجة أب وتنشب بينا المشاجرات لم تكن ورادة في أذهاننا، أبي كان ليتزوج بَعدَ أن تركته أمي.

"سحر" بضيق: وكنتِ أنت

"مريم": ونحن نعاملك ..

فتقاطعها سحر: أُريدُ أن تظل المعاملة كما هي.

تنظر لها "مريم" بترقب بعيون متسائلة

"سحر": لقد قرأتِ مذكراتي!

"مريم": أ درك وأعرف ما تقصدينه جيدا ، ولن أقوُل إنه لم يحدث شيء !

فأنا لستُ مريم التي كانت قبل قراءتها يازوجة أبي!

تمت

تأكدت زوجة أبي بلا قسم بأنني لن أخبر أحدًا
بشأن مذكراتها
وأن أمي هي آخر من يهتم بالأمر، كما ولن أخبر أبي
أو أيا من إخوتي،
لكنها لن تعرف كم أنا ممتنة لما جرى
فقبل قراءتها لم أكن أعرف أنهم مثلنا يعشقون
ويشتاقون ويأملون وينكسرون فيبكون ويتألمون ولا
ينسون
وأن الوهم كالفقاعة لا يعرف البقاء، مهما غيَّب آلام
الحيرة والندم
وأن الحب المهزوم مثل مقاتلٍ أعزلٍ بساحة معركة
عليه بالفرار وإلا سيموت
أخرجتني من دوامة الحيرة
وجددت إيماني بالحب

بوك بوتيك
للنشر والتوزيع
/bookboutique.eg
http://bookboutique.net